جهود علماء الأندلس في خدمة

التاريخ والتراجم

الطبعة الأولى

٢٠١٦ م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠١٤/١/٤٨٢)

٩٥٦. ٠٦٦١

بوفلاقة، محمد سسيف الاسلام

جهود علماء الاندلس في خدمة التاريخ والتراجم / محمد سيف الاسلام بوفلاقة-

عمان: دار الجنان للنشروالتوزيع

ر.أ: (٤٨٢ / ١ / ٢

الواصفات: الاغتراب / /المشاكل الاجتماعية/ /سيكولوجية المراهقين/

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN ٩٧٨-٩٩٥٧-٥٥١-٩٠ – ٢

دار الجنان للنشر والتوزيع - عمان – الاردن

هاتف ٠٠٩٦٢٦٤٦٥٩٨٩١ dar_jenan@yahoo.com

ص. ب ٩٢٧٤٨٦ الرمز البريدي ١١١٩٠ عمان

مكتب السودان ـ الخرطوم ٠٠٢٤٩٩١٨٠٦٤٩٨٤

جهود علماء الأندلس في

خدمة التاريخ والتراجم

ابن الخطيب وكتاب (الإحاطة) نموذجاً

محمد سيف الإسلام بوفلاقة



المقدمة:

موضوع هذا البحث هو«جهود علماء الأندلس في خدمة التاريخ والتراجم-ابن الخطيب وكتاب (الإحاطة)نموذجاً- ».

وترجع صلتي بهذا الكتاب، ومؤلفه إلى سنوات خلت،حين أتيح لي الاطلاع على كتاب: «الإحاطة في أخبار غرناطة»،في مكتبة والدي،فوجدته أهمّ مصدر،بعد كتاب: «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»للشيخ أحمد بن محمد المقّري التلمساني،في دراسة التاريخ السياسي، والثقافي، والأدبي، للأندلس والمغرب،فقد قدّم لنا ابن الخطيب الأندلس تاريخاً ،وثقافة من خلال غرناطة،وهو عبارة عن موسوعة أدبية شاملة،فيها من أنباء غرناطة،وسير ملوكها،ووزرائها،وأخبار شعرائها وكُتّابها،وفيه من المعلومات-بحسب علمي- ما لا مثيل له في أي كتابٍ أندلسي آخر،وخاصة ما يتعلق بأعلام مدينة غرناطة.

ومما حفّزني على المضيّ قُدماً في خوض غمار هذا البحث أنّني لم أعثر على دراسة متخصصة في موضوع «التاريخي والأدبي في كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة)لابن الخطيب »، باستثناء بعض الدراسات التي تناولت جوانب أخرى من هذا الرجل المتعدد الجوانب،وأذكر من بينها:

١-دراسة وتحقيق محمد الشريف قاهر لديوان الصيّب والجهام والماضي والكُهام للسان الدين ابن الخطيب،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،١٩٧٣م.

٢- دراسة محمد بن أبي بكر التطواني:ابن الخطيب من خلال كتبه،تطوان،المغرب،١٩٧٤م.

٣-دراسة عبد الهادي بوطالب،وزير غرناطة لسان الدين محمد بن الخطيب،دار الكتاب،الدار البيضاء،المغرب،١٩٦٠م.

٤-دراسة محمد عبد الله عنان:لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري،نشر مكتبة الخانجي،١٩٦٨م.

٥-دراسة الحسن بن محمد السائح،منوّعات ابن الخطيب،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،مديرية الشؤون الإسلامية،المملكة المغربية،١٣٩٨هـ،١٩٧٨م.

لكن بحثنا يختلف عن تلك الدراسات،فيدرس الكتاب، دراسة تحليلية ،مُركزاً على الجوانب التاريخية،والأدبية فيه.

وقد كان من بواعث اختيارنا لهذا الموضوع أيضاً إيماننا بضرورة الاهتمام بالتراث الأندلسي ،والمغربي الذي لم يحظ باهتمام الدارسين كما حظي صنوه في المشرق العربي،ولم يلق العناية الكافية حتى الآن،وخاصة إذا تعلق الأمر بشخصية علمية متميزة لها منزلة رفيعة بين علماء،وأدباء العالم كافة،هذه الشخصية المتعددة الجوانب،ومع ذلك لم تحظ إلا بالنزر اليسير من جهود الباحثين العرب.

هذه بعض الدوافع التي حفزتنا على اختيار هذا الموضوع« جهود علماء الأندلس في خدمة التاريخ والتراجم-ابن الخطيب وكتاب (الإحاطة)نموذجاً- ».

وكانت الأهداف من البحث،هي:النظر في حياة ابن الخطيب،والتعريف بشخصيته، والكشف عن حياته الخاصة،ووصف عصره وبيئته،وتعدد آثاره،ومصنفاته،ودراسة كتابه الإحاطة،وتحليل محتواه،والتركيز على الجوانب التاريخية،والأدبية فيه،ولمّ أشتات الموضوع الموزعة على أربعة مجلدات، وسفر به نصوص لم تنشر من قبل،وإظهار قيمة الكتاب التاريخية، والأدبية،وتبويبه،والبحث عن مصادر ابن الخطيب،ودراسة أسلوبه،ومنهجيته...

وقد جاء البحث،في مدخل،وخمسة فصول،وخاتمة.

ففي المدخل تحدثت عن حياة لسان الدين ابن الخطيب،وعن آثاره،وعصره، فقسمته إلى ثلاثة أقسام رئيسة.

في القسم الأول، قدمت صورة عن حياة ابن الخطيب،معتمداً في ذلك على ما ذكره ابن الخطيب عن نفسه في بعض مؤلفاته،كما اعتمدت على كتب التراجم في القديم، والحديث،لأنّ، في الحديث عن حياته تفسيراً وتوضيحاً لاتجاهاته الفكرية،ورؤاه التحليلية التي نحن بصدد رصدها في آثاره، ومصنفاته،ولاسيما منها كتابه(الإحاطة)موضوع هذا البحث.

وفي القسم الثاني منه تحدثت عن عصره،واستعرضت الحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية في غرناطة،لعلاقتها الوثيقة بالكاتب،ولما في ذلك من فائدة في

إيضاح بعض جوانب حياة ابن الخطيب،وعلاقته بأمراء بني الأحمر،ذلك لأن عصر الكاتب،وبيئته تعدّ من أهم مصادر إنتاجه الفكري.

وفي القسم الأخيرمنه تطرقت لمصنفات ابن الخطيب،وآثاره في الأدب،والتصوف،والتراجم،والطب،وغيرها،وذكرت المطبوع منها والمخطوط، والموجود،والمفقود.

أما في الفصل الأول من البحث فقد قدمت تعريفاً لكتاب الإحاطة،وتحدثت عن بواعث تأليفه،ومصادره،وأسلوبه،ومنهجه.

وفي الفصل الثاني منه تحدثت عن محتوى المجلد الأول من كتاب(الإحاطة)الصادر بتحقيق الباحث محمد عبد الله عنان،وقدمت موجزاً عن أهم الشخصيات التاريخية،والأدبية التي تعرض لها ابن الخطيب في المجلد الأول.

وفي الفصل الثالث، توقفت مع أهم الشخصيات التاريخية،والأدبية التي ترجم لها ابن الخطيب في المجلد الثاني.

وفي الفصل الرابع تناولت بالعرض أهم الشخصيات المترجم لها في المجلد الثالث منه،وقدمت ملخصات عنها.

وفي الفصل الأخير عرضت أهم الأعلام،والشخصيات الأدبية والتاريخية التي حواها المجلد الأخير من كتاب(الإحاطة)،وقدمت ملخصاً عن سفر من أسفار الإحاطة اكتشف حديثاً.

وأتممت البحث بخاتمة سجلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ،وأبرز الجوانب التي تستحق التنويه،والذكر.

أماً المنهج الذي انتهجته في بحثي هذا،فهو المنهج التاريخي الذي يعتمد على الترتيب الزمني في تتبع الظواهر الأدبية والتاريخية،وتفسيرها،مع الاستفادة من مناهج أخرى كالمنهج الوصفي،والمنهج التحليلي الذي استخدمته عند دراسة كتاب الإحاطة.

وإنني لا أرغب في الحديث عن مختلف العوائق،والصعوبات التي واجهتني في هـذا البحث،ومشكلاته التي اعترضت سبيلي،ولعل أبرزها عدم توفر عدد كبير من الدراسات التي اهتمت بأسلوب،ومنهج كتاب(الإحاطة).

ولا يفوتني في هذا المقام أن أسجل شكري،وتقديري الكـبير إلى كـل مـن سـاعدني على إنجاز هذا البحث،وكل من قدم لي كلمة تشجيع،أو توجيه،والله الموفق،والهادي إلى سواء السبيل.

مـــــدخــل:

لسان الدين ابن الخطيب: حياته، عصره، آثاره

أولاً: حياته:

تعددت الأسفار، والدراسات التي تطرقت إلى حياة لسان الدين ابن الخطيب، ولعل ابن الخطيب كان في طليعة علماء الأندلس الذين حظوا باهتمام كبير من لدن مختلف الباحثين، والدارسين القدماء، والمعاصرين المشارقة، والمغاربة على السواء، وهذا الأمر يعود لجملة من الأسباب، قد يكون في مقدمتها موسوعية، و غزارة إنتاج ابن الخطيب، فالرجل خاض في شتى أصناف المعرفة، وهو شخصية متعددة الجوانب فهو الشاعر، والمؤرخ البارع، والأديب، والصوفي، والفيلسوف، والوزير، والسياسي، و بالتالي فمن الصعوبة حصر جميع ما كُتب عنه.

إن ابن الخطيب يعتبر أحد كبار العلماء الموسوعيين، ويؤكد عدد كبير من المؤرخين، والدارسين على أنه أعظم شخصية ظهرت بالأندلس في القرن الثامن، وقد كان عبقرية متعددة النواحي.

كان ابن الخطيب «يمثل بعبقريته، وقوة نفسه، وأصالة تفكيره، وروعة بيانه، وجزالة شعره أعظم ما تمخضت عنه الأندلس الكبرى من قبل تلك النماذج العلمية، والأدبية الباهرة، التي

يزدان بها تاريخ التفكير الأندلسي، وكان بتعدد جوانبه، وسعة آفاقه، أكثر من وزير، وسياسي، وكاتب، وشاعر. كان مزيجاً من عبقريات متعددة، بلغ القمة في كل منها، ويندر أن تجتمع في شخص واحد، وكانت غرناطة تلك الأندلس الصغيرة، أضيق من أن تتسع لمثل عبقرياته، ومن ثم فإنا نراه خلال حياته المضطربة، سواء في المغرب أو الأندلس، يرتفع حيناً إلى الذروة، وينحدر أحياناً إلى غمر المحنة، تلاحقه تلك القوى الخصيمة، التي تضيق بنبوغه، وخلاله اللامعة.

وقد دون لنا ابن الخطيب ترجمة نفسه كاملة،في نهاية كتاب(الإحاطة)هذا، عدا ما أورده في سياق الكتاب،في مواضع عدة،عن مراحل خدمته السلطانية،وقص علينا كثيراً من حوادث حياته الشخصية،والسياسية في مختلف كتبه الأخرى،ولاسيما(نفاضة الجراب)،الذي يقص علينا فيه حوادث إقامته الأولى في المغرب،وسلا،و(اللمحة البدرية)،و(ريحانة الكتاب) الذي يضم كثيراً من رسائله السلطانية[1]،وقد دون له معاصره،وصديقه الفيلسوف ابن خلدون ترجمة في تاريخه الكبير،ووصف لنا مأساة مصرعه المؤثر»[2]

هو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني،وذلك نسبة إلى سلمان،وهي بقعة باليمن نزلت بها بعض القبائل القحطانية،أو حي من مراد من اليمن ،عرب اليمن القحطانية،وتنتمي أسرة ابن الخطيب إلى إحدى هذه القبائل،وقد وفدوا على الأندلس بعد الفتح،ومنهم جماعة من الشام،واتخذوا قرطبة مقراً لهم،«وقد كانت قرطبة،وأحوازها منذ الفتح منزل قبائل الشام الوافدة على القطر الجديد،والظاهر أن بني سلمان كانوا ينتمون إلى الحزب المعارض للبلاط أيام الحكم بن هشام أمير الأندلس،فلما حدثت واقعة الربض المشهورة(ضاحية قرطبة)،وثار أهل قرطبة بتحريض حزب الفقهاء المعارض للحكم(سنة:٢٠٢هـ-٨١٧م)،واستطاع الحكم أن يمزق الثورة،وأن ينكل بأهل الربض،غادر قرطبة كثير من المعارضين من الفقهاء،وغيرهم،وكانت منهم أسرة لسان الدين»[3]التي هاجرت إلى طليطلة وفق ما ذكره ابن الخطيب نفسه في مقدمة الإحاطة،وقد مكثت أسرته ما يقارب القرن ونصف القرن بالمدينة،وحينما شعرت بالأخطار المحدقة بها،حينما أضحت

---

(١) محمد عبد الله عنان:مقدمة كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، ص:١٨.

(٢)ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون المُسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ص:٤٠٤.

(٣) محمد عبد الله عنان:المصدر نفسه،ص:١٩.

(طليطلة) عرضة لهجمات النصارى،غادرتها إلى مدينة(لوشة)،وهي المدينة التي ولـد بهـا ابن الخطيب في الخامس والعشرين من رجب٧١٣هـ،(١٦نوفمبر١٣١٣م) [١].

وبالنسبة إلى لقب(الخطيب)ذكر لسان الدين أن بيـتهم كـان يطلـق عليـه تسـمية(بـني الوزير)ثم سموا(بيني الخطيب)،وهذه التسمية ترجع إلى عهد جده سعيد،الذي يعتبر أول مـن اسـتوطن مدينـة(لوشـة)مـن أسـرتهم[٢]،وقـد كـان«عالمـاً ورعاً،وكـان يلقـي دروسه،ومواعظه تحت أطلال برج يجاور أمـلاك أسـرته،ويقع علـى الطريـق الممتـد مـن غرناطة إلى إشبيلية ماراً بلوشة،ومن ثم فقد غلب عليه اسم الخطيب،وأورث هذا اللقب لبنيه،فعرفوا ببني الخطيب من ذلك الحين.ويحدثنا ابن الخطيب عن والده عبـد الله،وكـان من أكابر العلماء،والخاصة،ويترجمه لنا في الإحاطة.وقد ولد سنة:٦٧٢هـ، واسـتقر حينـاً في غرناطة،ثم عاد إلى لوشة مقر بيتهم القديم،ثم عـاد إلى غرناطـة مـرة أخـرى ليلتحـق بخدمـة السـلطان أبـي الوليـد إسماعيـل،وهو الـذي جلـس علـى عـرش غرناطـة في سنة:٧١٣هـ (١٣١٤م)،ولما توفي السلطان أبو الوليـد إسماعيـل قتـيلاً في سـنة:٧٢٥هــ (١٣٢٥م)،خدم عبد الله من بعده ولده السلطان أبا عبد الله محمـد،ثم شـقيقه السـلطان (أبـو الحجـاج يوسـف) أعظـم سـلاطين غرناطة،وقـد ولـي العـرش سـنة:٧٣٣هــ (١٣٣٢م).وخدم عبد الله في ديوان الإنشاء،مع الكاتـب والشـاعر الكـبير الـرئيس أبـي الحسن بن الجياب،وأسبغ عليه لقب الوزارة،ثم توفي قتيلاً مع ولده الأكبر أخ لسان الدين في موقعة طريف الشهيرة التي هزم فيها المسلمون بقيادة السلطان أبي الحسن المريني عاهل المغرب،والسـلطان أبـي الحجـاج يوسـف أشـنع هزيمـة،وذلك في جمـادى الأولى سنة:٧٤١هـ(أكتوبر سنة١٣٤٠م)،وسقطت على إثرها طريف،والجزيرة الخضراء في أيدي النصارى،وكانت محنة عظيمة لم يشهد المسلمون في المغرب،والأنـدلس مثلـها منـذ زمـن بعيد».[٣] .

---

(١) جرجي زيدان:تاريخ آداب اللغة العربية،مج٢،ص:٢٢٥.

(٢) عمر فروخ:تاريخ الأدب العربي،ج٦،ص:٥٠٣.

دخل لسان الدين الكتاب بمدينة(لوشة)مسقط رأسه،حيث حفظ القرآن الكريم وجوده،ثم تعلم مبادئ اللغة العربية على مجموعة من المعلمين من بينهم(أبو القاسم بن جزي)،كما أخذ النحو عن شيخ النحاة الإمام أبي عبد الله الفخار الألبيري[1]،وغيره من العلماء،والمربين،والفقهاء،وقد عرف ابن الخطيب منذ طفولته بطموحه،وقد أعانه على ذلك الطموح ذكاؤه الحاد،وفهمه الثاقب،ورؤيته البعيدة المدى،وقد كان انتقال أسرته من(لوشة)إلى(غرناطة)نقطة تحول،حيث عين والده عبد الله مقتصداً في بلاط ابن الأحمر الذي استعمله على مخازن الطعام،وقد أتاحت له الفرصة في غرناطة الدراسة على عدد من كبار العلماء المتميزين فأخذ عنهم الأدب كشيخ العدوتين الرئيس أبي الحسن بن الجياب،والفيلسوف أبي زكريا بن هذيل الذي اختص بصحبته،وفي هذه الفترة بدأ يظهر تفوقه،ونبوغه في الشعر،والترسل،والطب،والفلسفة،والتاريخ،وبعد سنوات قليلة لمع نجمه[2]. فقد تأثر مستقبل ابن الخطيب السياسي بحكم منصب والده،وحينما توفي والده دعي للحلول مكانه،وكان في الثامنة والعشرين من عمره،فتولى أمانة السر لأستاذه الرئيس الذي كان يشغل منصب الوزارة لدى السلطان(أبو الحجاج يوسف الأول النصري)،وقد استفاد ابن الخطيب استفادة كبيرة من أستاذه ابن الجياب في ديوان الإنشاء،وتأثر أيما تأثر به في أساليب النظم،والنثر،فملك زمام أرفع الأساليب النثرية والشعرية،وقد تجلت آثار أستاذه في رسائله السلطانية[3]،التي كتبها على لسان ملوك

---

(١) خير الدين الزركلي:الأعلام،ج٦،ص:٢٣٥.

(٢)الحسن بن محمد السائح:منوعات ابن الخطيب،ص:٣٥.

(٣) عبد الهادي بوطالب:وزير غرناطة لسان الدين ابن الخطيب،ص:٤٨،وما بعدها.

الأنـــدلس،والمغرب وقـــد وصـــفها العلاّمـــة ابـــن خلـــدون بالغرائـــب،نظراً لسحرها،وجمالها،وروعتها[1].

وبعد وفاة ابن الجياب في الطاعون الجارف الذي حل بالمدينة في شـوال سـنة:٧٤٩هـ(ينـاير سنة:١٣٤٩م)،تولى لسان الدين رئاسـة الكتـاب[2]،وهنـاك خـلاف في تـاريخ توليـه منصـب الوزارة الأولى،وقد سعى الدكتور محمد الشريف قاهر إلى تصـويب الأخطـاء الـتي وقـع فيهـا بعض الباحثين فقال:« تولى ابن الخطيب منصب الوزارة للمرة الأولى في أخريات شـوال مـن عـام:٧٤٩هـ لأمـير المسـلمين بالأنـدلس السـلطان أبـي الحجـاج يوسـف بـن إسماعيـل النصري،وكان يبلغ من العمر آنذاك خمسة وثلاثين عاماً تقريباً.وقد أخطأ جرجي زيدان حـين جعـل توليـه الـوزارة للمـرة الأولى عـام:٧٣٣هـ،عقب اعـتلاء أبـي الحجـاج لعـرش غرناطة.فبالإضافة إلى تصريح المقري بتاريخ:٧٤٩هـ في نفح الطيب،فيزيـد تأكيـداً بأنـه تـولى الوزارة بعد شيخه أبي الحسن علي ابن الجياب الذي توفي عام:٧٤٩هـ بسبب مرض الطاعون الجارف الذي عم بلاد الأندلس والمغرب آنذاك ،وأودى بخيرة رجال العلم،والأدب،وبقي ابن الجياب وزيراً حتى وفاته،وكان ابن الخطيب مساعداً له،وأميناً لسره»[3].

وقد كسب ابن الخطيب ثقة السلطان،وصار من المقربين إليـه،وفي هـذه المرحلـة تـألق نجمـه،و «عظمـت منزلته،وأغـدق السـلطان عليـه عطفـه،وآثره بثقته،وجعلـه كاتـب سره،ولسانه في المكاتبات السلطانية،وصـدر منهـا بقلـم ابـن الخطيـب طائفـة مـن أبـدع

---

(١)ابن خلدون:كتاب العبر،ج٧،ص:٦٩٠.

(٢) محمد الطيب محمد عبد النافع وإبراهيم عبد الرحيم يوسف:تاريخ الأدب والنصوص الأدبية،ص:٤٥٩.

(٣) دراسة وتحقيق ديوان الصيب،والجهام،والماضي،والكهام،ص:٥٥ وما بعدها.

الرسائل الملوكية...،وجمع الكثير منها فيما بعد في كتابه(ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب)،وكذلك نقل إلينا المقري في(نفح الطيب)مجموعة منها[1].

ويصف لنا ابن الخطيب في ترجمته في(الإحاطة)مركزه في الوزارة يومئذ،ومكانته،وما حباه به السلطان من الثقة،والإيثار في قوله(فقلدني السلطان سره،ولما يستكمل الشباب،ويجتمع السن،معززة بالقيادة،ورسوم الوزارة،واستعملني في السفارة إلى الملوك،واستنابني بدار ملكه،ورمى إلى يدي بخاتمه وسيفه،وائتمنني على صوان حضرته،وبيت ماله،وسجوف حرمه،ومعقل امتناعه)،ولما توفي السلطان يوسف أبو الحجاج قتيلاً في يوم عيد الفطر سنة:٧٥٥هـ(أكتوبر١٣٥٤م)خلفه في الملك ولده السلطان أبو عبد الله محمد،الذي لقب فيما بعد بالغني بالله،واستمر الحاجب رضوان مضطلعاً برئاسة الوزارة،واستمر ابن الخطيب في منصبه معاوناً له،وندب للوصاية على الأمراء القصر أبناء السلطان المتوفي.وأرسله السلطان الجديد لأول ولايته سفيراً عنه إلى السلطان أبي عنان المريني عاهل المغرب على رأس وفد من رجالات الأندلس،وهو يعرب في رسالته إليه عن أمله في تجديد أواصر المحبة،والوصل التي كانت بين أبيه،وبين السلطان أبي عنان،ويستنصره،ويطلب عونه على مقاومة ملك قشتالة»[2].

ولقد استقبل ابن الخطيب استقبالاً مميزاً،وحظي برعاية كريمة،وتقدير عميق من قبل السلطان أبي عنان،وكان استقباله في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة:٧٥٥هـ[3].

ويفصل الدكتور محمد الشريف قاهر رحلة ابن الخطيب إلى المغرب فيذكر أن في أواخر عام:٧٥٥هـ«على إثر مقتل السلطان أبي الحجاج أمير المسلمين بغرناطة بعث السلطان

---

(١) ينظر:المقري التلمساني:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج٦،ص:١٣ -١٦٢.

(٢)عبد الله عنان:المصدر السابق،مج١،ص:٢٢ وما بعدها.

(٣) محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي:الأدب المغربي،ص:٢٣٢.

الجديد(محمد الغني بالله)وفداً إلى المغرب لطلب النجدة،والغوث،وتجديد عهد الصداقة،والتعاون بين العدوتين،الأندلس والمغرب،على نحو ما جرت عيه العادة منذ قديم الزمان،وكانت رئاسة الوفد لوزيره ابن الخطيب الذي وفق توفيقاً كاملاً في أداء مهمته،وقد أنشد أبا عنان قصيدة رائعة مطلعها:

خَلِيفَةَ اللهِ سَاعَدَ القَدَرُ   عُلاَكَ مَا لاَحَ فِي الدُّجَى قَمَرُ

فتأثر السلطان المريني أبو عنان،والحاضرون في الحفل بالقصيدة أيما تأثر،وقال السلطان لابن الخطيب:اجلس،والله ما ترجع إليهم إلا بكل طلباتهم،وقديماً قيل:إن من البيان لسحرا،وإن من الشعر لحكمة.وعاد الوفد إلى غرناطة محملاً بالهدايا الثمينة،والوعود الصادقة الخالصة بفضل سياسة رئيس الوفد،ولباقته،وجميل إشارته،وفصيح لسانه،وفي هذه السفارة توطدت العلاقة بين ابن الخطيب،وبين المغرب،حكومة وشعباً،وعلماء،وأدباء،فبقي قلبه معلقاً بالمغرب »[1].

وفي عام:٧٦٠هـ تبدأ مرحلة جديدة من حياة ابن الخطيب،ففي هذه السنة اندلعت الثورة بغرناطة في شهر رمضان،وقد أدت هذه الثورة إلى فقدان السلطان الغني بالله الملك،وتولى الملك مكانه شقيقه الأمير إسماعيل،وقد قتل أثناء هذه الثورة الحاجب(أبو النعيم رضوان)،وفر الغني بالله إلى وادي آش[2].

وفيما يتعلق بتفاصيل تلك الثورة فسببها[3]. أن الأمير إسماعيل«كان معتقلاً في بعض أبراج قلعة الحمراء،وكانت تؤازره جماعة من الزعماء الناقمين على الغني بالله،وفي

---

(١) دراسة وتحقيق ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام،ص: ٥٧وما بعدها.

(٢) خير الدين الزركلي:المرجع السابق،ج٦،ص:٢٣٥.

(١) ينظر:ابن الخطيب:اللمحة البدرية في الدولة النصرية،القسم الخامس الخاص بنسق الدول،واتصال الأواخر منها بالأول،ص:٤٢ وما بعدها.

مقدمتهم صهره الرئيس عبد الله،وتعمـل سـراً لإسـقاط الغـني بالله،وإجلاسـه في الملـك مكانه،وكانت أمه المقيمة بالقصر،تؤيد مشاريعه بالسعي،والبذل الوفير،وكان السلطان قد تحول بولده إلى سكنى قصر(جنة العريـف)الواقـع شمـال شـرقي قصـر الحمراء،فـانتهز المتـــآمرون ذات مســـاء فرصـــة ابتعـــاده عـــن دار الملـــك وهـــاجموا قلعـــة الحمـــراء(٢٨رمضانســـنة:٧٦٠هـــ)،ونفـــذوا إلى دار الحاجـــب رضـــوان،وقتلوه بـــين أهله،وولده،ونادوا بإسماعيل أخي السلطان ملكاً مكانه.وشعر محمد الغـني بـالله بعبـث المقاومة ففر إلى وادي آش»[1].

أمام هذه التغيرات التي طرأت أضحى ابن الخطيب في وضعية جد حرجة،فالملك الذي كانت تربطه به علاقة وطيدة أزيح عن الحكم،ولم يجد من طريقـة للحفـاظ علـى منصـبه سوى مصانعة الملك الجديد،وسعى إلى استمالته،فمنحه منصب الـوزارة مؤقتـاً[2]،وبعـد تحـريض مجموعـة مـن حسـاد ابـن الخطيب،ومنافسيه،شـكك في نوايـاه،وقرر القـبض عليه،وتمت مصادرة جميع أملاكه،ومتاعه،وبين عشية،وضحاها،فقد ابـن الخطيـب ثروتـه العريضة[3].

وقد قص علينا تفاصيل هذه المحنة في كتاب(الإحاطة)بقوله:« وتُقبض علي،ونكث مـا أبرم من أماني،واعتقلت بحال ترفيه،وبعد أن كبست المنازل،والدور،واستكثر من الحرس وختم على الأعلاق،وأبرد إلى ما نأى،فاستؤصـلت نعمـة لم تكـن بالأنـدلس مـن ذوات النظـائر،ولا ربـات الأمثـال،في تبحـر الغلة،وفراهـة الحيوان،وغبطـة العقار،ونظافـة الآلات،ورفعـــة الثياب،واســـتجادة العـــدة،ووفور الكتـــب،إلى الآنيـــة والفـــرش

---

(٢)عبد الله عنان:المصدر السابق،مج١،ص:٢٤.

(٣) محمد رضوان الداية:نثير فرائد الجمان لابن الأحمر،ودراسة في حياته،وأدبه،ص:٢٣.

(٤) عمر فروخ:المرجع السابق،ج٦،ص:٥٠٥.

والماعون،والزجاج والطيب،والذخيرة،والمضارب والأقمشة،واكتسحت السائمة،وثيران الحرث،وظهر الحمولة،وقوام الفلاحة،وأذواد الخيل،فأخذ الجميع البيع،وتناهبتها الأسواق،وصاحبها البخس،ورزأتها الخونة،وشمل الخاصة،والأقارب الطلب،واستخلصت القرى،والجنات،وأعملت الحيل،ودست الإخافة،وطوقت الذنوب،وأمد الله بالصبر،وأنزل السكينة،وانصرف اللسان إلى ذكر الله تعالى،وتعلقت الآمال به،وطبقت نكبة مُصحفية مطلوبها الذات،وسبب إفاتتها المال،حسبما قلت،عند إقالة العثرة،والخلاص من الهفوة»[1].

بيد أن نكبة ابن الخطيب لم تطل،فقد أرسل ملك المغرب السلطان أبو سالم سفيره(الشريف أبا القاسم التلمساني)إلى ملك غرناطة الجديد،وطلب منه السماح للملك المخلوع(الغني بالله)ووزيره ابن الخطيب بمغادرة الأندلس،والمجيء إلى المغرب،فاستجاب سلطان غرناطة لطلبه،وذلك رغبة منه في الإبقاء على أواصر الود مع بني مرين،والحفاظ على صداقتهم،للاستعانة بهم لضمان مستقبل الدولة الإسلامية التي كانت تتعرض بين الفينة،والأخرى لهجمات النصارى[2]،فتم إطلاق سراح ابن الخطيب مع نفر كبير من الحاشية،والتحقوا بالسلطان الذي كان بوادي آش،ومن ثم وصلوا إلى المغرب الأقصى،وحلوا بمدينة فاس في محرم:٧٦١هـ(ديسمبر١٣٥٨م)،وقد استقبلهما السلطان أبو سالم استقبالاً حاراً،وأقام على شرفهم حفلاً عظيماً،وبهذه المناسبة ألقى ابن الخطيب قصيدة أصبحت من أروع قصائده،دعاه فيها إلى نصرة سلطانه[3]،يقول في مطلعها:

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة،مج١،ص:٢٤ وما بعدها.

(٢) عمر فروخ:المرجع السابق،ج٦،ص:٥٠٥.

(١) إحسان عباس:الكتبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب،المقدمة،ص:٨ وما بعدها.

(٢) ينظر :محمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي:المرجع السابق،بحث خاص عن ابن الخطيب في المغرب،ص:٢٣٢ -٢٤٨.

سَلاَ هَلْ لَدَيْهَا مِن مُخَبَرةٍ ذِكْرُ   وهَلْ أَعْشَبَ الوَادِي ونَمَّ بِهِ الزَّهْرُ

وقد شهد ابن خلدون ذلك الحفل بصفته من كبار رجال البلاط المريني،وتحدث عن ابن الخطيب فقال: « إن ابن الخطيب استولى على سامعيه،فأبكاهم تأثراً،وأسفاً».

ووصف ابن الخطيب ذلك الحفل بأن القوم كانوا يرتجفون تأثراً،وتسيل منهم العبرات.

وقد طاب العيش لابن الخطيب بالمغرب الأقصى،وحظي بعناية فائقة من قبل السلطان أبي سالم،وفي هذه الفترة توثقت الصداقة بينه،وبين ابن خلدون«وقد كان كل منهما يسمع عن صاحبه،ويتوق إلى لقائه،حتى جمعت بينهما الحوادث،فقد كان كلاهما أستاذ عصره،وقطره في التفكير،والكتابة،وكان كلاهما وزيراً مستبداً،ومستشاراً لأمراء عصره.

والواقع أن ابن الخطيب قد وجد الحفاوة،والاحترام أينما حل بالمغرب من السلطان ووزرائه،ومن الشعب،وشخصياته،فأنزله السلطان أبو سالم في قصر من قصوره محفوفاً بالعناية،والتعظيم،ثم طلب ابن الخطيب الإذن من أبي سالم في الاستقرار بمدينة(سلا)ليخلو إلى العبادة،والتأليف،وملاقاة العلماء،والصالحين،والزهاد،فأسعف قصده،ولبى طلبه،وقصد ابن الخطيب مع أهله(سلا)،واستقر بها مدة،ثم استأذن السلطان المريني أبا سالم في التجول في جهات مراكش،وزيارة معالمها الأثرية،والتبرك بقبور الصالحين بها،فأذن له بذلك،وكتب إلى ولاته باستقباله،وإكرامه،وتحقيق رغائبه[١]،وكان من نتائج هذه الرحلة الشائقة أن أخرج لنا ابن الخطيب كتابه(نفاضة الجراب في علالة الاغتراب)واصفاً فيه هذه الرحلة أجمل وصف،وأدقه،فقد ذكر فيه من لقيه من العلماء،والأدباء،والولاة،والكبراء،والشخصيات مع وصف الإقليم جغرافياً،واقتصادياً وكرم سكانه،وعاداتهم»[٢].

---

(١) محمد الشريف قاهر: المرجع السابق،ص: ٦٠ وما بعدها.

وفي هذه الفترة توفيت زوجة ابن الخطيب في السادس من ذي القعدة من عام:٧٦٢هـ،حينما كان مقيماً بمدينة(سلا)،وقد تألم ألماً شديداً لوفاتها[1]،وقال عن هذا الرزء الفادح الذي حل به،وهو في المنفى:« وفي السادس لذي القعدة من عام اثنين وستين وسبعمائة طرقني ما كدر شربي،ونغص عيشي من وفاة أم الولد عن أصاغر زغب الحواصل بين ذكران،وإناث في بلد الغربة،وتحت سرادق الحشمة،ودون أذيال النكبة،فجلت عليها حسرتي،واشتد جزعي،وأشفيت لعظم حزني،إذ كانت واحدة نساء زمانها جزالة،وصبراً،ومكارم أخلاق،حازت بذلك مزية الشهرة،حيث حلت من القطرين،فدفنتها بالبستان المتصل بالدار بمدينة(سلا)،ووقفت على قبرها الحبس المغل لمتولي القراءة دائماً عليها،وصدر عني مما كتبت على ضريحها،وقد أغرى به التنويه والاحتفال:

رَوْعَ بَالِي وَهَاجَ بِلَبَالِي	وَسَامَنِي الثُكَلُ بَعدَ إِقبَالِ
ذَخِيرَتِي حِينِ خَانَنِي زَمَنِي	وَعُدَتِي فِي اشتِدَادِ أهوَالِ
أَمَا وقَد غَابَ فِي تُرَابِ سَلا	وجهُكِ عَنِي فسَلَتُ بالسالِي
فانتظِرِينِي فَالشوقُ يُقَلِقُنِي	ويَقتَضِي سُرعَتِي وإِعجَالِي»[2].

(٢) عبد المجيد التركي: مقدمة كتاب مثلى الطريقة في ذم الوثيقة للسان الدين بن الخطيب،ص: ١٤.

(٣) ابن الخطيب:نفاضة الجراب في علالة الاغتراب،تحقيق:د.أحمد مختار العبادي،ج:٠٢،ص: ٢٠٥.

وعلى الرغم من المحن التي تعرض لها ابـن الخطيـب في هـذه الفترة،فإنـه لم يتوقـف عـن الإنتاج،والتأليف،ومن أهم المؤلفات التي كتبها في تلك الفترة:

١- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار.

٢- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب.

٣- اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية.

٤- الحلل المرقوقة في اللمع المنظومة.

٥- رقم الحلل في نظم الدول.

٦- كناسة الدكان بعد انتقال السكان.

٧- رسائل في فنون مختلفة،معظمها نظمه شعراً.

وفي هذه الأثناء وقعت ثورة في فاس فقد فيه السلطان أبو سالم عرشه في التاسع عشر من ذي القعدة٧٦٢هـ(١٣٦١م) [١]،واستولى على الحكم مدبر الانقلاب الوزير عمر بـن عبد الله حيث أعان ابن الأحمر المخلوع علـى أمره،وسـاعده في اسـترجاع عرشـه حينمـا اندلعت ثورة جديدة في غرناطة صرع فيها السلطان إسماعيل ابن الأحمر على يد الرئيس أبي سعيد،وقد ساعده الوزير عمر بن عبد الله بمنحه مدينة(رندة) التي كانت تابعة لأملاك بني مرين ،واتخذها مركزاً له لتدبير خططه،وبعد فـترة غـزا ثغـر(مالقـة)،واسـتولى علـى غرناطة،وتربع على العرش من جديد في جمادى الآخرة عام:٧٦٣هـ(١٣٦١م) [٢].

وبعد فترة قليلة كتب رسالة إلى الوزير المنفي لسان الدين بن الخطيب بتاريخ:١٤جمادى الآخرة يدعوه فيها إلى تقلد منصبه السابق،وقد أثنى فيها عليه أيما ثنـاء ،وممـا جـاء فيهـا قولـه:« الفقيـه الـوزير الجليـل الصـدر الأوحد،المشـير،العالم العلـم الكـبير الرفيـع الشهير...إمام البلغاء،وصدر الخطباء،وعلم العلماء،وكبير الرؤسـاء...»،فاسـتجاب ابـن الخطيب،وعاد رفقة أسرته،وصحبه،ففي الثامن من شهر رمضان أصـدر السـلطان قـراراً

---

(١) محمد الشريف قاهر: المرجع السابق،ص: ٦٠ وما بعدها.

(٢) حمدان حجاجي: حياة وآثار ابن زمرك،شاعر الحمراء،ص: ١٠.

بإعادته إلى منصبه،وفي هذه المرحلة تغيرت الأوضاع،ووجد من يدبر لـه المكائد،ويزاحمـه منصبه،وينافسه على السلطة وهو شيخ الغزاة(عثمان بن أبي يحيى)الذي كان له الفضـل الكبير في استرجاع السلطان للعرش،وقد نشب بينهما خلاف،وتمكن ابـن الخطيـب مـن التغلـب عليـه،وأخاف الملـك مـن غـدره، ومكائـد أشياعه،فاسـتجاب السـلطان لنصائحه،وقضى عليه في شهر رمضان: ٧٦٤هـ(١٣٦٣م).

ومـا كـاد ابـن الخطيـب يـتخلص مـن مكائـد عثمـان،حتى شـعر بمـا يحـيط بـه مـن دسائس،ومكائد،وفي هذه المرة أحس أن السلطان يستجيب لخصومه[1]،**وقد تـزعم الحملة ضده هذه المرة كل من:**

الشاعر محمد بن يوسف المعروف ب(ابن زمرك)،وهو تلميـذ ابـن الخطيب،ومعاونـه في الوزارة. و قاضي الجماعة أبو الحسن علي بن عبد الله النباهي،ولي نعمة ابن الخطيب.

وبعد أن خشي ابن الخطيب من دسائس الرجلين قرر مغادرة الأنـدلس نهائياً،فوصـل إلى سبتة،والتحق بتلمسان،واستقبله فيها السلطان عبد العزيز بجفـاوة كبيرة،وأكرمـه،كما راسل سفراءه للحديث مع السلطان حتى يسمح إجازة أسرة ابن الخطيب،فاستجاب ابن الأحمر لطلبه سنة:٧٧٣هـ(١٣٧١م) [2].

على الرغم من ابتعاد ابن الخطيب عن غرناطة،إلا أن حقـد أعدائـه لم يتوقف،وظلـوا متخوفين من عودته،فأخذوا يسعون إلى الإطاحة به[3]،والتخلص منه بصفة نهائية،فأخذوا يراجعون مـا كتبـه أيـام شبابه،وكهولته،ولاسـيما في كتابـه«روضـة التعريـف في الحـب

---

(١) محمد رضوان الداية: الأدب الأندلسي والمغربي -أبحاث في الأدب الأندلسي والمغربي -،ص: ٢٥٧.

(٢) محمد كمـال شـبانة:مقدمـة كتـاب معيـار الاختيـار فـي ذكـر المعاهـد والـديار للسـان الـدين بـن الخطيب،ص:١٧ وما بعدها.

(٣) جرجي زيدان:تاريخ آداب اللغة العربية،مج٢،ص:٢٢٥.

الشريف»،فاتهموه بالزندقة،والخروج عن شريعة الإسلام،وذهبوا إلى أن فيها طعناً في النبي،ومجاراة لمذهب الفلاسفة الملحدين،وروجوا في أوساط العلماء أن كتبه التاريخية الكثير منها هو من قبيل(الغيبة المحرمة).و كان زعيم،ومُروِّج هذه الدعاية تلميذه ابن زمرك الذي خلفه في الوزارة،وتولى تلفيق الاتهام،وصياغته القاضي أبو الحسن النباهي،وأصدر فتوى بضرورة إحراق كتب ابن الخطيب،وتم إحراقها في منتصف سنة:٧٧٣هـ،وذلك بمحضر الفقهاء،والمدرسين من العلماء،و أماثيل الفقهاء[١].

وما تجدر الإشارة إليه أن القاضي النباهي كان من أنصار ابن الخطيب،ومن أشد المدافعين عنه،والمحبين له،وتعيينه قاضياً للجماعة تم على يدي ابن الخطيب،وفي كتاب(الإحاطة)نلفي ترجمة متميزة له وضعها ابن الخطيب،ووصفه فيها بأحسن الأوصاف،وبعد أن خبا نجم ابن الخطيب وقف النباهي إلى جانب ابن زمرك،وصار من أشد خصومه[٢].

وقد وجه النباهي رسالة إلى ابن الخطيب ملأها بمثالبه،واتهمه بالإلحاد،والزندقة،كما عهد إلى قضاة غرناطة يطالبهم باستصدار حكم الإعدام فيه،وحصل على موافقة السلطان،وبعث القاضي أبو الحسن نوابه إلى السلطان عبد العزيز لمطالبته بتنفيذ الحكم في لسان الدين،غير أن السلطان رفض ذلك[٣]،وخاطبهم قائلاً:« هلا أنفذتم فيه حكم الشرع وهو عندكم،وأنتم عالمون بما كان عليه».كما بالغ السلطان عبد العزيز في العناية

(١) محمد عبد الله عنان:مقدمة كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة،ص:٣٦.

(٢) ينظر:ابن خلدون:كتاب العبر،مج٧،الخبر عن مقتل ابن الخطيب،ص:٤٠٤ وما بعدها.

(٣) ينظر:المقري:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،مج٢،مخاطبات ابن زمرك للسان الدين،ص:٧٥ وما بعدها.

بابن الخطيب وإكرامه، ومما يُذكر أن ابن الخطيب قد طالب السلطان عبد العزيز بضم غرناطة إلى مملكته بعد أن لاحظ قوة المغرب،وبعد مدة قصيرة يموت السلطان عبد العزيز،ويجلس على عرش المغرب ابنه(أبو زيان محمد السعيد)،وهو ما يزال طفلاً،وفي ربيع الآخر٧٧٤هـ(١٣٧٢م) يستولى على السلطة الوزير(أبو بكر بن غازي)،وفي هذه الفترة حاول السلطان ابن الأحمر الإيقاع بابن الخطيب،وطلب من ابن غازي أن يبعث به إليه،ولكنه رفض،فتوترت العلاقة بين النظام القائم في فاس،وغرناطة.[1]

وبعد أن كثرت الأقاويل في الوزير ابن غازي بسبب مبايعته لصبي صغير،ألف ابن الخطيب كتاباً له وسمه ب«أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام».

بعد أن ساءت العلاقة بين فاس وغرناطة بذل ابن الأحمر جهوداً كبيرة لإسقاط نظام ابن غازي فأوغر صدور الأمراء المرينيين،وحرضهم على الثورة،كما سعى إلى إقناع حكام الأقاليم،ولاسيما منهم حاكم سبتة بأنه من الأحسن أن يكون الملك رجلاً عاقلاً راشداً،لا طفلاً صغيراً،وتم الاتفاق على تنصيب الأمير المريني(أبو العباس أحمد بن أبي سالم)ملكاً على المغرب،وأن يكون محمد بن عثمان الوزير مستقبلاً[2]، **وقدم له مساعدات ضخمة للإطاحة بالحكم،شريطة تحقيق ثلاثة مطالب رئيسة بعد نجاح العملية:**

١- تسليم ابن الخطيب.

٢- تسليم الأمراء المناهضين لابن الأحمر.

٣- تسليم جبل طارق.

بعد أن وقعت بعض الحوادث بالمغرب الأقصى،اندلعت الثورة،وحدث الانقلاب الذي طالما سعى ابن الأحمر من أجل إحداثه،وتم تعيين الأمير(أحمد بن السلطان أبي سالم)والياً على المغرب سنة:٧٧٦هـ(١٣٧٤م).

---

(١) محمد كمال شبانة:المرجع السابق،ص:٢٠ وما بعدها.

(٢) عبد المجيد التركي:المرجع السابق ،ص:١٣.

ولم تمض سوى بضعة أيام حتى أمر بالقبض على ابن الخطيب،وسجنه،وذلك تنفيذاً لما تم الاتفاق عليه،ووصل الوزير ابن زمرك تلميذ ابن الخطيب إلى فاس يترأس وفداً يحمل عريضة الاتهام،وقد كان الوزير الجديد ببلاط فاس سليمان بن داود، وهو واحد من ألد خصوم ابن الخطيب،وتم إحضاره إلى المشور،ومناقشته حول ما نسب إليه من الإدعاءات حول ما ورد في بعض كتبه،وقد أفتى بعض الفقهاء بقتله،وفي الليل دس سليمان بن داود بعض المرتزقة،والأوغاد من حاشيته فدخلوا عليه السجن وقتلوه خنقاً،ودفن بمقبرة(باب المحروق)،وفي الصباح ثم سحب جثته من جديد،وإحراقها[1] ،ولذلك لقب ابن الخطيب بذي الميتتين،كما لقب بذي الوزارتين،أي السيف والقلم،ويقال له ذو العمرين،لاشتغاله بالتأليف،والكتابة والتصنيف في الليل،وتدبير شؤون الوزارة والمملكة في النهار[2]،وقد كان مقتله في أواخر عام:٧٧٦هـ(١٣٧٥م) [3].

وبخصوص العلاقة بين لسان الدين ابن الخطيب،وأدباء عصره،فيمكن أن نمثل لهذه العلاقة بشخصية الأديب الأمير إسماعيل بن يوسف بن محمد ابن الأحمر، فقد فصلها الباحث محمد رضوان الداية تفصيلاً دقيقاً،وقدم متابعة تاريخية لها،ولذلك سنستند إلى رؤيته المقدمة عن هذه العلاقة،فهو يرى في البدء أن العلاقة بين لسان الدين ابن الخطيب،**وابن الأحمر غامضة لسببين اثنين**:

«**الأول**:أن ما ذكره ابن الأحمر عن تلك العلاقة كان تلميحاً دون الإيضاح،**والثاني** إعراض لسان الدين عن ذكر إسماعيل بن الأحمر باسمه في أي موضع مما نعرف من مصنفاته،فمنهجه في اللمحة البدرية،والكتيبة الكامنة،وحتى الإحاطة يقتضي أن يذكر إسماعيل هذا فيها،أو في بعضها باعتباره من الأسرة النصرية،أو ممن عنوا

---

(١) ابن الخطيب: ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام ،ص:٨٥.

(٢) خير الدين الزركلي: المرجع السابق،مج٦، ،ص:٢٣٥.

(٣) ينظر: بطرس البستاني:أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث،ص:٣٥ و١٥٩.

بالفقه،والأدب،والثقافة.وما كان حظ إسماعيل هذا من لسان الدين إلا إشارة عابرة فيها من التنكير أكثر مما فيها من التعريف حين قال: (وليوسف هذا ابن يباشر خدمة السلطان).

ولا نعلم شيئاً عن علاقتهما في الأندلس،وعلى كل حال فإن ابن الأحمر غادر الأندلس قبل أن يحتل لسان الدين مكان أستاذه ابن الجياب بعد أن توفي في الطاعون الجارف سنة ٧٤٩هـ.

أما في المغرب،فقد تردد لسان الدين على فاس مرات،منها سفرة سنة:٧٥٥هـ،قدم فيها من الغني بالله إلى أبي عنان،ومنها إقمته في فاس،وغيرها من المدن المغربية،وقت لجوئه مع مخدومه النصري سنة:٧٦١هـ،وآخرها حين لجأ لسان الديني إلى البلاط المريني سنة:٧٧٣هـ.وكان دأب ابن الأحمر أن يتصل بالقادمين من وطنه،يتسقط أخباره،ويفيد علماً،وأدباً.ومن ذلك ما رواه في نثير الجمان،من أنه لقي أبا البركات البلفيقي(محمد بن محمد السلمي)لما قدم رسولاً من الغني بالله إلى السلطان المريني أبي سالم إبراهيم،ولقي أيضاً لسان الدين،وقد ترجم ابن الأحمر لابن الخطيب مرتين:في نثير الجمان،وفي نثير فرائد الجمان،وذكر نتفاً من أخباره متفرقات خلال الكتابين.ومما يؤسف له حقاً أن ترجمة لسان الدين مفقودة من كتاب نثير الجمان،وهي كما أظن أهم من ترجمته في نثير فرائد الجمان لأنها كتبت في وقت قريب من مصرع ابن الخطيب»[1].

وقد مرت العلاقة بين ابن الخطيب،وابن الأحمر **بفترتين:**

الأولى:شملت المدة التي سبق لجوء ابن الخطيب إلى بني مرين،وهي مرحلة يصفها محمد رضوان الداية بالعادية«لا يشوبها شيء يعكر صفوها،بل ربما كانت بينهما صداقة،أو علاقة شيخ بمستفيد،فقد سماه في ترجمته لمحمد بن محمد العريف الغرناطي (شيخنا ذو الوزارتين ابن الخطيب...)،وقال في موضع آخر(وأنشدني في الحنين إلى الأوطان ذو الوزارتين الحاجب القائد الخطيب الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى أبو عبد الله محمد

---

(١) محمد رضوان الداية: دراسة وتحقيق: نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان،ص:٧٨ وما بعدها.

بن الفقيه الخطيب الكاتب أبي محمد عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني الأندلسي بفاس بتشوق معاهده بالأندلس لما كان بالعدوة،حين خلع عن ملكه مخدومه ابن عمنا السلطان الغني بالله محمد:

أُحِبُك يا مَغنَى الحُقُوق بواجِبِ　　　واَقْطَعُ في أَوصَافِك الغُرِ أَوقَاتِي

تَقسَّم منك التُربُ أَهلِي وَجِيرَتِي　　　فَفِي الظُهَرِ أَحَيَائِي وفي البَطَنِ أَموَاتِي

وقال في مقدمة ترجمته(أدركته وخاطبته وخاطبني...)،وهذه الأخبار كافية للدلالة على تلك العلاقة.

والثانية:تشمل مدة لجوء ابن الخطيب إلى بني مرين،أو معظمها،إذا سلمنا بما قاله ابن الأحمر من أنهما تصافيا بعد خصام.وقال ابن الأحمر في ترجمة لسان الدين في نثير فرائد الجمان بعد أن عظّمه،ومدحه:(لكن صل لسانه في الهجاء لسع،ونجاد نطاقه في ذلك اتسع،حتى صدمني،وعلى القول فيه أقدمني،بسبب هجوه في ابن عمي ملك الصقع الأندلسي،سلطان ذلك الوطن في النفر الجني،والإنسي.ثم صفحتُ عنه صفحة القادر الوارد من مياه الظفر غير الصادر،لأن مثلي لا يليق به إظهار العورات،ولا يحمد له تتبع العثرات،اتباعاً للشرع الكريم في تحريم الغيبة...).

وفيما عدا هذه الثغرة التي يقول ابن الأحمر إنه رأبها،وفحوى كلامه تدل-بالطبع-على أن ذلك تم في حياة لسان الدين،لأنه لا معنى للصفح عمن صار في الأموات دون الأحياء،فإن مطالع كتب ابن الأحمر،والنقول التي نقلت عنه يشعر بأن إسماعيل بن الأحمر لا يذكر لسان الدين إلا بالإجلال،والإكبار حتى أنه لقبه ب(شيخنا).وقد خصص نحواً من ربع كتابه(نثير فرائد الجمان)لشعر ابن الخطيب،ونثره،وذكر كتبه،وأخباره.ولكننا مع كل هذا لا ندري ما هو السر الذي جعل لسان الدين يُعرض عن ذكر ابن الأحمر،وحدا به لأن يهمله هذا الإهمال المزري مع احتفاله بمن هم دونه»[1].

---

(١) محمد رضوان الداية: المرجع السابق،ص:٨٠ وما بعدها.

ثانياً: عصره:

عاش لسان الدين بن الخطيب في الفترة الممتدة ما بين: (٧١٣-٧٧٦هـ)،في عصر دولة بني الأحمر،أو بني نصر،وقد تأسست دولة بني الأحمر فيما يجمع عليه أغلب المؤرخين سنة:٦٢٦هـ على يد محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الأنصاري الخزرجي المعروف بابن الأحمر.

وقد كان تأسيس هذه الدولة«بعد انصراف أبي العلاء إدريس المأمون من الأندلس مصطحباً معه من بقي من كبار جند الموحدين في شبه الجزيرة،فبقيت الأندلس بدون حماية يحسب لها حساب،وبرز في صفوف المسلمين نفر من الزعماء كل منهم يحاول أن يتزعم ما بقي من المقاتلين في الأندلس لكي يقيم لنفسه دولة في هذا الجزء الباقي للمسلمين في الأندلس...،وبقي في الميدان محمد بن يوسف بن هود الجذامي،فحاول أن يجمع حوله كل من وجد في جنوبي شبه الجزيرة من فرسان المسلمين،وتمكن لفترة قصيرة من أن يصمد للضغط النصراني،وأيده الناس في الأندلس،وقد بدأ نشاطه سنة:٦٢٥هـ،ودخلت في طاعته مرسية،وقرطبة،وإشبيلية،وغرناطة،ومالقة،والمرية،وعدد آخر من صغار المدن،والحصون»[1].

وقد كادت تستقيم له الأمور لولا ثورة البيت النصري بقيادة أبي عبد الله محمد بن يوسف بن نصر الذي أعلن نفسه أميراً على الأندلس عام:٦٢٩هـ(١٢٣١م)،وامتدت فترة حكمه إلى غاية:٦٧١هـ،[2] ويجمع المؤرخون لهذه الفترة على أن مملكة غرناطة قد ازدهرت في أيامه«ازدهاراً عظيماً نظراً إلى ما امتاز به من عقل،وحكمة،وحسن تدبير،وما لقي من تأييد زعماء المسلمين،وخاصة بني أشقيلولة الذين انفردوا بالسلطان في وادي آش،وبعض النواحي الشمالية من بلاد مملكة غرناطة،أما بقية بلاد المملكة من أمثال شريش،وأركش،وشذونة،ونيريشة،ولبلبة،والجزيرة الخضراء،وجبل طارق،فقد كانت كلها في طاعة ذلك الرجل الذي استطاع بحكمته،وبعد نظره أن يعمر تلك المملكة الصغيرة

---

(١) حسين مؤنس:معالم تاريخ المغرب والأندلس،ص:٤٤١.

(٢) حمدان حجاجي:حياة وآثار ابن زمرك شاعر الحمراء،ص:٧.

التي قامت سنة:١٢٣٢م بعد ذلك فوق القرنين ونصف القرن،فلم تسقط إلا في يناير سنة:١٤٩٣م.وقد وصفه ابن الخطيب بأنه كان(آية من آيات الله في السذاجة،والسلام،والجمهورية-أي حب الناس له-،جندياً ثغرياً شهماً أبداً،عظيم التجلد،رافضاً للدعة،والراحة مؤثراً للتقشف،والاكتفاء باليسير متبلغاً بالقليل،بعيداً عن التصنع،مباشراً للحروب بنفسه،يلبس الخشن،ويؤثر البداوة)،وتلك صفات جديرة بأن تصل بصاحبها إلى ما وصل إليه محمد بن نصر من النجاح في إقامة دولته»[1]

بعد وفاة محمد بن نصر سنة:٦٧١هـ خلفه ابنه محمد،الذي ولد بغرناطة سنة:٦٣٣هـ،وقد عُرف بمحمد الثاني الفقيه،وتذكر المصادر أنه تلقب بالفقيه لعلمه،وتقواه،وصبره،وإيثاره للعلماء،وقرض الشعر،وحرارة النادرة،وكثرة الملح[2]

وقد قارن الباحث حسين مؤنس بينه،وبين والده،وذهب إلى أنه كان قريباً من أبيه في الصفات،بيد أن ظروفه كانت أسوأ،لأن ألفونسو العاشر الذي تولى الحكم عام:١٢٥٢م كان يرغب في القضاء على المسلمين في شبه الجزيرة،وفي أيامه ظهرت مشكلة النزاع على مضيق طارق،وعلى الرغم من اجتهاده في المحافظة على البلاد غير أنه فقد مدينة طريف[3]،وكانت وفاته في الثامن من شعبان سنة:٧٠١هـ،ودفن في شرقي المسجد الأعظم،وقد تولى الملك بعده ابنه(أبو عبد الله محمد الملقب بالمخلوع)،وامتدت فترة حكمه إلى سنة:٧٠٨هـ(١٣٠٨م)،وشهدت أيامه انفلاتاً،وعرفت جملة من الاضطرابات ،ومما يُذكر أنه كان لا يجيد تدبير شؤون الحكم،على الرغم من أنه اشتهر بمحبته،وتقديره للعلم،والعلماء،وقد شهد عهده أول الفتنة التي تواصلت-على أشكال مشابهة ومختلفة- إلى آخر أيام دولة بني نصر،فقد ثارت عليه طائفة من كبار رجال

---

(١) حسين مؤنس:المرجع السابق،ص:٤٤٤،وما بعدها.

(٢) المقري:نفح الطيب،مج٤،ص:٣٨٤.

(٣) حسين مؤنس:المرجع السابق،ص:٤٤٥ وما بعدها.

الدولة،وتم قتل الوزير ابن الحكيم،ونصب شقيقه(أبو الجيوش نصر)مكانه،ونقل مخلوعاً معتقلاً إلى(المنكب) [1]

وبعد محمد المخلوع جاء عهد أبي الجيوش نصر[2]الذي كان ولوعاً«بالأبهة والعظمة،محباً للمظاهر الملوكية،وكان في الوقت نفسه أديباً عالماً في الرياضة،والفلك،ولكنه لم يحسن التدبير،وسرعان ما سخط عليه الشعب كسخطه على أخيه المخلوع من قبل،فاضطربت الأمور،وكانت أيامه أيام نحس مستمر،شملت المسلمين فيها الأزمة،وأحاط بهم الذعر،وانتهز القشتاليون-كعادتهم-اضطراب الأمور في غرناطة،فغزا فرديناند الرابع ملك قشتالة في:١٢صفر٧٠٩هـ الجزيرة الخضراء فاحتلها،ثم قصد إلى جبل الفتح فحاصره حصاراً شديداً براً،وبحراً عدة أشهر،حتى أضنى المسلمين الحصار،وأرغموا على التسليم في أواخر٧٠٩هـ،مارس١٣١٠م»[3]

وفي٧١٣هـ (١٣١٣م)،وهي السنة التي ولد فيها لسان الدين بن الخطيب استولى على الحكم(أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف) [4]، وتمت مبايعته بمالقة،ويتفق أغلب المؤرخين على أن هذا السلطان كان من أحسن من تولى الإمارة بعد محمد الغالب بالله،وابنه محمد الفقيه،فقد عرف بصرامته،وحزمه،وبعد نظره،وإدراكه

---

(١) محمد رضوان الداية:نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان لابن الأحمر مع دراسة لحياته وأدبه،ص:١٨

(٢)عبد العزيز عتيق:الأدب العربي في الأندلس،ص:١١٩.

(٣)محمد الشريف قاهر:المرجع السابق،ص:٢٦.

(٤)ابن الخطيب:اللمحة البدرية في الدولة النصرية،ص:٨٢.

لحقائق الوضع في المملكة[1]،وبفضل سياسته الصائبة تمكن من الحفاظ على أراضي بلاده،والتخلص من التبعية لقشتالة،واستقل بنفسه معتمداً على قوات بني مرين[2]
استمرت دولة إسماعيل بن فرج إلى غاية سنة:٧٢٥هـ(١٣٢٤م)،حينما قُتل غيلة بطعنة من ابن عمه محمد بن إسماعيل المعروف بصاحب الجزيرة،وولي العهد بعده ابنه(أبو عبد الله محمد)المولود سنة:٧١٥هـ،ويلقب ب(محمد الرابع)،وقد امتدت فترة حكمه إلى عام:٧٣٣هـ(١٣٣٣م)،وقد كان«أديباً شجاعاً ذا مروءة،فتح حصن قبرة،وباغورة،ومنع الاسبان بسياسة،وملاينة من جبل الفتح.من وزرائه أبو بكر بن المول،ورئيس كتابه ابن الجياب،وقد تعرض هذا السلطان لفتنة ذر قرنها في أندرش،أثارها رئيس الجند الغربي عثمان بن أبي العلاء»[3]،وقد انتهى نهاية مأساوية،إذ قتل من قبل جماعة من المتآمرين بأمر من بني العلاء الذين عزموا على التخلص منه.

وتولى عرش غرناطة بعده شقيقه يوسف بن إسماعيل بن فرج،وقد كان عمره إبان توليه العرش ستة عشر عاماً فهو مولود سنة:٧١٨هـ،وكان من بين وزرائه الكاتب والشاعر(أبو الحسن علي بن الجياب)أستاذ لسان الدين بن الخطيب،ومن بين أعوانه والد ابن الخطيب عبد الله،وحينما استشهد بطريف سنة:٧٤٠هـ عين ابنه لسان الدين خلفاً له،وأصبح أمين أستاذه ابن الجياب،وفي عام:٧٤٩هـ توفي ابن الجياب بسبب مرض الطاعون فحل ابن الخطيب محله،وبدأ نجمه يسطع في عالم السياسة[4].

---

(١) ابن الأحمر إسماعيل بن يوسف بن محمد:نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان،ص:١٩.

(٢) السيد عبد العزيز سالم:تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس،ص:١٠٠.

(٣)عبد القادر زمامة:أبو الوليد ابن الأحمر،ص:٢٤ وما بعدها.

(٤)أحمد بدر:تاريخ المغرب والأندلس،ص:٢٧٥.

وتوفي يوسف بن إسماعيل بن فرج سنة:٧٥٥هـ(١٣٥٤م)،حيث طعنه رجل ممرور،وهو يؤدي صلاة عيد الفطر بالجامع الأعظم بغرناطة،وتمت مبايعة ابنه الأكبر محمد بن يوسف المعروف ب(محمد الخامس)،والملقب ب(الغني بالله)،والمولود سنة:٧٣٩هـ(١٣٣٩م)[١]،وابن الخطيب هو الذي أملى البيعة«ولم يختلف عليه اثنان،وتولى له الحجابة،وشؤون الدولة(القائد أبو النعيم رضوان وزير أبيه وعمه)،وجدد لابن الخطيب الرسوم الوزارية من الوقوف بين يديه في المجالس العامة،وإيصال الوقائع،والرسائل،وتنفيذ الأحكام،وكان ابن الخطيب في أول أمره يتولى الكتابة،ثم رقاه إلى مرتبة الوزارة،وأوفده بعد توليه السلطة بقليل على رأس وفد من كبراء الأندلس سفيراً من قبله إلى ملك المغرب أبي عنان المريني،الذي خلف والده أبا الحسن عام:٧٥٥هـ»[٢]

وفي سنة:٧٦٠هـ قامت الثورة على الغني بالله من قبل قريبه محمد بن إسماعيل بن(محمد صاحب أندرش)بن أبي سعيد فرج،وعين أخا الغني بالله إسماعيل ابن يوسف،وقد فر الغني بالله مع وزيره إلى وادي آش،وبعد ذلك استشار سلطان المغرب أبا سالم إبراهيم بن علي المريني،فأجابه بالقبول،واستقبله بفاس،وبعدها عاد الغني بالله إلى الأندلس،ومعه السلاح،والجيش،وأقام مدة في رندة،ثم انطلق إلى مالقة،إلى أن دخل مدينة غرناطة،واستمر ملكه بها في دولته الثانية إلى غاية: ٧٩٣هـ(١٣٩٠م)،وقد شغل فترة غيابه الأمير إسماعيل بن يوسف(٧٦٠-٧٦١هـ-١٣٥٨-١٣٥٩م)،ثم قتله محمد بن إسماعيل بن محمد بن فرج،واستمر إلى أن انتصر الغني بالله[٣].

وبعد الغني بالله تولى الإمارة ابنه يوسف الثاني(٧٩٣-٧٩٧هـ-١٣٩٠-١٣٩٤م)،وقد عرف عهده هدوءً نسبياً،وقد برز في هذه الفترة الشاعر ابن زمرك تلميذ ابن

---

(١) محمد الشريف قاهر:المرجع السابق،ص:٣٩.

(٢) محمد رضوان الداية:المرجع السابق،ص:٢٣ وما بعدها.

(٣) المقري:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،مج٥،ص:٨٤.

الخطيب،والذي أسهم إسهاماً كبيراً في مقتله،وقد لقي مصرعه في عهده،ويختتم القرن الثامن بإمارة محمد بن يوسف بن محمد الغني بالله(٧٩٧-٨١٠هـ-١٣٩٤-١٤٠٧م)،وقد انقضى القرن الثامن الهجري فانقضت معه فترة الازدهار السياسي،والفكري،والأدبي في غرناطة وفاس،وحل عهد الانحدار إلى هوة السقوط [1] فغرناطة بعد الغني بالله لم تعد إلى سابق عهدها ،إذ تعاقب الملوك على العرش،ووقعت الكثير من الخلافات،والحروب بينهم،وكانوا يستعينون على بعضهم بملوك قشتالة،وبدأوا يفقدون تدريجياً بعد كل معركة حصناً من الحصون وبلاداً من البلدان الهامة،إلى أن انحصرت المملكة في مدينتي غرناطة،ووادي آش،وما حولهما.

وقد ظهر ضعف مملكة غرناطة،وبداية نهايتها في أيام أبي الحجاج يوسف الثاني المتوفى سنة:٧٩٤هـ(١٣٩٢م)،حيث اشتد العداء بينه،وبين بني سراج،وهي الفرصة التي استغلها ملك قشتالة فيما بعد،واستولى على بلدة الزهراء سنة: ٨٠٩هـ(١٤١٧م)،وبعدما سقط جبل طارق سنة:١٤٦٢م بقيادة القائد رودريجو بونسي ديليون وصلت مملكة غرناطة إلى مرحلة النفس الأخير،وتجلت نهايتها بوضوح سنة:٨٨٤هـ(١٤٧٩م)،حينما تم الاتحاد بين الملك فرناندو الرابع ملك أرغون،والملكة إيزابيلا الثانية ملكة قشتالة،وفي أواخر عام٨٨٧هـ تولى عرش غرناطة محمد بن أبي الحسن علي المعروف باسم أبي عبد الله،وبعد منافسات طويلة مع عمه أبي عبد الله محمد بن سعد،تمت محاصرة مملكة غرناطة بقوات ضخمة من قبل فرناندو وإيزابيلا اللذين قررا القضاء نهائياً على الوجود الإسلامي،وفي النهاية عقد أبو عبد الله الزغل معاهدة التسليم مع ملكي قشتالة وليون في:٢١من المحرم سنة:٨٩٧هـ/ نوفمبر١٤٩١م،وكان دخول فرناندو وإيزابيلا مدينة غرناطة في:الثاني من ربيع الأول٨٩٧هـ/ ٢يناير١٤٩٢م[2].

---

(١) .حسين مؤنس:معالم تاريخ المغرب والأندلس،ص:٤٥٣ وما بعدها.

(٢) محمد عبد الله عنان:نهاية الأندلس،ص:٢٢٤.

ثالثاً:آثاره:

ابن الخطيب عبقري خالد ،وشخصية موسوعية متعددة المواهب،ترك تراثاً حافلاً،ومتنوعاً في شتى الفنون،والآداب ما بين التاريخ،والأدب،والسياسة،والطب،والشعر،وغيرها،ومؤلفاته تزيد عن ستين مؤلفاً كما يذهب إلى ذلك بعض الباحثين ومن بينهم محمد عبد الله عنان،والبعض الآخر يرى أنها تربو على الخمسين كما يرى الباحث محمد كمال شبانة.

وقد وصل إلينا هذا التراث في أغلبه«ولاسيما المجموعة التاريخية والأدبية التي هي في الواقع لب تراث ابن الخطيب،والتي تلقي أعظم ضوء على تاريخ الأندلس،والمغرب في أواسط القرن الثامن الهجري،والظاهر أن مؤلفات ابن الخطيب التي لم تصل إلينا قد هلك معظمها في محنة إحراق كتبه التي وقعت في غرناطة سنة:٧٧٣هـ،وهي من كتب الطب،والتصوف،والموسيقى،وأن معظم كتبه التي نجت من تلك المحنة قد وصل إلينا عن طريق المغرب.والواقع أن ابن الخطيب قد وضع كثيراً من كتبه أثناء إقامته منفياً بالمغرب،خلال فترتين أولاهما ما بين سنتي:٧٦١هـ،وأواسط سنة:٧٦٣هـ،والثانية منذ أوائل سنة:٧٧٣هـ،حتى مصرعه في أوائل سنة:٧٧٦هـ»[1].

من خلال الترجمة التي كتبها ابن الخطيب عن نفسه في آخر كتاب«الإحاطة في أخبار غرناطة» أورد لنا أسماء مؤلفاته،ويبدو أن المحن،والتقلبات التي تعرض لها ابن الخطيب في حياته جعلت الكثير من المؤرخين،والمستشرقين لا يفرقون بين ما ألفه الرجل في المغرب،وبين ما ألفه في الأندلس،ويذهب(ليفي بروفنسال)إلى أن مؤلفات لسان الدين قد بلغت حوالي ستين كتاباً،ولكن لم يبق منها إلا الثلث تقريباً،ولا ريب في أن كتب ابن الخطيب سواءً المخطوطة التي لم تحقق بعد،أو حققت ونشرت لهي موضع تقدير من لدن مختلف الباحثين،والدارسين،وتحتل مركزاً ممتازاً بين المصادر التاريخية المعتمدة، ولاسيما منها ما يتطرق للغرب الإسلامي في المغرب،والأندلس،وستظل تنير سبل

(١) محمد عبد الله عنان،مقدمة كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة،مج:١،ص:٥٣.

العلماء،والمؤرخين،وهي ما تزال تحظى بالتقدير منذ عصره،إلى أيامنا هذه ليس عند العرب فحسب،بل عند غيرهم من الأمم[1].

وفيما يلي نعرض أهم مؤلفاته ،ونقدم لمحات موجزة عن بعضها ،وذكر البعض الآخر ،لأن بعضها مفقود ،والبعض الآخر مخطوط ،والبعض منسوب خطأً.

١- التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى(تراجم وتاريخ):

يحتوي هذا الكتاب على لمحات مختصرة عن تاريخ مملكة غرناطة،وذلك منذ نشأتها على أيدي بني نصر،كما أن فيه تراجم لأعيان الأندلس في القرن الثامن الهجري،وفيه ترجم ابن الخطيب لوالده،ولنفسه،كما نوه بمملكة بني الأحمر منذ نشأتها حتى عصر المؤلف[2].

٢- روضة التعريف بالحب الشريف:

وهو كتاب وضعه في التصوف،وقد كان هذا الكتاب من بين الكتب التي جلبت الكثير من الأذى لابن الخطيب،إذ« يعزو المؤرخون إلى هذا الكتاب أنه كان وثيقة الاتهام بالإلحاد،والزندقة ضد ابن الخطيب،حينما أملت الأهواء على من صاغوا صك الاتهام للرجل،حتى سيق إلى الموت من أجله،وتوجد من الكتاب نسخة مخطوطة بالرباط بيد أنها ناقصة،ومشوهة»[3].

وقد عارض ابن الخطيب بهذا الكتاب الذي يوصف بأنه(غريب المنزع)ديوان(الصبابة)لابن أبي حجلة التلمساني،وتكلم فيه على طريقة أهل الوحدة المطلقة، وقد جعله«شجرة ذات أفنان وعمود،مشتمل على القشر والعود،وأوراق وصورة طائر فوقها،ووجد هذا الكتاب صدى عند معاصريه،وأورد لنا ابن الخطيب نفسه

---

(١) محمد كمال شبانة،مقدمة كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار،ص:٢٩ وما بعدها.

(٢) محمد عبد الله عنان :المصدر السابق،ص:٣٦.

(٣) المصدر السابق،ص:٣٧.

إشارة إلى هذا الإعجاب في الرسالة التي وجهها إلى ابن خلدون في حقه يقول: (فجاء كتاباً ادعى الأصحاب غرابته).وتوجد منه عدة نسخ بالخزانة العامة بالرباط،وبالخزانة الملكية،وبخزانة القرويين بفاس...،وقد نشر الكتاب-محققاً-الأستاذ عبد القادر أحمد عطا عام:١٣٨٧هـ-١٩٦٨م،طبعة دار الفكر العربي بالقاهرة،ثم نشره الأستاذ محمد الكتاني،الأستاذ المحاضر بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط على نحو أكثر دقة،وبمنهج علمي أكثر ضبطاً،ونشره في مجلدين عام:١٩٧٠م،وألحق به فهارس مختلفة،ومفيدة»[١].

٣- بستان الدول(تاريخ سياسي):

يبدو أن هذا الكتاب هو واحد من الكتب التي لم يكملها ابن الخطيب،ويصفه محمد كمال شبانة بأنه«كتاب سياسي شامل،تحدث فيه المؤلف عن القضاء،والحرب،والصناعة،وأهلها،وطبقات الشعب،وأفرد لكل شجرة،بحيث ألف من المجموع هذا البستان»[٢]،ويذكر ابن خلدون بأنه من التواليف الصادرة قديماً،وقد أذهبت الحادثة عينه،وشعثت الكائنة زينه،وهو موضوع غريب ما سمع بمثله،وقد اشتمل على شجرات عشر،أولها شجرة السلطان،ثم شجرة الوزارة،ثم شجرة الكتاب،ثم شجرة القضاة والصلاة،ثم شجرة الشرطة والحبسة،ثم شجرة العمل،ثم شجرة الجهاد،وهي فرعان:أسطول،وخيول[٣].

---

(١) محمد الشريف قاهر:المرجع السابق،ص:٩٨.

(٢) المرجع السابق،ص:٣٦.

(٣) الرحلة لابن خلدون،ص:١٢٩.

٤- **كناسة الدكان بعد انتقال السكان(وثائق تاريخية):**

ألف ابن الخطيب هذا الكتاب إبان إقامته الأولى بسلا،ويحوي مجموعة من الرسائل السلطانية،التي دبجها ابن الخطيب وهو في بداية تجربته الوزارية،وهي رسائل مكتوبة على لسان السلطان أبي الحجاج يوسف إلى أبي عنان فارس المريني،ملك المغرب،في أغراض مختلفة سياسية،وعسكرية، باستثناء وثيقة عقد زواج نصري صدر بها الكتاب.

ويذكر محمد الشريف قاهر أنه عبارة عن خمس،وعشرين وثيقة سياسية تحدد العلاقة السياسية بين مملكتي غرناطة،وفاس،وقد نشر هذا الكتاب محققاً الدكتور محمد كمال شبانة،وطبع بدار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة(١).

٥- **اللمحة البدرية في الدولة النصرية:**

هذا الكتاب عبارة عن مختصر لتاريخ بني الأحمر ملوك غرناطة،وقد نشرت الطبعة الأولى منه في القاهرة عام:١٣٤٧هـ(٢)،ويعود الفضل في نشره إلى الأستاذ محب الدين الخطيب(٣)،وقد وصف هذا الكتاب في تقديمه له بقوله: « هذا كتاب في تاريخ بني الأحمر آخر دول العرب في الأندلس،ألفه عام:٧٦٣هـ وزيرهم الأديب الأشهر لسان الدين بن الخطيب،وهو من أجود ما كتبه المسلمون في التاريخ:لتوخي مؤلفه الصدق فيما

---

(١) المرجع السابق ص:١١٤.

(٢) خير الدين الزركلي:المرجع السابق،ص:٢٣٥.

(٣) اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ،ص:١٢.

(٤) المصدر نفسه، ،ص:١٣.

روى،وبعد نظره في درك الحقائق،ولطف إشارته إلى ما يحسن بمثله ألا يُسرف في التصريح به»[1].

وقد قسمه إلى خمسة أقسام رئيسة :

القسم الأول في ذكر المدينة التي اقتعد هذا الملك سريرها،وأحكم تدبيرها.

القسم الثاني فيما يرجع إليها من الأقاليم،والأقطار على الإيجاز والاختصار.

القسم الثالث فيمن دال بها من أمير،وسلطان شهير.

القسم الرابع في عوائد أهلها، وأوصافهم،على تباين أصنافهم.

القسم الخامس في نسق الدول،واتصال الأواخر منها بالأول،وما يخص كل دولة من الألقاب،والأذيال المستطرفة والأعقاب.

وقد انتهى ابن الخطيب من تأليفه سنة:٧٦٥هـ،وذلك وفق ما ذكره في خاتمته،وكان قد بدأه بمدينة سلا،وانتهى منه في غرناطة.

٦- رقم الحلل في نظم الدول :

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من القصائد نظمها ابن الخطيب،وشرحها نثراً تتضمن تاريخ عدد من الدول الإسلامية من الخلفاء الأوائل، وبني العباس،وبني الأغلب،وبني أمية بالأندلس،والطوائف،والمرابطين،والموحدين[2].

وتحدث محمد كمال شبانة عن هذا الكتاب بقوله:« نظم شعري في ألف بيت،يتناول فيه المؤلف تاريخ الدولة الإسلامية بالمشرق،والأندلس مذيلاً كل قصيدة بشرح لها،ويقع المؤلف في مجلد واحد طبع بتونس عام:١٣١٦هـ،وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب هو

---

(١) محمد كمال شبانة :المرجع السابق،ص:٣٣.

(٢)ابن الخطيب:المصدر نفسه،ص:٤٥.

نفسه(الحلل المرقومة)،تبعاً لما جاء في نسخة مكتبة مدريد الوطنية،والتي نسخت عن مخطوطة الأسكوريال(رقم:١٧٧٦)»[١]

٧- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار:

هو وصف شامل لأهم مدن مملكة غرناطة،ومملكة المغرب الأقصى،وقد تطرق فيه ابن الخطيب إلى النواحي الجغرافية،والتاريخية،والاجتماعية لأغلب المدن التي تناولها[٢]،«فقد تناول ابن الخطيب أول ما تناول من مدن الأندلس مدينة(اسطبونة)،وانتهى بمدينة(رندة)،وهو في تناوله هذا للمدن لم يراع ترتيباً جغرافياً،ولا تاريخياً،بل ولا أولوياً،فقد كانت مدينة غرناطة مثلاً في المرتبة السادسة بعد العشرين من وصفه،رغم أنها حاضرة المملكة،ولها من المبررات ما يجعلها أهلاً للمرتبة الأولى من وصفه،ولكن المؤلف حرر نفسه من كل قيد لتقديم مدينة على أخرى أياً كانت دواعي التفضيل،وكيفما بلغت أهميته،لقد كان المؤلف يتعرض للمدينة في وصفه،فيتناولها من معظم ما يتعلق بها،إذ يتحدث عن موقعها الجغرافي،ومكانتها التاريخية،وحالة سكانها الاجتماعية،فيعطينا صورة واضحة-إلى حد بعيد- عن كل مدينة تناولها قلمه»[٣]،والكتاب يتألف من مجلسين،أو فصلين،وقد بناه على طريقة المحاورة.

٨- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة(تراجم):

يضم هذا الكتاب، بين طياته، تراجم لمجموعة من الأدباء،والكتاب،والعلماء،والمقربين،والفقهاء،والخطباء،والشعراء الذين عاصرهم ،والتقى بهم،كما يحوي نماذج من آثارهم شعرية،ونثرية،وقد ذكر ابن الخطيب في ديباجته أنه جمع فيه«جملة وافرة،وكتيبة ظافرة،ممن لقيناه ببلدنا الذي طوينا جديد العمر

(١) الحسن بن السائح:المرجع السابق،ص:٨٤.

(٢) محمد كمال شبانة :المرجع السابق،ص:٣٣.

(٣) الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة،المقدمة،ص:٢٩.

في ظلـــه مـــا بـــين مـــن تلقينـــا إفادتـــه،وأكرمنا وفادتـــه،وبين مـــن علمنـــا وخرجنا،ورشحنا،ودرجنا،ومن اصطفيناه،ورعيناه فضلاً صنعناه»[1].

وقد تولى تحقيقه إحسان عباس،الذي ذكر في المقدمة التي كتبها له أن ابن الخطيب كان يكتب(الكتيبة الكامنة)في جمادى الآخرة من عام:٧٧٤هـ،وقدم لمحة عـن الكتـاب فأشـار فيهـا إلى أن ابـن الخطيـب تـرجم فيـه لثلاثـة أشـخاص ومائـة «جعلـهم في قسـمين كبيرين:الذين قضوا نحبهم قبل تأليف الكتاب(من رقم١-٨٤)والذين كـانوا مـا يزالـون على قيد الحياة عند تأليفه(من رقم٨٥-١٠٣).وفي هذه القسمة شـيء مـن التجـوز فـإن بعض الذين ترجم لهم في القسم الأول عاشوا بعد وفاة ابن الخطيب نفسه مثل القاضـي النباهي.**ثم قسم المترجمين حسب ما غلب على كل واحد منهم فجاءوا في الطبقات الآتية:**

١-طبقة الخطباء والصوفية(١-١٩)وحظهم في الإجادة قليل.

٢-طبقة المقرئين والمدرسين(٢٠-٣٠)وهم أقل شأناً من الطبقة السابقة في باب الشعر.

٣-طبقة القضاة(٣١-٥٤)وهي طبقة منحطـة في البيـان لاقتصـار مـداركها علـى علـوم الأديان،ويندر فيها الجيد.

٤- طبقة من خدم أبواب الأمراء من الكتاب والشعراء(٥٥-١٠٣)،وربما كانوا متميزين بالإجادة أكثر من أفراد الطبقات السابقة»[2].

ويرى إحسان عباس أن كتاب(الكتيبة الكامنة)على اعتبار أنه يقوم على السجع فهو قليل الفائـدة مـن الناحيـة التاريخيـة الإخباريـة مقارنـة مـع كتـاب(الإحاطـة في أخبـار غرناطة)،ولكنـه في جميـع الأحـوال يقـدم صـورة عـن الحيـاة الأدبيـة في القـرن الثـامن بالأندلس.

---

(١) المصدر نفسه،ص:١٩.

٩- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام،وما يجر ذلك من الكلام:

يذكر جرجي زيدان أن اسمه(الإعلام بمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام) ويصفه بأنه«يدخل فيه أكثر تاريخ الأمويين،والعباسيين،ودول المشرق،والمماليك البحرية،والدولة العلوية بمكة والمدينة،وتاريخ الأندلس إلى محمد بن يوسف،والملوك النصارى فيها،وتاريخ المغرب.منه نسخة في الجزائر.وطبع بالرم سنة:١٩١٠م»[١].

ويبدو أن هذا الكتاب هو آخر ما ألفه ابن الخطيب،حيث وجهه للوزير أبي بكر بن غازي عقب وفاة السلطان عبد العزيز المريني[٢]،وتنصيب ابنه الطفل سعيد سلطاناً مكانه،وقد قسمه إلى جزأين الأول خاص بالشرق الإسلامي،والثاني خاص بتاريخ الأندلس،وقسم آخر لم يكمله خصصه لتاريخ إفريقية،والمغرب.

وقد كان هدفه من وضع هذا الكتاب إثبات أن ما حدث مع الطفل سعيد هو أمر طبيعي،وتصرف صائب،وغير مخالف لتعاليم الدين الإسلامي،وله الكثير من النظائر في التاريخ الإسلامي[٣]

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية،مج٢،ص:٢٢٦.

(٢) ينظر:محمد الطيب محمد عبد المانع وإبراهيم عبد الرحيم يوسف:تاريخ الأدب والنصوص الأدبية،ص:٤٥٩.

(٣) محمد عبد الله عنان:المصدر السابق،ص:٥٧.

١٠- ريحانة الكُتَّاب،ونُجعة المُنتاب(ألوان أدبية وسياسية):

يذهب الباحث محمد عبد الله عنان أن هذا الكتاب من أهم كتب ابن الخطيب بعد كتاب«الإحاطة في أخبار غرناطة»،وهو عبارة عن جملة من المقتبسات من مؤلفات عدة له،ويقع في مجموعة أسفار[1]،وقد فصل ابن الخطيب في ديباجته محتوياته فذكر أنه يشتمل على:تمهيدات من أوائل المصنفات،وفي هذا الباب اختار نبذاً من كتب،ورسائل سابقة له[2]،كما ضمنه طائفة من الرسائل السلطانية التي كتبها ابن الخطيب عن سلاطين غرناطة،وفيه رسائل كتبت في مخاطبة الرعية،وظهائر الأمراء،ورسائل إلى الأصدقاء،والقضاة،كما أن فيه مقامات،وفكاهات،ودعابات

١١- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب:

وهو واحد من كتب ابن الخطيب التي تكتسي أهمية بالغة،ووجه أهميته يكمن في أنه يحوي مذكرات ابن الخطيب الشخصية،ومن حيث الحجم هو كتاب ضخم،ويقدم صورة وافية عن فترة من أهم فترات حياته[3]،حينما كان يعيش في المغرب تحت لواء الدولة المرينية،فوصف في هذا الكتاب حالته الاجتماعية،والاقتصادية،والثقافية،التي يعيشها المغرب في تلك الفترة،وقد ذكر ابن الخطيب أنه يقع في ثلاثة أسفار مرة،وأربعة مرة أخرى[4].

١٢- مقنعة السائل عن المرض الهائل:

وهي رسالة طبية تطرق فيها ابن الخطيب للطاعون الذي حل بالأندلس،وحوض البحر الأبيض المتوسط في سنة:٧٤٩هـ(١٩٤٨م).

---

(١) المصدر السابق،ص:٥٩ وما بعدها.

(٢)المقري:نفح الطيب،مج٥،ص:١٠٨.

(٣)أحمد مختار العبادي:مقدمة كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب،ص:٧ وما بعدها.

(٤) محمد الشريف قاهر:المرجع السابق،ص:١٠٣.

١٣- الإشارة إلى أدب الوزارة:

رصد في هذا السفر واجبات الوزير،وسلط الضوء على مجموعة من الشروط التي ينبغي أن تتوفر فيمن يتقلد هذا المنصب.

١٤- خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف:

أصل هذا الكتاب رسالة كتبها سنة:٧٤٨م، وصف فيها رحلة السلطان أبو الحجاج التي قام بها في بعض مدن المملكة.

١٥- المنهل العذب في شرح أسماء الرب(مخطوطة).

١٦- تأليف في الأدب(مخطوطة).

١٧- الوصول لحفظ الصحة في الفصول:

وهو كتاب طبي،تذكر المصادر أنه ألفه سنة :٧٧١هـ بغرناطة.

١٨- استزال اللطف الموجود في سر الوجود:

١٩- جيش ألة وشيح:

ذكر الدكتور محمد الشريف قاهر أنه كتاب يتضمن مجموعة مختارة من موشحات ستة عشر من أئمة التوشيح بالأندلس،أورد لهم ابن الخطيب في جيشه خمسة،وستين،ومائة موشح.

٢٠- مفاخرة بين مالقة وسلا:

وهي رسالة،وتذكر كذلك بعنوان:« مفاضلة مالقة وسلا».

٢١- في فن العلاج في صنعة الطب.

٢٢- مثلى الطريقة في ذم الوثيقة.

٢٣- السحر والشعر.

٢٤- أوصاف الناس في التواريخ والصلات.

٢٥- تافه من جم ونقطة من يم.

٢٦- الدرر الفاخرة واللجج الزاخرة.

٢٧- طرفة العصر في أخبار دولة بني نصر.

٢٨- رسائل في الفلسفة.

٢٩- رسائل في الفقه.

٣٠- مساجلة البيان.

٣١- النفاية بعد الكفاية.

٣٢- كتاب المحبة.

٣٣- المنح الغريب في الفتح القريب.

٣٤- تلخيص الذهب في اختيار عيون الكتب.

٣٥- الألفية في أصول الفقه.

٣٦- المباخر الطيبية في المفاخر الخطيبية.

٣٧- رسائل في الموسيقى.

٣٨- المختصر في الطريقة الفقهية.

٣٩- فتات الخوان وسقط الصوان.

٤٠- رسالة تكوين الجنين.

٤١- الرجز في عمل الترياق.

٤٢- البيطرة والبزرة.

٤٣- عائد الصلة.

٤٤- خلع الرسن في وصف القاضي أبي الحسن.

٤٥- اليوسفي في الطب.

٤٦- الاكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر.

٤٧- الأرجوزة المعلومة.

٤٨- تخصيص الرياسة بتلخيص السياسة.

٤٩- منظومة في سياسة الملوك.

٥٠- ظل الغمام المقتضب من الصيب والجهام.

لقد عني كثير من الدارسين بتعداد آثار ابن الخطيب،ويبدو أن حماستهم الزائدة،وعاطفتهم المبالغ فيها ،ورغبتهم في تضخيم شخصيته دفتعهم إلى أن ينسبوا إليه عدداً كبيراً من الكتب،ويرجع الفضل في الكشف عن كتبه المنسوبة إليه إلى الباحث محمد التطواني،**وقد حصرها في:**

١- **شرح الألفية**.

٢- **تحفة الألباب في شكل الأسماء والأنساب**.

٣- **أوصاف الناس في التواريخ والصلات**.

٤- **المحاضرات**.

٥- **مركز الإحاطة**.

٦- **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية**.

٧- **الإماطة عن وجه الإحاطة**.

٨- **المختصر في الطريقة الفقهية**.

٩- **درة التنزيل وغرة التأويل(للخطيب الإسكافي)**.

١٠ - **قصيدة أنجم السياسة التي تنسب للوزير أبي محمد المالقي**،وللسان الدين بن الخطيب،وللرئيس أبي القاسم بن رضوان،وقد نسبها إلى لسان الدين محمد بن عبد الله الدمناتي،بإشارة من أبي عمه أبي العباس القاضوي الذي ندبه لشرحها نجل السلاطين مولاي ابن عبد الله هشام،وهذا غلط لأن القصيدة لا توجد بديوان ابن الخطيب،وتنفرد عن أسلوبه الشعري والتاريخي.

١١- **المقامات لابن الخطيب في السياسة**:وهي حضرة الارتياح المغنية عن الراح لابن أبي حاتم الغائلي،وتنسب إلى ابن الخطيب خطأ[(١)].

وبالنسبة لشعر لسان الدين ابن الخطيب فأغلب الدارسين يذهبون إلى أن شعره يتسم بالرقة،والعذوبة،فهو«شاعر ،وشاح،مترسِّل،كاتب، وهو يمثل-على أكثر من وجه-حركة

---

(١) الحسن بن محمد السائح:المرجع السابق،ص:٨٧،وما بعدها.

الأدب في القرن الثامن الهجري،وإن لم يكن المقدم على شعراء عصره.ولكن غزارة نتاجه،ووفرة شعره بين أيدينا تجعل الحديث عنه صالحاً للمقايسة،والمقابلة

ويسيطر على شعر لسان الدين جانبان:الوجدانيات الخاصة به من شعر ذاتي،كالتأمل،والغزل،ووصف الطبيعة الأندلسية(غرناطة وما حولها)والتعبير بالشعر عن جوانب الحياة من وجهة نظر الشاعر المتأمل...وما يخص نفسه،وأسرته،وحياته الخاصة.

والجانب الآخر: استخدام الشعر وسيلة للاتصال بالعالم الخارجي،وخصوصاً شعر المديح الذي كان يقدّمه-كغيره من شعراء العصر-إلى البلاط النصري في المناسبات،والاحتفالات،والأعياد...والشعر الذي جعله تصويراً للأحداث العامة.

ويتابع لسان الدين سلسلة الشعراء الذين سخروا الشعر لتدوين التاريخ،وكتابه(رقم الحلل في نظم الدول)مثال لذلك لأنه منظومة في تلخيص التاريخ الإسلامي،وتلخيص تاريخ الأسرة النصرية إلى زمانه.

ومن هنا اتسم شعره أحياناً بما يتسم به شعر البديهة،والسرعة،والارتجال أحياناً.وكـتن صورة عصريّة حيّة تعين على تكميل تاريخ الفترة،ودراستها.

ولسان الدين بن الخطيب -على العموم-شاعر طويل النفس مقتدر على إطالة القصائد.وفي شعره لمحات دالة باستمرار على ثقافته الواسعة،ومخزونه التراثي الغزير الذي يحسن استخدامه.

ويمتاز الشاعر على الجُملة بالتمكن اللغوي،وتراص البناء الشعري،وسيطرة الفكرة أحياناً على حساب العاطفة.ومحاولة الشاعر باستمرار أن يعتمد أسلوب التصوير،والتخييل،وأن يشحن القصيدة-أو القطعة-بما يستطيع من طاقة غنائية موسيقية»[١].

ويذهب ابن الأحمر إلى القول إن ابن الخطيب هو«شاعر الدنيا،وعلم المفرد،والثنيا،وكاتب الأرض إلى يوم العرض،كما قال فيه بعض أعلام النقد القديم:شعره

---

(١) محمد رضوان الداية:الأدب الأندلسي والمغربي -أبحاث في الأدب الأندلسي والمغربي -،ص:٢٥٨.

ما بعده مطمع لطامع،ولا منعرج على شاعر بعده للآذان،والمسامع،وهو رأي لا يختلف فيه النقاد القدماء الذين رأوا في ابن الخطيب شاعراً عظيماً،والواقع أن الشعر الأندلسي صب آخر جداوله في غرناطة حيث كان ابن الخطيب بلغ مرحلة النضج،وتجاوز التهافت على المحسنات البديعية،وتقليد أدب المشارقة،وأصبح قادراً على التعبير الصادق،والتوجيه السديد،فكانت قصائد ابن الخطيب تواكب الأحداث،وتساير حركة التاريخ،وتعبر عن ذلك في صدق،ووضوح،كما كانت له قصائد غنائية تصور عبث الحياة في غرناطة حين تتناسى الحروب،والكروب»[1].

وقد طرق ابن الخطيب مختلف الأغراض،والفنون الشعرية المعروفة في عصره كالشعر الديني،والغزل،والمدح،والرثاء،والإخوانيات،وغيرها.

---

(١) الحسن بن محمد السائح:المرجع السابق،ص:٥٥.

الفصل الأول

التعريف بالكتاب

بواعث تأليفه، مصادره، منهجه، أسلوبه

١- التعريف بكتاب الإحاطة:

يعد كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة» للسان الدين ابن الخطيب من أهم الكتب الأدبية، و التاريخية في الأندلس، وهو من أشهر مؤلفات ابن الخطيب، تناول فيه أخبار هذه المدينة الشهيرة عاصمة بني الأحمر (٦٣٣-٨٩٧هـ)، تاريخيا، وأدبيا، وجغرافيا، وسياسيا، واجتماعيا، منذ الفتح الإسلامي لايبيرية (إسبانية والبرتغال حالياً)سنة ٩٢هـ، حتى عصر المؤلف (دولة بني الأحمر)، منتهيا منه إلى عهد السلطان الغني بالله محمد الخامس ثامن ملوك بني الأحمر، حيث وزر له مرتين،وهو دراسة متميزة لسيرة أعلام غرناطة،ومن وفد عليها، ويتألف من خمسة عشر سفرا، أو اثني عشر سفرا[١]، كما في ريحانة الكتاب[٢] ، وهذه الأسفار في مجموعها، قسمان كما ورد في نهاية مقدمة الكتاب.

القسم الأول«في حلى المعاهد والأماكن والمنازل والمساكن» وهو الخاص بغرناطة بني الأحمر.

والقسم الثاني «في حلى الزائر والقاطن، والمتحرك والساكن» وهو لب الكتاب، وفيه تناول تراجم الشعراء والأدباء والملوك، والوزراء، والعلماء، وسواهم، متبعا الترتيب

---

(١) ينظر: كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار للسان الدين بن الخطيب،تحقيق:محمد كمال شبانة،(د.ت)،المقدمة،ص: ٣٠ -٣١.

(٢) ينظر: مخطوط الريحانة بالخزانة العامة بالرباط، لوحة: ١٣، اقتبسه محمد الشريف قاهر في كتابه:دراسة وتحقيق ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام للسان الدين بن الخطيب،ص:٩٧.

الهجائي التاريخي، ويرجع تأليف ابن الخطيب للكتاب إلى ما قبل سنة ٧٦٠ هـ، ولكنه لم يفرغ منه إلا في أواسط عام ٧٦٥هـ [١].

وقد تحدث الباحث محمد عبد الله عنان،محقق النسخة التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا بالتفصيل عن تاريخ تأليفه فأشار إلى أن ابن الخطيب قد يكون بدأ في كتابته،أو جمع مواده قبل محنته الأولى ،حينما عُزل سلطانه،ونفي معه إلى المغرب،وذلك في سنة:٧٦١هـ،وقد استأنف الكتابة فيه عقب عودته من منفاه بالمغرب إلى غرناطة في سنة:٧٦٣هـ،وبعد استمراره في وزارته الثانية ،والتي دامت زهاء عشرة أعوام،وهي المرحلة التي توصف بأنها ألمع فترات حياته،وأخصبها إنتاجاً استمر في كتابة تراجم الإحاطة،وهذا ما ظهر في كثير من إشاراته،حيث ذكر في رسالة إلى ابن خلدون مؤرخة في جمادى الأولى سنة:٧٦٩هـ،أنه أتمه قبل أوائل سنة:٧٦٩هـ،وأنه بعث بنسخة من«الإحاطة»إلى المشرق،كما يستشف أيضاً من إشارات كثيرة أن ابن الخطيب استمر في تدوين، تراجم الإحاطة ،وتنقيحها إلى غاية أوائل سنة:٧٧٢هـ[٢]

ويذكر محمد عبد الله عنان أن أول من نسخ كتاب«الإحاطة»هو تلميذ ابن الخطيب أبو عبد الله الشريشي،مؤدب أولاد السلطان من مسودات ابن الخطيب،حيث كان يثق فيه،ووفق ما حدثنا المقري فقد جاءت النسخة الأولى في ستة مجلدات،وينبه محمد عبد الله عنان إلى أن النسخة الوحيدة المقول بأنها هي النسخة الكاملة التي انتهت إلينا من«الإحاطة» هي نسخة جامع الزيتونة،وهي تقع في ثلاثة مجلدات[٣].

وقد صدر كتاب الإحاطة على مراحل عن منشورات مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة، بتحقيق محمد عبد الله عنان بين سنتي ١٩٧٣/ ١٩٧٨م في أربعة مجلدات، وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها في دراستنا.

---

(١) ابن الخطيب: المصدر السابق،مج١، ص:٣١.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، مج١ ،المقدمة ،ص:٥ وما بعدها(بتصرف).

(٣) المصدر نفسه،ص:٦.

ويصف جرجي زيدان كتاب(الإحاطة في أخبار غرناطة)بأنه« معجم تـاريخي لمشـاهير غرناطة في ثلاثة مجلدات،مرتبة على حروف الهجاء.في صدره فذلكة جغرافية خطط فيها ولايـــــــة غرناطـــــــــة،وما يتبعهـــــــا،وذكر عـــــــــادات هلها،ومعايشهم،وأزياءهم،وجندهم،وسلاحهم،وكثيراً من أحوالهم الاجتماعية لعهده.ثم أتى على التراجم،وقسم ترجمة كل رجل إلى أبواب في تاريخ حياته،ومناقبه،وسائر أحواله على ما تقتضيه ترجمته.وختم الكتاب بترجمة نفسه.ومنه نسخة خطية في المتحف البريطاني،والأسكوريال.واهتمت شركة طبع الكتب المصرية بنشره فوجدت الجزء الأول منه في دار الكتب المصرية،وأخذت تبحث عن الجزئين الآخرين.فصدر الجزء الأول منه مطبوعاً في نحو٤٠٠صفحة،والثاني في٣٠٨صفحات سنة:١٣١٩.وقد لخص هذا الكتاب كازيري.وله مختصر اسمه:(مركز الإحاطة بأخبار غرناطة)في برلين،وباريس،ومدريد»[١].

إن كتـــاب :(الإحاطـــة في أخبـــار غرناطـــة)يصـــف أدق وصـــف التـــاريخ السياسي،والأدبي،والاجتماعي لمدينة غرناطة في الحقبة التي عاش فيها لسـان الـدين بـن الخطيب،ويتحدث فيه بإسهاب عن المراحل السابقة،كما يسلط الأضواء على أمور دقيقة تتصل بالطبيعة،والأرض، وسماتها،ومدينة غرناطة،وجنانها،وأنهارها،ويرصـد فيـه ابـن الخطيب تاريخ المدينة،ويصفها وصفاً دقيقاً شافياً،ووافياً في بلاغة،وبراعة،فضلاً عن كونه يحـوي ترجمـات وافيـة للأعـلام القدامى،والمعاصـرين لابـن الخطيـب،فهو كتـاب أدب،وفن،وتاريخ،وسياسة،ولم يخل من تقويمات جغرافية،واقتصادية،واجتماعية، إضافة إلى أنه يعتبر معجماً من المعاجم النفيسة الـتي تحـوي تـراجم ضـافية للعلمـاء مـن شـتى الأصناف.

وقد أجمع عدد كبير من كبار الدارسين،والمؤرخين علـى أنـه كتـاب فريـد بـين كتـب التاريخ في موضوعه،وذهبوا إلى أنه أهم كتاب وصل إلينا من مؤلفات ابن الخطيب،وهو لا يقتصر على التأريخ لمدينة غرناطة فحسب،ولكنه«عبارة عن موسوعة شاملة لكـل مـا

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية، مج٢ ،ص:٢٢٥ وما بعدها.

يتعلق بهذه المدينة الأندلسية التالدة،من الأخبار،والأوصاف،والمعالم،فهو يتناول وصف جغرافيتها،وخِططها،ومواقعها،وما يحيط بها من المروج،والجبال،ثم يتناول تاريخها منذ نزل بها العرب الأوائل،وأخبار من كان بها،ومن نزلها أو مر بها من الكتّاب،والشعراء،والأدباء،والوزراء،والمتغلبين،كما يتضمن خلاصة لتاريخ الدولة النصرية منذ عصر مؤسسها محمد بن يوسف ابن الأحمر حتى عصر المؤلف.وهذا عدا ما يورده المؤلف خلال موسوعته من تراجم فياضة لملوك الدولة النصرية المتعاقبين»[1].

ويصف الباحث محمد الشريف قاهر الكتاب بأنه موسوعة جامعة لكل ما يتصل بغرناطة تاريخياً،وجغرافياً،واقتصادياً،وإنتاجاً فكرياً،منذ الفتح الإسلامي إلى عصر ابن الخطيب،ويعتني بصفة خاصة بترجمة أكابر العلماء،والشعراء من المعاصرين له في الأندلس،والمغرب،ويلتزم الترتيب الأبجدي لأصحاب التراجم[2].

وقد تحدث المقري عن المكانة التي تحتلها الإحاطة في النفوس،ولاسيما لدى علماء المشرق فقال:« وأما كتاب الإحاطة،فهو الطائر الصيت بالمشرق،والمغرب،والمشارقة أشد إعجاباً به من المغاربة،وأكثر لهجاً بذكره،مع قلته في هذه البلاد المشرقية،وقد اعتنى باختصاره الأديب الشهير«البشتكي»محمد بن إبراهيم الدمشقي المتوفى عام:٨٣٠هـ،وسماه(مركز الإحاطة في أدباء غرناطة)»[3]. ويقع اختصاره في سفرين،اطلع المقري على السفر الثاني منهما،و«نص على كون البشتكي اختصر أربعة أسفار من أصل الإحاطة في سفرٍ،أي أن الكتاب فقد ثلاثة أرباعه،وهذه المواصفات لا تتماشى مع مواصفات هذا السفر أنه من حيث المادة التي يحتويها يزيد حتى على النص المطبوع بأكثر من الضعف،ولعل مختصر البشتكي لا يتجاوز نصف النص المطبوع من الإحاطة»[4].

---

(١) ابن الخطيب:المصدر السابق،ص:٣ وما بعدها.

(٢) تحقيق ودراسة الصيب والجهام والماضي والكهام،ص:٩٥ وما بعدها.

(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،مج:٠٩،ص:٣٠٨.

(٤)عبد السلام شقور:الإحاطة في أخبار غرناطة،نصوص جديدة لم تنشر،المقدمة،ص:٨ وما بعدها.

ونظراً للأهمية الكبيرة التي يمثلها كتاب(الإحاطة)،فقد اختصر عدة مـرات،من قبـل العديد من الأدباء،والمشائخ،ومن مختصري الإحاطة كذلك الشيخ(أبو جعفر البقني)،فقـد نقل عنه«فيما يظهر صاحب النيل،وأبو جعفر البقني عاش بعد سنة ست وثمانين أي بعد تاريخ نسخ السفر موضوع الحديث.ومن ثم فقد أضـاف في مختصـره إلى نـص الإحاطـة أشياء حدثت بعد وفاة ابن الخطيب،وذلك كما وقع في ترجمة ابن خلدون مثلاً»[1].

٢- بواعث تأليف الكتاب:

يشكل كتاب«الإحاطة في أخبار غرناطة»امتدادًا لبعض الدراسات السابقة التي قام بها بعض المؤرخين في المشرق،والمغرب،وقد ذكـر ابـن الخطيـب بواعـث تـأليف كتـاب الإحاطة، ومصادره في مقدمة كتابه فقال: «... ولما كـان الفـن التـاريخي مـأرب البشـر، ووسيلة إلى ضم النشر يعرفون به أنسابهم في ذلك شرعاً، وطبعاً وما فيه، ويكتسبون بـه عقل التجربة في حال السكون والرفيه ،ويستدلون ببعض ما يبـدي بـه الـدهر ويشـفيه، ويرى العاقل من تصريف قدرة الله تعالى ما يشرح صدره بالإسلام، ويخفيه، ويمـر علـى مصارع الجبابرة فيحسبه بذلك واعظاً ويكفيه. وكتاب الله يتخلله من القصص مـا يـتمم هذا الشاهد لهذا الفن ويوفيه. قال تعالى: ﴿وكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيكَ مِن أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [2]».

---

(١) عبد السلام شقور:المرجع السابق،ص:١٨.

(٢) سورة هود،الآية:١٢٠.

وقال عز من قائل: « نَحنُ نَقُصُ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوحَينَا إِلَيكَ هَـذَا القُـرءَانَ، وَإِن كُنتَ مِن قَبلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ»[1].

فوضح سبيل مبين، وظهر أن القول بفضله يقتضيه عقل ودين . وإن بعض المصنفين ممن ترك نومه لمن دونه، وأنزف ماء شبابه مودعاً إياه بطن كتابه يقصده الناس، ويردونـه اختلفت في مثل هذا الباب أغراضهم. فمنهم من اعتنى بإثبات حوادث الزمان، ومـنهم من اعتنى برجاله بعد اختيار الأعيان عجزاً عن الإحاطة بهـذا الشـأن، عمومـا في أكثـر الأقطار،وخصوصاً في بعض البلدان.

فتذكرت جملة من موضوعات من أفرد لوطنه تاريخاً هـز إليهـا-علـم الله- وفـاءً وكرمً، ودار عليها،بقول الله من رحمته الواسعة،حرمً، كتاريخ مدينة بخاري لأبي عبـد الله محمد بن أحمد بن سليمان الفخار. وتاريخ إصبهان لأبي نعيم احمد بن عبد الله الحافظ بن عبد العزيز بن القصار.

وتاريخ بغداد للخطيب أبي بكر بن ثابت، وأخبـار بغـداد لأحمـد بـن أبـي طـاهر. وتاريخ واسط لأبي الحسين على بن الطيب الخلافي. وتاريخ من نزل حمص من الصحابة ومن دخلها، ومن ارتحل عنها. وتاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسين بن عسـاكر. وتاريخ مكة للأزرقي. وتاريخ المدينة لابن النجار. وتاريخ مصر لعبد الرحمن بن أحمد بن نواس. وتاريخ الإسكندرية. وتاريخ طبقات فقهاء تونس لأبي محمد بن عبد الله بن أبـي العباس بن خلف التميمي. وعنوان الدراية في ذكر مـن كـان في المائـة السـابعة ببجايـة، صاحب الحلية. وتاريخ إصبهان أيضا لأبي زكريا يحي بن عبد الوهاب بن قندة الحـافظ. وتاريخ نيسابور[2] للحاكم أبي عبد الله بن اليسـع، وذيلـه لعبـد الغـافر بـن إسماعيـل.

---

(١) سورة يوسف،الآية:٣.

(٢) نيسابور: مدينة قديمة من مدن خراسان تقع جنوب غربي طوس، وكان لها أيام الدولة الإسلامية شأن عظيم، وإليها ينتسب عدد كبير من العلماء.ينظر:ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٥،ص:٣٣١ وما بعدها.

وتاريخ همذان لأبي شجاع شيرويه بن شهر دار. وتاريخ طبقات أهل شيزار لأبـي عبـد الله محمد
لأبي العباس الغبريني. وتاريخ تلمسان لابن الأصفر. وتاريخها أيضا لابن هدية. وتاريخ فاس لابن عبد الكريم. وتاريخها أيضا لابـن أبـي زرع. وتـاريخ فـاس أيضـا للقـونجي. وتاريخ سبته المسمى بالفنون الستة،لأبي الفضل عياض بن موسى بـن عيـاض. وتـاريخ بلنسية لابن علقمة. وتاريخ إلبيرة لأبي القاسم محمد الغـافقي الملاحي،وتـاريخ شـقورة لابن إدريس،وتاريخ مالقة لأبي عبد الله بن عسكر، تركه غير تام،فأتمـه بعـد وفاتـه ابـن أخيه أبو بكر بن خمسين. والإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة، لأبي العباس أصـبغ بن العباس. والاحتفال في أعلام الرجال، لأبي بكر الحسن بن محمد بن مفـرج القيسـى. وتــاريخ قرطبــة، منتخــب كتــاب الاحتفــال. وتــاريخ الرؤســاء،والفقهاء، والقضــاة بطليطلة،لأبي جعفر بن مظاهر. ومنتخبه لأبي القاسم بن بشكوال. وتاريخ فقهاء قرطبة، لابن حيان. وتاريخ الجزيرة الخضراء لابن خمسين ،وتاريخ قلعة يحصِب المسـمى بالطـالع السعيد، لأبي الحسن ابن سعيد. وتاريخ بقيرة لأبي عبد الله بن المؤذن. والدرة المكنونة في أخبار لشبونة،لأبي بكر بن محمد بن إدريس الفارابي العالوسي. ومزية المرية،لأبي جعفر أحمد بن خاتمة من أصحابنا. وتاريخ المرية وباجة، لشيخنا نسيج وحده أبي البركـات بـن الحاج، متع الله بإفادته، وهو في مُبيضته،لم يرمها بعد.

فداخلتني عصبية لا تقدح في دين، ولا منصب، وحميةٌ لا يذم في مثلها متعصـب،... ورأيت أن هذه الحضرة[1] التي لا خفاء بما وفر الله من أسباب إيثارها،وأراده من جـلال مقدارها، جعلها ثغر[2] الإسلام، ومتبوأ العـرب الأعـلام قبيـل[3] رسـوله عليـه أفضـل الصلاة ،وأزكى السلام ،وما خصها من اعتـدال الأقطـار، وجريـان الأنهـار، وانفسـاح

---

(١) الحضرة: العاصمة (غرناطة) وهي القاعدة والعاصمة.

(٢) الثغر: المكان الذي يخشى منه مجيء العدو (حدود البلاد الإسلامية على بلاد الأعداء المحاربين).

(٣) المتبوأ: المسكن والمستقر. القبيل: القوم،الأهل.

الاعتمار، والتفاف الأشجار...نزلها العرب الكرام عند دخولهم مختطين فعمروا وأولدوا، وأثبتوا المفاخر وخلدوا........

وقد كان أبو القاسم الغافقي[1] ،من أهل غرناطة، قد قام من هذا الغرض بفرض، وأتى من كل ببعض. فلم يشف من غلة، ولا سد خلة، ولا كثّر قلة[2] فقمت بهذا الوظيف، وانتدبت للتأليف. ورجوت على نزارة حظ الصحة، وازدحام الشواغل[3]. الملحة أن اضطلع من هذا القصد بالعبء الذي طالما طأطأت له الأكتاد»[4].

والجدير بالذكر أن الأندلسيين قد اهتموا اهتماماً كبيراً بكتب التراجم في مختلف مراحل حياتهم الثقافية،إذ ركزوا على«تاريخ بلادهم،وتاريخ الفكر الإسلامي بصفة عامة،وقد ظهر ذلك منذ وقت مبكر...،وكان من أوائل المؤرخين عبد الملك بن حبيب(٢٣٨هـ)،وآل الرازي محمد بن موسى الرازي(٢٤٩هـ)،وابنه محمد بن أحمد(٣٢٤هـ)،وابن القوطية (٣٢٧هـ)،مؤلف تاريخ الأندلس،وغريب بن سعيد(٣٦٩هـ)،مؤلف مختصر كتاب الطبري،وحبان ابن خلف(٣٧٧هـ)،مؤلف المآثر العامرية،وابن رزين(٤٧٠هـ)،وابن حزم القرطبي مؤلف جمهرة أنساب العرب،وأبو القاسم صاعد الطليطلي(٤٢٠هـ)،مؤلف طبقات الأمم وابن صاحب الصلاة(٥٧٧هـ)،وبنو سعيد عبد الملك بن سعيد(٥٦٠هـ)،وابنه محمد(٥١٩هـ)،وأبو جعفر أحمد(٥٥٩هـ)،وعلي بن سعيد المغربي المولود(٦٠٥هـ)،مؤلف المغرب في حلى المغرب،والمراكشي مؤلف المعجب(٥٨١-٦١٨هـ).وأخيراً بلغت الدراسات التاريخية

---

(١) يشير ابن الخطيب هنا إلى أبي القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي المعروف بالملاحي نسبة إلى الملاحة(lamala)، وهي قرية في جنوب غربي غرناطة، ما تزال قائمة حتى اليوم، وهو مؤلف كتاب"تاريخ علماء إلبيرة"، وهي عاصمة ولاية غرناطة القديمة (ينظر كتاب الإحاطة،ج١،ص٨٥، هامش٢).

(٢) الغلة: العطش. الخلة: الفرجة، الثقب الصغير، الحاجة والفقر. الوظيف: عظم دقيق في الساق (وهو يقصد الوظيفة: العمل الذي يقدر الإنسان عليه). وانتدبت (نفسي) للتأليف.

(٣) الشواغل ليست في القاموس. المقصود الأشاغيل جمع أشغولة(بالضم): ما يشغل (بفتح العين) الإنسان ويلهيه. الكند (بفتح ففتح): الكاهل (مجتمع الكتفين).

(٤) ابن الخطيب:المصدر السابق،مج١،ص:٨٥.

للبلاد الأندلسية قمتها في القرن الرابع عشر الميلادي على يد ابن الخطيب المؤرخ الجامع للأخبار،والمحيط بالنشاطات السياسية،والاجتماعية،والفكرية،والوجدانية ثم ابن خلدون الفيلسوف الاجتماعي الذي اعتمد على رصيد المؤرخين ليضع علم الاجتماع»[1].

وأما الأمير ابن الأحمر،حفيد السلطان الغني بالله فقد أورد لدى حديثه عن أصل تأليف كتاب«الإحاطة»رواية لخصها الباحث محمد عبد الله عنان في أن«الأديب الغرناطي أبا عبد الله محمد بن جُزي،كاتب السلطان أبي الحجاج،عبر إلى العدوة،مغضوباً عليه ملتجئاً إلى السلطان أبي عنان سنة:٧٠٣هـ،فأكرم أبو عنان وفادته،وطلب إليه أن يضع مؤلفاً عن الأندلس،فوضع في ذلك كتاباً متقناً جامعاً.ولما عبر ابن الخطيب إلى المغرب في أواخر سنة:٧٥٥هـ عقب مصرع السلطان أبي الحجاج،سفيراً عن سلطانه الغني بالله إلى السلطان أبي عنان،اطلع على مؤلف ابن جزي المذكور،وأعجب بمحتوياته،وخطر له أن يقوم بوضع كتاب في(الإحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة).ويقول لنا ابن الخطيب نفسه في ترجمته لابن جزي الواردة بالجزء الثاني من الإحاطة إنه اطلع على أجزاء من مؤلف ابن جزي المذكور تشهد باضطلاعه،وأي أنه ابن جزي قيد بخطه من الأجزاء الحديثة،والفوائد،والأشعار،ما يفوت الوصف،ويفوق الحد.ولما عاد ابن الخطيب إلى الأندلس،وألفى الحاجب الكبير أبا نعيم رضوان متربعاً في منصب الحجابة،والوزارة،وشعر أنه لا يستطيع إلى جانبه أن يزاول ما كان يطمح إليه من السلطان انتهز فرصة هذا الانتباذ،وعكف على تأليف كتاب(الإحاطة)وأخذ يدون تاريخ المواليد،والوفيات،والأسماء،والألقاب،ويراجع مختلف المصنفات،وكان ساعده الأيمن في ذلك أبو عبد الله الشريشي،فهو الذي تولى نقل المسودات،وترتيبها،وتبويبها،حتى تم الكتاب في ستة مجلدات،ولما عاد ابن الخطيب إلى الأندلس،عقب انتهاء محنته الأولى في

(١) الحسن بن محمد السائح:منوعات ابن الخطيب،ص:٤٩.

سنة:٧٦٣هـ،عاد إلى مراجعة كتاب(الإحاطة) والزيادة فيه،حتى تحقق ما كان يبغيه له من السعة،والإحاطة،وتمت نسخته الأولى في اثني عشر سفراً»[١].

٣- مصادره:

أما مصادره، فقد ذكرها أيضا في المقدمة[٢]، وهي تنقسم إلى قسمين: مصادر كتابية ومصادر شفوية.

فأما المصادر الكتابية فمنها: تاريخ ابن القوطية، والمقتبس لابن حيان، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، والبيان المغرب لابن عذاري المراكشي، وقلائد العقيان للفتح بن خاقان، وتاريخ مالقة لابن عسكر، وتاريخ ابن الصيرفي الموسوم «بالأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية»، ثم إن ابن الخطيب قد نقل كثيرا، فيما يتعلق بالتراجم من كتاب «علماء إلبيرة»لأبي القاسم الغافقي، ومن كتاب «تاريخ ابن مسعدة» الموسوم بـ«تاريخ قومه»، وكتاب «القدح المعلى في التاريخ المحلى».

كما استعان أيضا بكتاب «الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد»لأبي الحسن علي بن سعيد الأندلسي، وكتاب "الحلة السيراء" لابن الأبار، وكتاب «الصلة» لابن بشكوال، و«الذيل والتكملة» لعبد الملك المراكشي، و«صلة الصلة» لابن الزبير، وغيرها.

وأما المصادر الشفوية، فتتعلق بمعاصريه، وهم الكثرة الغالبة في كتاب «الإحاطة»، من شيوخه، وتلامذته، وأصدقائه، وغيرهم. وكان يتحصل على المعلومات من الأشخاص أنفسهم، أو من ذويهم، ومعارفهم، وعول ابن الخطيب فيما يتعلق بسلاطين الدولة النصرية، ووزرائها على الوثائق، والرسائل الديوانية .

---

(١) ابن الخطيب:الإحاطة،مج٢، ص:٦ وما بعدها.

(٢) سبقت الإشارة إلى بعض هذه المصادر عند حديث ابن الخطيب عن بواعث تأليفه لهذا الكتاب، وذكره لطائفة من المؤرخين الذين أفردوا لوطنهم تاريخا.

ومن هذه المصادر أيضا كتب ابن الخطيب السابقة التي صنفها من قبل ككتاب «اللمحة البدرية في الدولة النصرية»، وكتاب «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب»، وكتاب «الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة» وسواها(١).

ونظراً إلى الأهمية البالغة التي تكتسيها المصادر التي اعتمد عليها لسان الدين ابن الخطيب في كتاب:« الإحاطة في أخبار غرناطة»، ،والتي تنعكس لا محالة على منهجه،فإننا نقدم لمحة موجزة عن أهمها:

١- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي:

يعد كتاب(تاريخ بغداد)للخطيب البغدادي، واحداً من أعرق الكتب التراثية القديمة،وقد ألفه البغدادي المتوفى سنة:٤٦٢هـ/ ١٠٧٢م،والكتاب«وإن حمل اسم(تاريخ بغداد)فهو كتاب تراجم لرجال بغداد،ولمن اتصلوا بها منذ عهد إنشائها حتى أيام المؤلف،أكثر منه تاريخاً للمدينة نفسها.وقد تحدث المؤلف عن المدينة،وعن بنائها،وخططها حديثاً موجزاً،ثم تحدث بتفصيل،وإسهاب عن الرجال الذين اتصلوا ببغداد سواءً أكانوا من أعيان أهلها،أم من كبراء الواردين عليها...،وبلغ عدد الذين ترجم لهم البغدادي في هذا الكتاب واحداً وثلاثين وثمان مائة وسبعة آلاف ترجمة.وقد رتبت مواد التراجم فيه ترتيباً معجمياً،رُوعي فيه تسلسل حروف اسم العلم،واسم الأب،وأول من ترجم لهم المحمدون تبركاً باسم النبي العربي محمد-صلى الله عليه وسلم-...،ووقع الكتاب في أربعة عشر جزءاً،طُبع بتحقيق محمد حامد الفقي بالقاهرة عام:١٩٣١م بمكتبة الخانجي،وطبع مصوراً بدار الكتاب العربي ببيروت عام:١٩٦٩م».(٢)

٢- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام:

وأما كتاب الذخيرة فهو أحد أهم الكتب التي رصدت التاريخ الأدبي للأندلس،فقد ألفه ابن بسام المتوفى عام:٥٤٢هـ بعد امتعاضه مما يلقاه أدباء الأندلس

---

(١) ينظر ابن الخطيب: الإحاطة، مج: ١، ص:٤، وما بعدها.

(٢) محمد التونجي:المعجم المفصل في الأدب،ج:٠١، ،ص:٢١٤.

من إهمال،وإعراض من قبل مواطنيهم،فقرر وضع هذا السفر لرفع الضيم عنهم،ولفت الأنظار إلى قيمتهم،والاجتهاد في تدوين أخبارهم،وجمع العيون من مقطوعاتهم الشعرية،والنثرية،وهو يعد موسوعة أدبية جليلة فيها من أنباء الأندلس،وسير ملوكها،ووزرائها،وأخبار شعرائها،وكتابها ما أتاح لأجيال من المؤرخين،والكتاب الذين تناولوا شتى مناحي الحياة الفكرية،والاجتماعية في الأندلس أن يفيدوا منه،ويجدوا فيه من المعلومات ما لا مثيل له في أي كتاب أندلسي آخر،ولاسيما فيما يتصل بالفترة التي تسمى بعصر ملوك الطوائف،وبداية دولة المرابطين. (١)

ويقع كتاب الذخيرة في ثمانية أجزاء،وقد«انتهج المؤلف فيه منهج الثعالبي في يتيمته،وتأثر به،وقسمه إلى أربعة أقسام،ثلاثة من مناطق متفرقة في الأندلس،وخص الرابع بالوافدين على الأندلس من المغرب،و المشرق من أهل عصره.ويتضح من مقدمة ابن بسام غيرته على الأندلس،وحبه لأهلها».(٢)

٣- المقتبس من أنباء أهل الأندلس لابن حيان القرطبي:

وكتاب«المقتبس»لابن حيان،و موضوعه تاريخ الأندلس منذ الفتح العربي لها سنة:٩١هـ(٧١١م)،حتى قريب من عصر المؤلف الذي عاش ما بين: (٣٧٧-٤٢٢هـ)/ (٩٨٧-١٠٣١م)،وكما يذكر الباحث محمود علي مكي محقق الكتاب فهو ينتهي في الواقع بنهاية خلافة الحكم المستنصر على وجه التقريب،وقد وصفه الفقيه أبو محمد بن حزم في رسالته في فضل الأندلس بأنه كتاب تاريخ كبير «في أخبار أهل الأندلس تأليف أبي مروان بن حيان نحو عشرة أسفار،من أجل كتاب ألف في هذا المعنى،وهو في الحياة بعد،لم يتجاوز الاكتهال»(٣).

---

(١) علي بن محمد:ابن بسام الأندلسي وكتاب الذخيرة - دراسة في حياة الرجل وأهم جوانب الكتاب،ص:١١.

(٢) محمد التونجي: ،المرجع السابق،ج:٢،ص:٤٦٠.

(٣)ابن حيان :المقتبس من أنباء أهل الأندلس،حققه وقدم له وعلق عليه:محمود علي مكي،ص:٦٨.

٤- تاريخ افتتاح الأندلس لأبي بكر بن القوطية :

و أما كتاب«تاريخ افتتاح الأندلس»لأبي بكر بن القوطية فيمكن اعتباره مصدر المصادر في تاريخ الأندلس كما يذهب إلى ذلك الأستاذ إسماعيل العربي،حيث إننا نلفي«كبار المؤرخين مثل ابن عذاري،وابن خلدون،وابن الأثير يقتبسون مما كتبه ابن حيان(٣٧٧-٤٦٩هـ)،الذي ولد بعد عشر سنوات من وفاة ابن القوطية،ويتخذونه دليلاً،وحجة،بينما يستند ابن حيان إلى ابن القوطية،ويستشهد بروايته باعتباره معاصراً للأحداث التي يكتب عنها»[١]، وقد استفاد من هذا الكتاب الهام عدد كبير من القدماء،والمحدثين.

٥- أعلام مالقة لابن عسكر :

وفيما يتعلق بكتاب«أعلام مالقة»،والذي تعاقب على تأليفه القاضي بن عسكر،وابن أخته أبو بكر بن خميس،فقد جمعت فيه أخبار فقهاء مالقة،وأدبائها،كما اهتم بمن سكن مالقة،ودخلها،أو اجتاز عليها،ولم يغفل التطرق إلى أخبارهم،وسمات أدبهم،ومحاسنهم،ومراسلاتهم،وبلاغتهم،وذكر من أخذوا عنه من فقهاء الأندلس،وغيرهم،وهو كتاب نفيس يتصل بتراجم أعلام حاضرة أندلسية كان لها دور مهم في بناء الحضارة،والثقافة في دولة الإسلام بالأندلس،وهو بمادته الثمينة يكشف عما كانت تعرفه حاضرة مالقة من علم،ونشاط في ممارسته تحصيلاً،وتدريساً،وتأليفاً،كما أنه يقارب بيئة الأندلس في حواضرها،ومجالس علمائها،وما كان يجري في ساحات الدرس بين طلبتها،وأساتذتها[٢].

---

(١) ابن القوطية:تاريخ افتتاح الأندلس،تحقيق وتعليق:إسماعيل العربي،ص:١١.

(٢) أبو عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس:أعلام مالقة،تقديم وتخريج،وتعليق:الدكتور عبد الله المرابط الترغي ،ص:٧٣.

٦- عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس الغُبريني :

وبالنسبة إلى كتاب:« عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية»لأبي العباس أحمد بن أحمد الغُبريني المتوفى سنة:٧٠٤هـ،فهو يحوي بين دفتيه تراجم أعلام تمكننا من استكشاف الحياةالتاريخية،و والأدبية،و الاجتماعية، في القرن السابع الهجري ببجاية،وما قبله بقليل،والباعث على تأليفه هو رغبة الغبريني في التعريف برجال السند،والترجمة لهم حتى تكون صفاتهم،ومزاياهم واضحة للمتلقي، والقارئ،وقد حوى١٤٩ترجمة،«يمكننا أن نقسمها إلى ما يلي:

١- تراجم البجائيين،والجزائريين،ومن يتصل بهم.

٢- تراجم الأندلسيين المهاجرين إلى بجاية ونواحيها.

٣- تراجم الغرباء الوافدين عليها من المشرق» [(١)].

٧- الحلة السيراء لابن الأبار:

ويوصف كتاب«الحلة السيراء»لابن الأبار القضاعي المتوفى عام:٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م بأنه أحسن كتبه،وأعظمها فائدة،وهو من عيون ما ألف أهل الأندلس،وأحد المراجع الثمينة التي لا يستغني عنها من يؤرخ له،أو يكتب في أي ناحية من نواحي الحياة فيه،وقد كان صاحب الفضل في اكتشاف القيمة التاريخية،والأدبية لهذا الكتاب المستشرق دوزي، الذي أشاد بقيمته،وخصائص صاحبه،والشعر الموجود فيه ليس كله للأمراء،وقد بدا فيه ابن الأبار مؤرخاً فحلاً واسع الاطلاع،ونافذ النظر،وصادق الحكم [(٢)].

٤- منهجه :

---

(١) أبو العباس الغبرني:عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،تحقيق:رابح بونار،ص:٣٦.

(٢) ابن الأبار،الحلة السيراء،حققه وعلق حواشيه الدكتور حسين مؤنس،ص:٥١ وما بعدها.

تحدث ابن الخطيب عن منهجه في كتاب«الإحلاطة»فقال: « والترتيب الذي انتهت إليه حيلتي ،وصرفت في اختياره مخيلتي هو أنني ذكرت البلدة[(١)]، حاطها الله، منبها منها على قديمها، وطيب هوائها وأديمها، وإشراق علاها ،ومحاسن حلاها، ومن سكنها وتولاها، وأحوال أناسها ومن دال بها من ضروب القبائل ،وأجناسها، وأعطيت صورتها وأرخت في الفخر ضرورتها. وذكرت الأسماء على الحروف المبوبة، وفصلت أجناسهم بالتراجم المرتبة: فذكرت الملوك، والأمراء ثم الأعيان، والكبراء ثم الفضلاء، ثم القضاة، ثم المقرئين والعلماء ثم المحدثين، والفقهاء ،وسائر الطلبة النجباء ثم الكتاب ،والشعراء، ثم العمال والأثراء، ثم الزهاد، والصلحاء، والصوفية والفقراء ليكون الابتداء بالملك ،والاختتام بالمسك، ولينظم الجميع انتظام السلك[(٢)]. وكل طبقة تنقسم إلى من سكن المدينة بحكم الأصالة والاستقرار أو طرأ عليها مما يجاورها من الأقطار أو خاض إليها- وهو الغريب- أثباج[(٣)] البجار، أو ألم بها ولو ساعة من نهار. فإن كثرت الأسماء نوعت وتوسعت، وإن قلت اختصرت وجمعت. وآثرت ترتيب الحروف في الأسماء ثم في الأجداد ،والآباء لشرود الوفيات ،والمواليد التي رتبها الزمان عن الاستقصاء. وذهبت إلى أن أذكر الرجل ،ونسبه، وأصالته، وحسبه ومولده ،وبلده، ومذاهبه، وأنحاله، والفن الذي دعا إلى ذكره، وحليته ،ومشيخته – إن كان ممن قيد علما أو كتبه- ومآثره إن كان ممن وصل الفضل بسببه[(٤)] وشعره إن كان شاعرا، وأدبه، وتصانيفه إن كان ممن ألف في فن وهذبه، ومحنته إن كان ممن بزه الدهر، وسلبه، ثم وفاته ،ومنقلبه إذا استرجع الله من محنته حياته ما وهبه»[(٥)].

---

(١) البلدة (غرناطة).

(٢) بالملك (أهل القوة). الاختتام بالمسك(بأهل الصلاح). انتظام السلك (ليكون الكتاب ممثلا لجميع طبقات المجتمع على الترتيب المخصوص).

(٣) الثبج: وسط الشيء (ووسط البحر أيضا).

(٤) وصل إلى مكانته في قومه بسبب علمه (!)

(١) ابن الخطيب:الإحاطة،مج:١،ص:٥١٤ وما بعدها.

و ما نلاحظه بالنسبة لمنهج ابن الخطيب في ترجمته لأعلام غرناطة أنه قد استفاد من الطرائق التي استخدمها المؤرخون من قبله،كما أنه لم يستخدم منهجاً واحداً وطبقه على الجميع،حيث إننا نجد تنوعاً في رصده للشخصيات التي يترجم لها،وقد«قسمه إلى أقسام قسم للملوك،والأمراء،وقسم للعمال،وثالث لذوي النباهة كالقضاة،والمتحققين بعلوم القرآن،والمحدثين،والفقهاء، ومن إليهم»[1].

كما أنه كثيراً ما يكشف النقاب عن الحياة العامة،ويهتم بالأحوال الاجتماعية،والاقتصادية التي وقعت،ويسرد الأحداث بدقة،ويؤرخ للتحولات السياسية،والثقافية،والفكرية،كما يقدم تراجم دقيقة لرجالات الأدب،والفكر،والدولة،وطبقاتهم من وزراء،وحجاب،وقضاة،وكتاب.

وفيما يتعلق بالخطوط العامة لمنهج ابن الخطيب في الكتابة التاريخية،والأدبية،والترجمة للأعلام فهو في أغلب الحالات يبدأ في عرض الشخصية المترجم لها كالآتي:اسمه،وكنيته،وأوليته(نسبه)،حاله(ثقافته-تخصصه)،نباهته،مشيخته،دخوله غرناطة(إن كان ليس من ساكنيها)،شعره،تصانيفه،محنته(لمن وقعت عليه المحنة)،مولده،وفاته.

وقد جعل ابن الخطيب من نظام الأسفار أساساً لتبويب الكتاب،وقاعدة لتقسيمه،فهو يحتوي على إثني عشر سفراً،«يضم مخطوط الإسكوريال منها ستة أسفار،من السفر السابع إلى السفر الثاني عشر،ويلي هذا السفر الأخير ترجمة ابن الخطيب مكتوبة بقلمه.وهذه الأسفار فيما يبدو-عدا السفر الأخير-متقاربة الأحجام،يحتوي كل منها على نحو أربعين ترجمة،وهذا عدا السفر الأخير الذي يضم ثمان تراجم فقط.ومعنى ذلك أن مخطوط الإسكوريال بحجمه،وعدد أسفاره نصف المؤلف الأصلي،وتكون نسخة الإسكوريال هذه مكونة من جزئين كبيرين،وصل إلينا منهما فقط هذا الجزء الثاني،الموسوم فوق صفحته الأولى بأنه(السفر الثاني)من مختصر الإحاطة،وهو من

---

(٢) الحسن بن محمد السائح:منوعات ابن الخطيب،ص:٤٩.

محتويات المكتبة الزيدانية الشهيرة،التي استولى عليها الإسبان في عرض البحر في أوائل القرن السابع عشر،وضمت إلى محتويات المكتبة الملكية بالإسكوريال»[1].

٥- أسلوبه:

ومن المسلم به أن أسلوب لسان الدين ابن الخطيب يتسم بالجزالة،والقوة،فهو معروف ببلاغته،ومستواه الرفيع في اللغة،والأدب،وشتى أصناف المعرفة،فضلاً عن براعته في سرد الأحداث بطريقة شائقة،وممتعة،على الرغم من أن القارئ قد يجد صعوبة في فهم بعض العبارات،نظراً للبعد الزمني.

إن أسلوب لسان الدين ابن الخطيب الذي تجلى من خلال كتاب«الإحاطة في أخبار غرناطة»،هو أسلوب قوي،وجزل،وجميل،وقد وصف الباحث الحسن بن محمد السائح أسلوبه بأنه«أسلوب مطبوع حاول فيه أن يظهر قدرته على الافتتان،والتلاعب بالكلمات،والجمل،وإظهار الثقافة العامة،والإطلاع الواسع على مختلف فروع المعرفة،ولا غرو فابن الخطيب قرأ كثيراً،واستوعب ما قرأ فعبر عن ذلك بأسلوبه الخاص الذي حاول فيه أن يكون مجدداً غير مقلد،قوياً غير ضعيف،فهو شأن كتاب عصره يكثر من السجع،ويكرر الفكرة مرتين،أو ثلاث في جمل متعددة،على أنه في كتاب(الإحاطة)لم يكثر من السجع،وحاول أن ينقل الفكرة دون تزويق أو تنميق،أما في باقي كتبه فهو يسرف في السجع دون اقتصاد،وقد تكون الجملة تحمل أفكاراً واضحة كما في كتاب(روضة التعريف)،وأحياناً يكون مملاً كما في إنتاجه الأدبي،وخصوصاً في شبابه حين يظهر غرامه بالإطناب»[2].

وقد لاحظ الباحث شوقي ضيف أن رسائله تتميز بإطناب مسرف ينطوي على اللف والدوران،ويذكر بأصحاب(التصنيع)في المشرق،إضافة إلى أن نثر ابن الخطيب يتسم بإطناب يفقد قارئه النشاط،ذلك أن منظر المعاني ينبسط أمام بصره انبساطاً يخرجها من حظيرة التنوع إلى حظيرة الاستمرار،والإملال.

---

(١) ابن الخطيب: المصدر السابق، مج: ٢، ص:٥ .

(٢) الحسن بن محمد السائح:المرجع السابق،ص:٥١.

وقد اقتبس النقد الذي كتبه المقري متحدثاً فيه عن أسلوب ابن الخطيب،حيث وصفه بأنه« كاتب مسترسل بليغ لولا ما في إنشائه من الإكثار،الذي لا يخلو من عثار،والإطناب الذي يفضي إلى الاجتناب،والإسهاب الذي يعقد الاهاب».

أما أسلوبه العام الذي تجلى في شتى تصانيفه فقد لاحظ الباحث شوقي ضيف أن ابن الخطيب إضافة إلى أنه اتبع التصنيع،فقد اقترن تصنيعه بظاهرة أخرى معروفة عند أصحاب التصنع«وهي ظاهرة التصنع لمصطلحات العلوم،وبالأخص اللغوية...كما يلاحظ أن ابن الخطيب يضيف إلى ذلك تكلفاً واسعاً لألوان البديع،وزخارفه.والواقع أن ابن الخطيب له أسلوبه الخاص فجمله المنتقاة تحمل معاني واضحة،وهو في كتاب(روضة التعريف)،رغم سجعاته يضمن كتابه أفكاراً مركزة واضحة في جمل أدبية رائعة،كما أنه في الإحاطة قلما يسجع،وإنما يصنع المذاهب الكلامية حين يقصد إلى ذلك متباهياً بقدرته على التلاعب بالبديع،والبيان»[1].

ومن خصائص الكتابة التاريخية عند ابن الخطيب أنه يمعن في الدقة،والضبط،إضافة إلى استبلاغه في التفصيل الواسع،وقد رأى الباحث محمد عبد الله عنان أن رسائل ابن الخطيب في الإحاطة تمتاز«بالأسلوب الرصين المشرق،واللفظ الجزل المختار.وبالرغم أن معظمها يجري على قاعدة السجع،فإنها على الأغلب خالية من روح التكلف،الذي يجني أحياناً على الأسلوب، والمعنى.ولابن الخطيب براعة خاصة في تخير الألفاظ،وإبراز المعاني،لا يجاريه فيها الكثيرون من أكابر الكتاب.

ولابن الخطيب مقدرة فائقة على تخير أساليب المدح،والذم،ومديحه غالباً من النوع الرفيع الذي لا يشوبه التنزل الوضيع،بل تطبعه على الأغلب نزعة من الاعتزاز،والكرامة.ويبدو ذلك في كثير من تراجم الإحاطة،وفي كثير من رسائله السلطانية.ونستطيع أن نقدم لمديحه الأدبي مثلاً بترجمة صديقه،وأستاذه أحمد بن صفوان المالقي في الإحاطة،وما كتبه عنه في(الدرر الفاخرة)،وهو الديوان الذي جمعه من شعره،وما ورد في ترجمته لشيخه أبي البركات بن الحاج البلفيقي،وفي ترجمة صديقه ابن

---

(١) المرجع السابق،ص:٥٤.

خاتمة،شاعر المرية الكبير،وأن نقدم مثلاً لمديحه السياسي،بما كتبه عن سلاطين غرناطة المعاصرين،وما ورد في ترجمة صديقه وزميله الوزير الكبير الحاجب رضوان النصري.ففي هذه التراجم عبارات مختارة من أساليب المدح الرفيع،الذي يفيض اعتزازاً،وكرامة،واتزاناً في الوصف،والتصوير»[1] .

(١) ابن الخطيب:المصدر السابق،مج:١،ص:٤٦.

الفصل الثاني

التاريخي والأدبي في المجلد الأول من كتاب الإحاطة

أولاً: محتوى المجلد الأول:

جاء المجلد الأول من كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة في قسمين:

- القسم الأول: «في حلى المعاهد والأماكن والمنازل والمساكن»، وهو خاص بتاريخ العاصمة غرناطة.

- القسم الثاني: «في حلى الزائر والقاطن، والمتحرك والساكن» وفيه تراجم الأدباء، والشعراء و العلماء ، والقواد، والوزراء، وسواهم.

ويتألف القسم الأول من المجلد الأول في كتاب الإحاطة من سبعة فصول.

أولها: في اسم مدينة غرناطة، ووضعها على إجمال واختصار، وذكر بعض مآثرها المجلوة الصور، وتعداد كثير مما لها من البلدان والكور وأعلامها المائلة، كطلل مسجدها الجامع، الذي تحامى استطالة البلى، كسلت عن طمس معالمه أكف الردى، إلى بلوغ ما فسخ به من المدى[1]. وقد أورد أوصاف بعض المؤرخين لغرناطة، فقال: «ومن كرم أرضنا أنها لا تعدم زريعة بعد زريعة، ورعيا بعد رعي، طول العام، وفي عمالتها المعادن الجوهرية من الذهب، والفضة، والرصاص،والحديد، والتوتية. وبناحية دلاية[2] من عملها، عود اليلنجوج، لا يفوقه العود الهندي ذكا، وعطر رائحة. وقد سيق منه لخيران[3]

---

(١) ابن الخطيب: المصدر نفسه، مج١، ص: ٩٢ .

(٢) دلاية هي الآن dalias الحديثة، وهي بلدة صغيرة تقع غرب المرية في جنوبي سفح جبال"غدر" gador، على مقربة من البحر الأبيض المتوسط.

(٣) هو العامري أحد زعماء الدولة العامرية من الفتيان الصقالبة. نهض عقب سقوط بني عامر، وقيام الثورة الأموية في جماعة من الفتيان العامريين ،وخصوم بني أمية، وزحف على مدينة المرية، واستولى عليها (سنة ٤٠٣ هـ). وحالف بني حمود الأدارسة في البداية ثم انقلب عليهم. ولبث يتقلب بين القوى المختلفة حتى توفي قتيلا في موقعة نشبت بينه، وبين البربر في سنة ٤١٩هـ (١٠٢٨م).

صاحب المرية أصل كان منبته بين أحجار هناك. وبجبل شلير منها سنبل فائق الطيب، وبه الجنطيانا، يُحمل منه إلى جميع الآفاق، وهو عقير رفيع، ومكانه من الأدوية الترياقية مكانه. وبه المرقشينة على اختلافها، واللازورد. وبفحصها وما يتصل به القرمز.. وبها من العقار ،والأدوية النباتية ،والمعدنية ما لا يحتمل ذكرها الإيجاز. وكفى بالحرير الذي فضلت به فخرا وقيمته، وغلة شريفة، وفائدة عظيمة، تمتازه منها البلاد، وتجلبه الرفاق، وفضيلة لا يشاركها فيها إلا البلاد العراقية. وفحصها الأفيح[1] المشبه بالغوطة الدمشقية حديث الركاب، وسمر الليالي، قد دحاه الله في بسيط سهل تخترقه المذانب، وتخلله الأنهار جداول، وتتزاحم فيه القرى والجنات، في ذرع أربعين ميلا أو نحوها، تنبو العين فيها عن وجهه، ولا تتخطى المحاسن منها إلا مقدار رقعة الهضاب، والجبال المتطامية منه بشكل ثلثي دارة، قد عرت منه المدينة فيما يلي المركز لجهة القبلة، مستندة إلى أطواد سامية، وهضاب عالية، ومناظر مشرفة: فهي قيد البصر، ومنتهى الحسن، ومعنى الكمال. أضفى الله عليها، وعلى من بها من عباده المؤمنين جناح ستره، ودفع عنهم عدو الدين بقدرته» [2].

أما الفصل الثاني: ففي فتح هذه المدينة العريقة، ونزول العرب الشاميين من جند دمشق بها، وما كان عليه أحوالهم، وما يتعلق ذلك من تاريخ.

وفيه يتحدث ابن الخطيب في المبحث الأول عن فتح الأندلس على يد طارق بن زياد سنة ٩٢هـ، وانهزام لذريق ملك اسبانية في موقعة لكة بسبب براعة الخطة التي وضعها طارق، ولأن نفراً كثيراً من أنصار لذريق خذلوه في إبان المعركة، وقسم طارق الجيش بعد

(١) الفحص أو فحص غرناطة، وهو مرجها الشهير **la vega de granada** ، وهو البسيط الأخضر الذي تشرف عليه غرناطة من الجنوب الشرقي. وقد كان أيام الدولة الإسلامية من أنظر وأبدع بقاع الأندلس الخضراء ، وكان بمزارعه اليانعة وحدائقه الغناء متنزه الناس المفضل،ولاسيما في ليالي الصيف،وكان مستقى لوحي الشعر والنثر. أما اليوم فقد زالت مغانيه القديمة، وقلت خضرته وتخللته الرقاع الجرداء .

(٢)المصدر السابق، مج١، ص:٩٢.

معركة لكة أربع فرق سارت تفتح في الأندلس بيسر، وسهولة لأن الشعب الإسباني كان يتلقى العرب بالترحاب حبا في التخلص من ظلم حاكمهم لذريق القوطي، والتحق موسى بن نصير بطارق سنة ٩٣هـ، والتقى به عند مدينة طليطلة عاصمة اسبانية يومئذ ثم أتما فتح شبه جزيرة الأندلس إلا جانبا يسيرا منها في الشمال الغربي، وذكر ابن الخطيب أن الداخلين من العرب مع موسى بن نصير يسمون بالبلديين، والداخلين بعدهم مع بلج بن بشر سنة: ١٢٥هـ، يسمون بالشاميين، ثم سرد ما كان بين البلديين، والشاميين من أحداث، فقال:«ولما دخل الشاميون مع أميرهم بلج، حسبما تقرر في موضعه، وهم أسود الشرى عزة وشهامة، غص بهم السابقون إلى الأندلس، وهم البلديون، وطالبوهم بالخروج عن بلدهم الذي فتحوه، وزعموا أنه لا يحملهم ،وإياهم، واجتمعوا لغزوهم، فكانت الحروب تدور بينهم، إلى أن وصل الأندلس أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي، عابرا إليها البحر من ساحل تونس، وأظل على قرطبة على حين غفلة، وقد ستر خبر نفسه، والحرب بينهم، فانقاد إليه الجميع بحكم عهد مدينه حنظلة ابن صفوان والي إفريقية[1]، وقبض على وجوه الشاميين عازما عليهم في الانصراف حسبما هو مشهور، ورأى تفريق القبائل في كور الأندلس، ليكون أبعد للفتنة، ففرقهم، وأقطعهم ثلث أموال أهل الذمة، الباقين من الروم، فخرج القبائل الشاميون عن قرطبة» [2].

وفي المبحث الثاني: يتحدث ابن الخطيب عن ما آل إليه حال من ساكن المسلمين بهذه الكورة من النصارى المعاهدين على الإيجاز، والاختصار،والنصارى المعاهدون أو المعاهدون، أو المستعربون، وبالإسبانية (losmzarabes) ، هم النصارى الذين بقوا بعد فتح الأندلس في المدن، والبقاع المفتوحة تحت حكم الدولة الإسلامية. وكانوا يكونون أقليات كبيرة في القواعد الرئيسية مثل قرطبة، واشبيلية، وطليطلة، ويتمتعون في ظل الحكومة الإسلامية باستقلال محلي، ويطبقون شرائعهم القوطية القديمة، ولهم

---

(١) كانت الأندلس عقب الفتح تعتبر ولاية تابعة لإفريقية من الناحية الإدارية. و والي إفريقية هو الذي يختار حاكمها، واستمر ذلك معظم عصر الولاة.

(٢) المصدر السابق، مج١:، ص: ١٠٢.

قضاؤهم الخاص، ولهم كنائسهم يزاولون فيها شعائرهم الدينية بكل حرية. وكانوا فوق ذلك يتمتعون في بعض الأحيان بنفوذ قوي، ويحتل كثير منهم مناصب هامة في الحكومة والجيش،وقد أنشأت الحكومة الأندلسية اعترافاً منها بأهمية الأقليات النصرانية،منصب "القومس" للنصارى ليكون مرجعهم الرئيسي في شؤونهم الروحية. وكان القومس من الشخصيات ذات النفوذ، وكان له في معظم الأحيان مكانة خاصة لدى الأمير، أو الخليفة إذ كان مستشاره في كل ما يتعلق بشؤون النصارى وأحوالهم. ولما نمت هذه الأقليات النصرانية ،وازدهرت، بدأت في مناوأة الحكومة الإسلامية، وتدبير الدسائس ضدها، وكانت عضد الثورات المختلفة في المدن، والمقاطعات الثائرة. ولاسيما طليطلة ،وما يجاورها من المدن القريبة من حدود النصارى. ومن الغريب أنهم مع بغضهم للإسلام والحكومة الإسلامية، كانوا يأخذون بقسط وافر من التقاليد، والعادات الإسلامية، وكانوا يتكلمون العربية، ويكتبونها ،ويستعملونها في وثائقهم ومعاملاتهم، وقد نبغ الكثير منهم في النظم ،والنثر. وفي عهد عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ) (٨٢٢-٨٥٢م) حاول النصارى المعاهدون أن يدبروا فتنة خطيرة لصدع الحكومة الإسلامية، وعمد بعض القساوسة المتعصبين إلى سب الإسلام، والنبي العربي جهراً في شوارع قرطبة، وإمام القضاة الذين يحاكمونهم، ودفعوا إلى هذا التحدي بعض الفتيات النصرانيات المتعصبات. فقضى على عدد منهم بالإعدام. وازداد النصارى هياجا وتحديا، وكادت تحدث في قرطبة فتنة مدمرة، لولا أن تذرعت الحكومة الإسلامية في إخمادها بمنتهى الحزم ،والشدة،ولبث النصارى المعاهدون على كر العصور شوكة في جانب الحكومة الإسلامية يحاولون إحداث الشغب بكل الوسائل، ويشجعون كل خلاف، وثورة، ويحالفون المملكة النصرانية الشمالية، ويستعدونها على الأندلس باستمرار. ولهم في الأندلس تاريخ طويل ليس هنا موضع استقصائه. ولكن جهودهم كانت على أي حال من أهم العوامل في إضعاف الحكومة الإسلامية، وفي تعضيد جهود اسبانيا النصرانية لاسترداد أراضيها المفتوحة من المسلمين. وهذا ما يعتبره المؤرخون الإسبان من وجهة نظرهم أعمال بطولة. ولهذا يخصص العلماء الإسبان لتاريخ "النصارى المعاهدين"

مصنفات وبحوثا كثيرة ،وقد وضع المستشرق الكبير سيمونيت **simonet** في تاريخ النصارى المعاهدين مؤلفا ضخما عنوانه (١٨٩٧ **historia de los (madrid** **mozarabes de espana** ومن أحدث المؤلفات في هذا الموضوع كتاب وضعه المستشرق **isidro de las cagigas** عنوانه: **madrid)LOS mozarabes** (١٩٤٧)[1].

قال ابن الخطيب:« ولما استقر بهذه الكورة الكريمة أهل الإسلام، وأنزل الأمير أبو الخطار قبائل العرب الشاميين بهذه الكورة، واقطعهم ثلث أموال المعاهدين، استمر سكانهم في غمار من الروم، يعالجون فلاحة الأرض، وعمران القرى، يرأسهم أشياخ من أهل دينهم، أولو حنكة ودهاء ومداراة، معرفة بالجباية اللازمة لرؤوسهم. واحدهم رجل يعرف بابن القلاس، له شهرة وصيت، وجاه عند الأمراء بها. وكانت لهم بخارج الحضرة، على غلوتين[2]، تجاه باب إلبيرة[3] في اعتراض الطريق إلى قولجر[4]، كنيسة شهيرة، اتخذها لهم أحد الزعماء من أهل دينهم، استركبه بعض أمرائها في جيش خشن من الروم، فأصبحت فريدة في العمارة، والحلية، أمر بهدمها الأمير يوسف بن تاشفين[5]، لتأكد رغبة الفقهاء،وتوجه فتواهم» [1].

---

(١) المصدر السابق،مج:١،ص:١٠٦ -١٠٧(هامش:٠٢).

(٢) الغلوة مقياس مسافة وتقدر بـ٣٠٠ ذراع أو ٤٠٠.

(٣) باب إلبيرة **peurta de elvira** هو من أبواب غرناطة القديمة، وما يزال قائما حتى اليوم بقوسه، وجانبيه في الميدان المسمى باسمه، داخل مدينة غرناطة. وهو الباب الوحيد الذي بقي كاملا ،وسليما من أبواب سورها الخارجي. يبد أنه توجد من أبوابها الداخلية بضعة أبواب أخرى في حي البيازين وفي مدينة الحمراء.

(٤) هي اليوم بلدة **cuejar sierra** الصغيرة الواقعة على قيد مسافة قليلة من شرق غرناطة في اتجاه باب إلبيرة.

(٥) يترجم ابن الخطيب في نهاية 'الإحاطة' ليوسف بن تاشفين اللمتوني زعيم المرابطين، ومؤسس دولتهم بالمغرب والأندلس المتوفى سنة ٥٠٠هـ (١١٠٦م). ونكتفي بأن نشير هنا إلى أعظم أعمال حياته، وهو عبوره إلى الأندلس نصرة لأمرائها ملوك الطوائف حينما اشتدت عليهم وطأة النصارى، ولقاؤه مع جيوش

لقد تسامح المسلمون في الأندلس مع الشعوب الأخرى من النصارى، واليهود، والصقالبة وغيرهم. وكانوا يتمتعون في ظل الدولة الإسلامية باستقلال محلي يطبقون شرائعهم النصرانية، واليهودية بكل حرية، ولما بدأت هذه الأقليات في مناوأة المسلمين ،وتدبير الدسائس ضدهم، تحركت الحكومة الإسلامية بقرطبة في عهد المرابطين في ردعهم بكل حزم وقوة. وقد أمر الخليفة المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين الذي حكم من سنة: ٥٠٠ إلى سنة ٥٣٧هـ، بتغريب النصارى المعاهدين بناء على فتوى الفقيه ابن رشد جد الفيلسوف الشهير ابن رشد، وخلاصتها أن النصارى المعاهدين قد نقضوا العهود، وأخلوا بها، فسقطت عنهم الحماية الممنوحة لهم، وحق عليهم العقاب، قال ابن الخطيب نقلا عن ابن الصيرفي:« ولما بان للمسلمين من مكيدة جيرانهم المعاهدين، ما أجلت عنه هذه القضية، أخذهم الإرجاف، ووغرت لهم الصدور(ووجه إلى مكانهم الحزم)، ووجه القاضي أبو الوليد بن رشد[2] الأجر، وتجشم المجاز، ولحق بالأمير «علي بن يوسف بن تاشفين بمراكش»، فبين له أمر الأندلس، وما منيت به من معاهدها، وما جنوه عليها،من استدعاء الروم، وما في ذلك من نقض العهد، والخروج عن الذمة، وأفتى بتغريبهم، وإجلائهم عن أوطانهم، وهو أخف ما يؤخذ به من عقابهم، وأخذ بقوله، ونُفذ بذلك عهده، وأزعج منهم إلى بر العدوة، في رمضان من العام المذكور، عدد جم، أنكرتهم الأهواء، وأكلتهم الطرق، وتفرقوا شذر مذر، وأصاب كثير من الجلاء جمعتهم من اليهود، وتقاعدت بها منهم طائفة، هبت لها بممالأة بعض الدول ريح، فأمروا،

الأندلس، لجيوش النصرانية المتحدة في سهول الزلاقة سنة: ٤٧٩هـ (١٠٨٦م)، وإحرازه عليهم نصره الباهر الذي أنقذ به الأندلس من الفناء، والذي مد في حياتها قرونا أخرى.

(١) المصدر السابق، مج:١، ص:١٠٦، وما بعدها.

(٢) أبو الوليد بن رشد هذا هو جد الفيلسوف الشهير ابن رشد والاسمان متشابهان، وكلاهما يكنى أبا الوليد. وقد ولد الفيلسوف في حياة جده المشار إليه سنة ٥٢٠هـ، أعني في نفس السنة التي وقعت فيها غزوة النصارى لمرج غرناطة، وعبر فيها الجد إلى مراكش.

وأكثروا إلى عام تسعة وخمسين وخمسمائة، ووقعت فيهم وقيعة احتشتهم، إلا صابة[1] لهذا العهد قليلة، قديمة المذلة، وحالفت الصغار جعل الله العاقبة لأوليائه» [2].

ثم يلي ذلك عنوان وسمه المؤلف «ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة من الأقـاليم الـتي نزلها العرب بخارج غرناطة، وما يتصل بها من العمالة» .

أما الفصل الثالث: ففيما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى، والجنات، والجهات.

يصف المؤلف في هذا الفصل ما يحف بسور مدينة غرناطة المعصومة بدفاع الله تعالى من البساتين، والأدواح الملتفة، فيقول:

بَلْدٌ يَحِفُّ بِهِ الرِّيَاضُ كأنّه وجْهٌ جَمِيلٌ والرِّياضُ عِذَارُه

وَكَأنمَا وَادِيهِ مِعْصَمُ غَادَةٍ وَمِن الجُسُور المُحْكَماتِ سِوَارُه

ولأهل الحضرة بهذه الجنات كلف، ولذوي البطالة فوق نهره أريـك مـن دمـث الرمـل، وحجال من ملتف الدوح، وكان بها سطر من شجر الحور، تنسب إلى مامل، أحد خـدام الدولة الباديسية[3]، أدركنا المكان، يعرف بها.

قال أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن حسان:

أحِنُّ إلى غَرْنَاطَة كُلمَا هَفَت نسيمُ الصَّبَا تهدَى الجَوَى وتشُوق

سَقى اللهُ مِنْ غَرْنَاطة كُل مَنْهل بمَنْهل سُحبٍ مَاؤُهُنَّ هَرِيق

دِيَارٌ يَدُور الحُسنُ بَيْن خِيَامِها وأرضٌ لَها قلبُ الشَّجِيِّ مَشُوق

أغَرْناطَــة العُليـــا بالله خبِّرِي أ لِلْهَــائِمِ البَاكِي إلَيْكِ طَرِيق

---

(١) أي أقلية محدودة.

(٢) ينظر ابن الخطيب، المصدر السابق، مج١:، ص: ١١٣ -١١٤.

(٣) - أو مؤمل نسبة إلى باديس بن حبوس الصنهاجي الملقب بالمظفر. وقد حكم غرناطة، وأحوازها عقب الفتنة البربرية من ٤٢٨ -٤٦٧هـ، وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد.المصدر السابق،ص:١١٧.

ومَـا شـَاقنِي إلا نضـارةُ مَنْظَـر	وَبَهجــةُ وَادٍ للعُيُـونِ تـرُوق
تأمَّل إذا أَمَّـلْت حـَـوْز مُؤَمِّـلٍ	ومُـدٌّ من الـحَمْرا عَليك شَقِيق
وأَعـلاَمُ نَجدٍ والسَبِيكـة قد عَلت	وللشَّفق الأعلـَـى تَلوحُ تَـرُوق
وقَد سَل شَنِيلٌ[1]فِرنـدًا مُهنَّدا	نَضى فَوقَ دُرّ دُرّ فِيـه عَقِيقُ
إذا نمَّ مِنـهُ طِيبُ نشْرٍ أرَاكـه	أراكَ فَنيت المِسكَ وهُو فَتِيقُ
ومَهما بَكى جَفْن الغَمَامِ تَبسمَت	ثغـورُ أَقـاحٍ للرِّيـاضِ أنِيقُ

ولقد ولع الشعراء بوصف هذا الوادي، وتغالت الغالات فيه، في تفضيله على النيل بزيادة الشين، وهو إلف من العدد فكأنه نيل بألف ضـعف، علـى عـادة متنـاهي الخيـال الشعري، في مثل ذلك.

ولقد ألغزت فيه لشيخنا أبي الحسن بـن الجيـاب[2]،رحمـه الله، وقـد نظـم في المعنـى المذكور ما عظم له استطرابه ،وهو:

ما اسمٌ إذا زدْته ألفًا من العَدَد	أفَادَ مَعنَاهُ لم ينْقُص ولَم يَزِد
وإنما ائتَلَفـا مِنْ بعدِ ما اختَلفَـا	مَعْنى بشينٍ، ومنْ نَزْر، ومن بَلدٍ[1]

---

(١) شنيل، وبالاسبانية GENILو XENIL ، وهو النهر الذي تقع عليه غرناطة. ويسمى أيضا عند الأندلسيين بنهر سنجيل، مشتقا من اسمه اللاتيني SINGILIS. وشنيل هو أحد فروع نهر الوادي الكبير. وقد كانت ضفافه أيام الدولة الإسلامية غاصة بالحدائق الغناء. ولكنه اليوم يغلب عليه الجفاف، وقد عفت الحضرة عن شاطئيه. وقد رأيناه غير مرة، وقد كاد قاعه يخلو من الماء ،المصدر السابق،ص:١١٨.

(٢)هو الرئيس ذو الوزارتين أبو الحسن علي بن الجياب من أقطاب الشعر والكتابة. وكان ابن الخطيب من تلامذته ومعاونيه في ديوان الإنشاء. ويترجم له ابن الخطيب فيما بعد، ويسميه (شيخنا ورئيسنا العلاّمة البليغ). وقد نقل المقري ترجمته من الإحاطة، وأورد له كثيرا من النثر، والنظم (نفح الطيب ج:٣ ،ص: ٢٢٦ -٢٤٥).

الفصول في الأصل غير مرقمة، ولكننا رأينا ترقيمها لتسهيل الدراسة، ثم إننا نفصل الحديث في المسائل المتعلقة بالتاريخ والأدب، ونوجز الحديث عند تناولنا لقضايا لها علاقة غير مباشرة بالتاريخ، والأدب.

الفصل الرابع: في وصف مدينة غرناطة، وبعض ما قيل فيها من الشعر.

ذكر ابن الخطيب في هذا الفصل بعض الشعراء الذين نظموا شعرا في مدينة غرناطة ومنهم: الفقيه القاضي أبو القاسم بن أبي العافية، يجيب بها عروس الشعراء، الأديب الرحالة أبا إسحاق الساحلي، وكان ممن نيطت عليه بهذا العهد التمائم، ومطلعها:

يَا نَازحاً لعِب المَطِيُ بِكُورِهِ لعِب الرِيّاحِ الهَوجِ بالأُمْلوُد[٢]

ولهذه المدينة ذكر يجرى في المنظومات الشعرية على ألسنة البلغاء من ساكنيها، وزوارها، ومنهم: أبو البركات بن الحاج البلفيقي شيخ ابن الخطيب، والفقيه أبو القاسم بن قطبة، وابن الخطيب[٣]، وغيرهم.

الفصل الخامس: في وصف قرى مدينة غرناطة، وصياغتها ،وجنانها، وأعيان دورها.

وذكر ابن الخطيب أن أكثر هذه القرى أمصار، فيها ما يناهز خمسين خطبة، تنصب فيها لله المنابر، وترفع الأيدي، وتتوجه الوجوه.

الفصل السادس: في صفات أهل غرناطة، ومظاهرهم، وأنسابهم، وأزيائهم، وطرائق معيشتهم وصنوف نقدهم، ووصف نسائهم.

الفصل السابع: فيمن تداول هذه المدينة من مدن أصبحت دار إمارة باختصار، واقتصار.

قال ابن الخطيب:« أول من سكن هذه المدينة، سكنى استبداد، وصيرها دار ملكه، ومقر أمره، الحاجب المنصور أبو مثنى زاوي بن زيري بن مناد[١] لما تغلب جيش البربر،

---

(١)ابن الخطيب: المصدر السابق، مج:١، ص:١١٥ وما بعدها .

(٢) ينظر القصيدة كاملة في المصدر السابق، ص: ١٢٠ -١٢١.

(٣) ينظر الأشعار في المجلد الأول من كتاب الإحاطة، ص:١٢٠ وما بعدها.

مع أميرهم سليمان بن الحكم على قرطبة، واستولى على كثير من كور الأندلس، عام ثلاثة وأربعمائة فما بعدها، وظهر على طوائف كثير من كور الأندلس، عام ثلاثة وأربعمائة فما بعدها، وظهر على طوائف الأندلس[٢]، واشتهر أمره، وبعد صيته. ثم اجتاز البحر إلى بلد قومه بافريقية، بعد أن ملك غرناطة سبع سنين، واستخلف ابن أخيه حبوس بن ماكسن، وكان حازماً داهية، فتوسع النظر إلى أن مات سنة تسع وعشرين والأربعمائة.

وولي بعده حفيده عبد الله بن بلكين[٣] بن باديس، إلى أن خُلع عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة، وتصيّر أمرها إلى أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ملك لمتونة عند تملكه الأندلس، ثم إلى ولده على بن يوسف. وتنوب إمارتها جملة من أبناء الأمراء للمتونيين، وقرابتهم كالأمير أبي الحسن علي بن الحاج ،وأخيه موسى، والأمير أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر بن إبراهيم، والأمير أبي الطاهر تميم، والأمير أبي محمد مزدلي، والأمير أبي بكر بن أبي محمد، وأبي طلحة الزبير ابن عمر، وعثمان بن بدر اللمتوني، إلى أن انقرض أمرهم عام أربعين وخمسمائة.

---

(١) كانت غرناطة عقب ثورة البربر التي قامت على أثر انهيار الدولة العامرية، والخلافة الأموية من نصيب البربر، واستولى عليها زعيمهم زاوى بن زيري الصنهاجي سنة ٤٠٣هـ ،وحكمها حتى سنة: ٤١٠هـ(١٠١٢ -١٠١٩م). وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد في نهاية هذا المجلد.

(٢) طوائف الأندلس، هم زعماء الطوائف الذين اقتسموا ولايات الأندلس، وقواعدها عقب انهيار الخلافة، وثورة البربر، وأسسوا لأنفسهم في ولايات الأندلس، وقواعدها إمارات، وممالك صغيرة. وعرف أولئك الزعماء بملوك الطوائف.

(٣) يجب أن نصحح هنا سهوا تاريخيا، وقع فيه ابن الخطيب. ذلك أن الذي تولى حكم غرناطة بعد حبوس بن ماكسن هو ولده باديس، وقد حكم حتى سنة ٤٦٥هـ. ثم تولى الحكم من بعده حفيده عبد الله بن بلقين بن باديس، وحكم حتى سنة ٤٨٣هـ.

وتصير الأمر للموحدين، وإلى ملكهم أبي محمد عبد المؤمن بن علي[1]، فتناوبها جملة من بنيه، وقرابته، كالسيد أبي عثمان بن الخليفة، والسيد أبي إسحاق بن الخليفة، والسيد أبي إبراهيم بن الخليفة، والسيد أبي محمد بن الخليفة، والسيد أبي عبد الله إلى أن انقرض منها أمر الموحدين.وتملكها المتوكل على الله، أمير المؤمنين، أبو عبد الله محمد يوسف بن هود.

في عام ستة وعشرين وستمائة، ثم لم ينشب[2]أن تملكها أمير المسلمين الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر الخزرجي، جد هؤلاء الأمراء الكرام، موالينا، رحم الله من درج منهم، وأعان من خلفه، إلى أن توفي عام أحد وسبعين وستمائة. ثم ولي الأمر بعده ولده وسميه محمد بن محمد فقام بها أحمد قيام، وتوفي عام إحدى وسبعمائة.

ثم ولي بعده سميه محمد إلى أن خلع يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمائة، وتوفي عام أحد عشر، وسبعمائة في ثالث شوال منه. تم ولي بعده أخوه نصر بن مولانا أمير المسلمين أبي عبد الله، فارتب أمره، وطلب الملك اللاحق به، مولانا أمير المسلمين أبو الوليد إسماعيل بن فرج، فغلب على الإمارة، ثاني عشر ذي القعدة من عام ثلاثة عشر وسبعمائة، وانتقل نصر إلى وادي أش مخلوعا، موادعا بها إلى أن مات عام اثنين وعشرين وسبعمائة. وتمادى ملك السلطان أمير المسلمين أبي الوليد إلى السادس والعشرين من رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة، ووثب عليه بعض قرابته فقتله، وعوجل بالقتل مع من حضر منهم. وتولى الملك بعده ولده محمد، واستمر سلطانه إلى ذي الحجة من عام

---

(١) هو خليفة المهدي محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين، وثاني رؤسائها، وأعظم زعمائها. تولى الزعامة عقب وفاة المهدي، وأتم افتتاح المغرب من يد المرابطين، وقضى على دولتهم بافتتاح مراكش سنة ٥٤٣هـ، وافتتح الأندلس من يد المرابطين، وحلفائهم. ووطد دولة الموحدين في المغرب، والأندلس. وكانت وفاته في سنة ٥٥٨هـ (١١٦٣م).

(٢) أي: لم يلبث.

أربعة ،وثلاثين وسبعمائة، وقتل بظاهر جبل الفتح[1]. وولي بعده أخوه مولانا السلطان أبو الحجاج لباب هذا البيت، وواسطة هذا العقد، وطراز هذه الحلية، ثم اغتاله[2] ممرور من أخابيث السوقة،قيضه الله إلى شهادته، وجعله سببا لسعادته، فأكب عليه في الركعة الآخرة من ركعتي عيد الفطر، بين يدي المحراب، خاشعا، ضارعا، في الحال الذي أقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد، وضربه بخنجر مهيأ للفتك به، في مثل ذلك الوقت، كان زعموا يحاول شحذه منذ زمان، ضربة واحدة، على الجانب الأيسر من ظهره، في ناحية قلبه، فقضى عليه، وبودر به فقتل.

وولي الأمر بعده محمد[3] ،ولده أكبر بنيه، وأفضل ذويه، خلقا، وخلقا، وحياء، وجودا، ووقارا، وسلامة، وخيرية.

---

(١) أي جبل طارق. الذي سماه الفتح هو الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي، وذلك حين نزل به سنة: ٥٥٥هـ ليتفقد منشأته الجديدة، وسماه بذلك الاسم لأنه كان دائما يتخذ قاعدة لعبور الجيوش الإسلامية الغازية إلى إسبانيا منذ طارق بن زياد.

(٢) قتل السلطان يوسف أبو الحجاج غيلة على النحو الذي يصفه ابن الخطيب في يوم عيد الفطر سنة ٧٥٥هـ (أكتوبر سنة ١٣٥٤م). وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد بإفاضة.

(٣) هو السلطان محمد الغني بالله، تولى الملك مرتين: الأولى بين سنتي (٧٥٥ -٧٦٠هـ). الثانية بين سنتي (٧٦٣ -٧٩٣هـ). وهو السلطان الذي قضى ابن الخطيب في خدمته زهاء ستة عشر عاما ،وشاطره المنفى بعد ولايته الأولى، ويخص ابن الخطيب حوادث عصر مليكه الغني بالله، وهو في نفس الوقت العصر الذي بلغ فيه ابن الخطيب ذروة مجده السياسي والأدبي، بفصول كثيرة في الإحاطة ،وفي كتبه الأخرى.

ودافع دولته من لا يعبأ الله به[1]، تم تدارك الأمر سبحانه، وقد أشفى، ودافع، وكفى، بما يأتي في محله إن شاء الله. وهو أمير المسلمين لهذا العهد، متع الله به، وأدام مدته، وكتب سعادته، وأطلق بالخير يده، وجعله بمراسيم الشريعة من العاملين، والسلطان يوم الدين من الخائفين، المراقبين، بفضله.

وقد أتينا بما أمكن من التعريف بأحوال هذه الحضرة على اختصار، ويأتي في أثناء التعريف برجالها كثير من تفصيل ما أجمل، وتتميم ما بدأ، وإيضاح ما خفي، بحول الله تعالى» [2].

وأما القسم الثاني من المجلد الأول، فعنونه المؤلف بـ«في حلى الزائر والقاطن، والمتحرك والساكن»، وهو لب الكتاب، وفيه تناول تراجم الشعراء والأدباء، والملوك، والوزراء، والعلماء، وسواهم، وفيهم شيوخ ابن الخطيب الذين أخذ عنهم، كما أن هناك من عرفهم ابن الخطيب معرفة عين، أو معرفة سماع، سواء أكان وقت تأليف الكتاب حيا في الأحياء ،أو ميتا في الموتى ... وهو يتعلق بتاريخ العصر الذي عاش فيه ابن الخطيب، ويضم أيضا شيئا من تواريخ العصور السابقة.

فهذا القسم يحتوي على الشعر، والخبر (التاريخ)، فكل شخصية من الشخصيات المذكورة في هذا المجلد لها عنوان خاص، ولها أخبار، وصفات يأتي بعدها ابن الخطيب بما يختارها لها من أبيات، أو مقطعات ،أو قصائد، حسب المادة التي يملكها، وقد اتبع الترتيب الأبجدي في دراسة هذه الشخصيات .

---

(١) يشير ابن الخطيب هنا إلى ثورة إسماعيل أخي السلطان محمد الغني بالله عليه، وانتزاعه الملك منه في رمضان سنة: ٧٦٠هـ، واستمراره في العرش ثلاثة أعوام، استطاع محمد بعدها أن يسترد ملكه، وذلك في أوائل سنة ٧٦٣ هـ.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق، مج:١، ص:١٤٠ ،وما بعدها.

أما طريقة عرض الشخصيات المترجم لها في الكتاب فهي في مجملها كالآتي: اسمه وكنيته، أوليته (نسبه)، حاله (ثقافته-تخصصه) ، نباهته، مشيخته، دخوله غرناطة (إن كان ليس من ساكنيها) شعره، تصانيفه ، محنته (لمن وقعت عليه المحنة)، مولده، وفاته.

وقد ترجم في هذا القسم إلى خمس وتسعين شخصية أدبية، وتاريخية، وكان أول من ترجم له ابن الخطيب في هذا القسم أحمد بن خلف بن عبد الملك الغساني القليعي فذكر أنه من أهل غرناطة،من جلة أعيانها،وإليه تنسب الساقية الكبرى المجاورة لطوق الحضرة إلى إلبيرة،وما والاها.

وفي حديثه عن حاله نقل ما ذكره ابن الصيرفي عنه،من أنه كان«فريد عصره،وقريع دهره في الخير،والعلم،والتلاوة،وله حزب من الليل،وكان سريع الدمعة،كثير الرواية،وهو المشار إليه في كل نازلة،وله العقد،والحل،والتقدم،والسابقة،مع مُنة في جلائل الأمور،والنهضة بالأعباء،وسمو الهمة»[1].

وبالنسبة لمشيخته ذكر أنه روى عن أبي عمر بن القطان،وأبي عبد الله بن عتاب،وأبي زكريا القُليعي،وأبي مروان بن سراج،وكان ثقة صدوقاً أخذ عنه الناس.

وختم بذكر محنته.

وترجم بعده لأحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الهمداني اللخمي،وقد كان وزيراً،وفقيهاً،وكانت وفاته بإلبيرة قبل الثلاثين،وأربعمائة.

وتوقف مع مناقب أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب بن يزيد بن الشمر بن عبد شمس بن غريب الهمذاني الإلبيري،والذي كان من أهل البلاغة،والبيان،والأدب،والشعر البارع.

وتحدث باستفاضة عن شخصية أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشي،والمعروف بابن فركون،فوثف حاله في البدء بقوله:« كان من صدور القضاة بهذا الصقع الأندلسي،اضطلاعاً بالمسائل،ومعرفة بالأحكام من مظانها،كثير المطالعة،والدروب،وحي الإجهاز في فصل القضايا،نافذ المقطع،كثير الاجتهاد،والنظر،مشاركاً في فنون من

---

(١) ابن الخطيب،المصدر السابق،مج:١،ص:١٤٧.

عربية،وفقـه،وقراءة،وفرائض،طيب النغمـة بالقرآن،حسـن التلاوة،عظـيم الوقـار،بين طبع،ومسـكوب،فائق الأبهـة،مُزرياً بمـن دونـه مـن الفقهاء،وعاقـدي الشروط،مُسـقطاً للكُنى،والتجلات،يعامل الكهول معاملة الأحداث،ويتهاون بتعاملات ذلك فيجعلها دُبُر أذنيه،ويسترسل في إطلاق عِنان النادرة الحارة،في مجالس حُكمه،فضـلاً عـن غيرها،وجـد ذلك من يحمل سبباً للغرض منه»[1].

وبعد أن تطرق لنباهته،توقف مع مشيخته فأشار إلى أنه قرأ بالقرية على الأستاذ أبـي القاسم بن الأصفر،وبغرناطة على العالم القاضي أبي الحسن محمـد بـن يحيـى بـن ربيـع الأشعري،وعلى الشيخ المُفتي أبي بكر محمد بن أبي إبراهيم بن مُفرج الأوسي بن الدباغ الإشبيلي،وعلى الخطيب الزاهد أبي الحسن العدّال،وعلى الأستاذ النحوي أبـي الحسـن علي بن محمد بن علي بن يوسف بن الصائغ،وعلى الأستاذ أبي الحسن الأبدي،وأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي،وقد عُرف بابن مستقور.

وفي الأخير أشار ابن الخطيب إلى أن ولادته كانت عام تسعة وأربعين،وسـتمائة،وتوفي في السادس عشر لذي القعدة عام تسعة وعشرين وسبعمائة.

وبعده تحدث عن شخصية أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بـن يحيـى بـن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن جُزي الكلبي،وهو مـن أهـل غرناطـة،ويُعرف بـابن جُزَيّ،ووصف حاله بأنـه مـن أهـل الفضل،والنزاهة،والهمة،وحُسـن السمعة،واسـتقامة الطريقة،غَرَب في الوقار،ومال إلى الانقباض،وترشح إلى رُتب سلفه،وله مشاركة حسنة في فنون،من فقه،وعربية،وأدب،وحفظ،وشعر،تسمو ببعضه الإجادة إلى غاية بعيدة.

وعن مشيخته ذكر بأنه قد قرأ على والده الخطيب أبي القاسم،ولازمه،واستظهر بـبعض موضوعاته،وتأدب به،وقرأ على بعض معاصري أبيه، وروى،وجلب له والده الكثير من أهل صقعة،وغيرهم.

---

(١) المصدر السابق،مج:١،ص:١٤٧.

وذكر،وهو يتحدث عن نباهته أنه أُرسم في الكتابة السلطانية لأول دولة السابع من الملوك النصريين،منفق سوق الحلية من أبناء جنسه،أبي الحجاج بن نصر،فوري رُندة،ودرت أحلاب قريحته،وقد صدر له في مدائحه شعر كثير،وبعد ذلك تصرف في الخُطط الشرعية،وولي القضاء ببرجة،ثم بأندرش،وصار بعدها قاضياً بمدينة وادي آش،وهو مشكور السيرة،ومعروف النزاهة[1].

وقد ولد في الخامس عشر من جمادى الأولى عام خمسة عشر وسبعمائة.

كما تحدث عن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري الخزرجي بإسهاب،فأشار إلى أنه يكنى أبا العباس، وهو من أهل الثغر الأعلى.

وعن أوليته(نسبه) ذكر أنه من سرقسطة، حيث منازل الأنصار هنالك،وقد انتقل جد أبيه عبد الرحمن بابنه الصغير منها لحدوث بعض الفتن بها إلى بلنسيه، فولد له ابنه عبد الرحمن أبو العباس هذا، ثم انتقل أبوه إلى المرية، فولد أبو العباس بها، ونقله أبوه إلى سبتة فأقام بها مدة.

ووصف حاله بأنه« كان محدثا مكثرا ثقة، ضابطا، مقرئا، مجودا، حافظا للفقه، ذاكرا للمسائل، عارفا بأصولها، متقدما في علم الكلام، عاقدا للشروط، بصيرا بعللها، حاذقًا بالأحكام، كاتبا بليغا، شاعرا محسنا، أتقن أهل عصره خطا، وأجلهم منزعا، ما اكتسب قط شيئا من متاع الدنيا، ولا تلبس بها، مقتنعا باليسر، راضيا بالدون، مع الهمة العلية، والنفس الأبية، على هذا قطع عمره، وكتب من دواوين العلم، ودفاتره، ما لا يحصى كثرة، بجودة، وضبط، وحسن خط، وعني به أبوه في صغره، فاسمعه كثيراً من الشروح،

---

(١) المصدر السابق،مج:١،ص:١٥٧وما بعدها.

وشاركه في بعضهم»[1].

وتطرق لنباهته فأشار إلى أن أبا عبد الله بن حسون ، قاضي مراكش، استدعاه إلى كتابته، إلى أن صرف، واستقر هو متولي حكمها ،وإحكامها، والصلاة في مسجدها، ثم ترك الأحكام، واستقر في الإمامة. ولما تصير الأمر إلى الموحدين، ألحقه عبد المؤمن، منهم بجملة طلبة العلم، وتحفا به، وقدمه إلى الأحكام بحضرة مراكش، فقام بها مدة، ثم ولاه قضاء غرناطة، ثم نقله إلى اشبيلية قاضيا بها مع ولي عهده. ولما صار الأمر إلى أبي يعقوب[2]، ألزمه خدمة الخزانة العلمية، وكانت عندهم من الخطط التي لا يعين لها الكبار أهل العلم وعليهم، وكانت مواهب عبد المؤمن له جزلة، وأعطياتهم مترافهة كثيرة.

وقد قرأ القرآن على أبيه، وأكثر عنه، وأجاز له، وعلى أبي الحسن التطيلي[3]، قال، وهو أول من قرأت عليه.

ولم يغفل الحديث عن دخوله غرناطة،وعن شعره،وتصانيفه،ومحنته،فذكر أنه دخل غرناطة «صحبة القاضي(أبو القاسم بن حمزة)، ونوه به ،واستخلفه إذ وليها، وقبض عليه بكلتي يديه، ثم استقضى بها أبو الفضل عياض بن موسى، فاستمسك به، واشتمل عليه، لصحبة كانت بينهما وقرابة، إلى أن صرف عنها أبو الفضل عياض، فانتقل إلى وادي آش، فتولى أحكامها والصلاة بها، ثم عاد إلى غرناطة سنة ست وثلاثين، إلى أن استقضى بغرناطة في دولة أبي محمد بن عبد المؤمن بن علي، فحمدت سيرته، وشكرعدله، وظهرت نزاهته، ودام بها حتى ظن من أهلها.

---

(١) المصدر السابق،مج:١،ص:١٨٣.

(٢) أبو يعقوب يوسف هو ولد عبد المؤمن وخليفته. وقد حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٥٨ -٥٨٠ هـ (١١٦٢ -١١٨٤م) وتوفي متأثرا بجراحة في موقعة شنترين التي هزم فيها الموحدون (ربيع الأخر سنة ٥٨٠ هـ)،ينظر:المصدر السابق،ص:١٨٤.

(٣) التطيلي، نسبة إلى تطيلة، وهي مدينة من مدن الثغر الأعلى تقع شمال غربي سرقسطة على نهر ايبرو، وبالاسبانيةTudela.

أما شعره ففي طريقة الزهد، ولا ينفذ فيها إلا من قويت عارضته، وتوفرت مادته:

إِلهي لك المُلكُ العَظِيمُ حَقِيقِةً ... ومَا لِلوَرى مَهْمَا مَنعت نَقير

تَجَافى بَنُو الدُنيا مَكَانِي فَسَرنِي ... ومَا قَدرُ مَخْلُوقٍ جَداهُ حَقِير

وقَالُوا فَقِير وهُم عِندِي جَلالةً ... نعم صَدقُوا إنِي إليكَ فَقِير

وشعره في هذا المعنى كثير، وكله سلس المقادة، دالا على جودة الطبع.

ومن شعره قوله:

إِرضِ العَدُو بِظاهِرٍ مُتَصنعٍ ... إنْ كُنت مُضطراً إلى استِرضَائِهِ

كمْ مِن فَتَى ألقَى بِوجَهٍ بَاسِمٍ ... وجَوَانِحِي تتقِدُ منْ بَغضَائِهِ

و له تصانيف مفيدة، تدل على إدراكه وإشرافه، كشرحه الشهاب، فإنه أبدع فيه، وكتابه "أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار"، وابتدأ تأليفه، وتوفي دون إتمام غرضه فيه، فكمله عبد الله ابنه»[1].

أما بخصوص محنته فقد ذكر ابن الخطيب أنه كان ممن وقعت عليه المحنة العظمى بمراكش يوم دخول الموحدين إياها، يوم السبت لاثني عشر ليلة بقيت من شوال(عام) إحدى وأربعين وخمسمائة، على الوجه المشهور في استباحة دماء كل من اشتملت عليه من الذكور البالغين، إلا من تستر بالاختفاء في سرب(أو غرفة) أو مخبأ. وتمادى القتل فيها ثلاثة أيام، ثم نودي بالعفو عمن إشارته الفتكة الكبرى، فظهر من جميع الخلق بها، ما يناهز السبعين رجلا، وبيعوا بيع أسارى المشركين،هم وذرا ريهم، وعفي (عنهم)، فكان أبو العباس ممن تخطته المنية، واستنقذه من الرق العفو، وحسبك بها محنة، نفعه الله، وضاعت له في ذلك وفي غيره، كتب كثيرة بخطه، وبغير خطه، مما تجل عن القيمة.

(١) المصدر السابق،مج:١،ص:١٨٤وما بعدها.

وختم بالتوقف مع مولده،ووفاته،فقد ولـد بالمرية في أواخر شـهر ربيـع سـنة اثـنين وخمسمائة.

و توفي بمراكش بين صلاة الظهر والعصر، في يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وخمسمائة. ودفن يوم الإثنين بعده عقب صلاة الظهـر، وصـلى عليـه القاضي أبو يوسف حجاج، وكانـت جنازتـه عظيمـة المحفـل، كـثيرة الجمـع، بـرز إليهـا الرجال، و النساء ورفعوا نعشه على الأيدي. رحمه الله.

ومما رثاه به جاره وصديقه أبو بكر بن الطفيل[1]، وهو بإشبيلية، بعـث بهـا إلى ابنـه مـع كتاب في غرض العزاء:

لأَمْرٍ مَـا تَغيْرتِ الدُهُـور ... وأظلَمتِ الكَوَاكِبُ والبُدُور

وطالَ على العُيُونِ الليلُ حَتى ... كـَان النجْمُ فِيـهِ لا يَغـُور[2]

وتوقف مع شخصية أحمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمن المعروف بابن القبـاب،وهو مـن أهـل فـاس،ويُكنى بـأبي العبـاس،و وصـف حالـه بأنـه صـدر عـدول الحضـرة الفاسية،وناهض عُشهم،طالب،فقيه،نبيه،مُدرك،جيد النظر،سديد الفهم،حضـر الـدروس بين يدي السلطان،ووُلي القضاء بجبل الفتح،متصفاً فيه بجزالة،وانتهاض.تعرفتُ به بمدينة فاس،فأعجبتني سيمته،ووصل مدينة سلا في غرض اختبار،واستطلاع الأحوال السلطانية.

وختم بذكر دخوله غرناطة في عام اثنين،وستين،وسبعمائة،مُوجهاً من قبل سلطان المغرب أبي سالم بن أبي الحسن لمباشرة صدقة عهد بها لبعض الربط.

---

(١) هو أبو بكر محمد بن عبد المالك بن طفيل (او ابن الطفيل) القيسي من أعظم فلاسفة الأندلس وأطبائها. ولد في أوائل القرن السادس الهجري بمدينة وادي آش. وتوفي بمراكش سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥م). وتولى منصب الوزارة ومنصب الطبيب الخاص للخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدي، وكان صديقا وأستاذا لابن رشد؛ وهو صاحب رسالة "حي بن يقظان" الشهيرة وسوف يترجم له ابن الخطيب في المجلد الثاني من الإحاطة.

(٢) المصدر السابق،مج:١،ص:١٨٦.

كما قدم ابن الخطيب ترجمة وافية لأحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مُسلم بن كعب الثقفي،فتحدث في البدء عن أوليته فقال إن كعب الذي ذُكر«هو كعب بن مالك بن علقمة بن حباب بن مسلم بن عدي بن مرة بن عوف بن ثقيف،وأصله من مدينة جيان،منزل قنسرين من العرب الداخلين إلى الأندلس،ونسبُه بها كبير،وحسبه أصيل،وثروته معروفة،خرج به أبوه عند تغلب العدو عليها عام ثلاثة وأربعين وستمائة،ولأبيه إذ ذاك إثراء وجدة أعانته على طلب العلم،وإرفاد من أحوجته الأزمة في ذلك الزمان من جالية العلماء عن قُرطبة،وإشبيلية كأبي الحسن الصائغ،وغيره،فنصحوا له،وحطبوا في حبله»[1].

أما بالنسبة لحاله فقد ذكر ابن الخطيب أنه كان خاتمة المحدثين،وصدور العلماء والمقرئين،نسيج وحده في حسن التعليم،والصبر على التسميع،والملازمة للتدريس، لم تختل له،مع أنه قد تخطى الثمانين،ولم تلحقه السآمة،وكان كثير الخشوع،والخشية،مسترسل العبرة،صليباً في الحق،وشديداً على أهل البدع،وملازماً للسُنة،وجزلاً،ومهيباً،ومعظماً عند الخاصة،والعامة،عذب الفكاهة،طيّب المجالسة،حُلو النادرة.

وتحدث عن فنونه،ومشيخته،ونباهته وخُططه،وتصانيفه فذكر أن الرئاسة انتهت إليه في صناعة العربية بالأندلس،وتجويد القرآن،ورواية الحديث،إضافة إلى المشاركة في الفقه،والقيام على التفسير،والخوض في الأصلين.

وقد أخذ عن الجلة المقرئين،كالمقرئ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن مستقور الغرناطي الطائي،وقد وُلي قضاء المناكح،والخطبة بالحضرة،وبلغ من الشهرة، والإشادة بذكره،ما لم يبلغه سواه.

ومن تأليفه كتاب« صلة الصلة لابن بشكوال »،التي وصلها ابن الخطيب بعده،وسمى به كتابه« عائد الصلة»،وقال ابن الخطيب إنه افتتح أول الأسماء فيه باسمه،كما أن له كتاب« ملاك التأويل في متشابه اللفظ في التنزيل»،غريب في معناه،و«

(١) المصدر السابق،مج:١،ص:١٨٨وما بعدها.

البُرهان في ترتيب سور القرآن»،و« شرح الإشارة»للباجي في الأصول،و «سبيل الرشاد في فضل الجهاد»،و« ردع الجاهل عن اغتياب الجاهل»،وهو كتاب في الرد على الشودية،ومبني على التفنن،والاضطلاع،وكتاب« الزمان والمكان».

ورأى ابن الخطيب أن شعره مختلف عن نمط الإجادة،مما حققه أن يثبت،أو ثبت في كتاب الشيخ(أبو البركات)،الموسوم ب« شعرُ من لا شعر له».كما توقف مع محنته،وختم بذكر مولده ببلدة جيان في أواخر عام سبع وعشرين وستمائة،ووفاته بغرناطة في الثامن لشهر ربيع الأول عام ثمانية وسبعمائة،وكانت بالغة أقصى مبالغ الاحتفال،ونفر لها الناس من كل أوب،واحتمل طلبة العلم نعشه على رؤوسهم،وتبعه ثناء جميل،وجزع كبير.

كما ترجم ابن الخطيب لعدد كبير من الأعلام،والشخصيات الأدبية،والتاريخية،نذكر منهم:أحمد بن محمد سعيد بن عبد الله العامري،و أحمد بن محمد بن قعنب الأزدي،و أحمد بن محمد بن سعيد الغافقي،و أحمد بن أبي سهل الخزرجى،و أحمد بن عمر التميمي،و أحمد بن محمد بن علي (ابن برطال)،و أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي،و أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحي بن عبد الحق الحذلي،و أحمد بن عبد الرحمن الخزرجى،و إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري (التلمساني)،و ابو بكر بن إبراهيم، الأمير أبو يحي الصحراوي،و إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الملقب بالمأمون،و أبو بكر المخزومي الأعمى،و أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي، وبلكين بن باديس بن حبوس بن زيري بن مناد الصنهاجي،و باديس بن حبوس بن زيري بن مناد الصنهاجي،و ذكر مقتل اليهودي يوسف بن إسماعيل بن نغرالة الإسرائيلي،و تاشفين بن علي بن يوسف أمير المسلمين بعد أبيه بالعدوة،و حمدة بنت زياد المُكتب،و حفصة بنت الحاج الركونية،و زاوي بن زيري بن مناد الصهناجي،و زهير العامري فتى المنصور بن أبي عامر،و محمد بن نصر الأنصاري الخزرجي، وغيرهم [١] .

(١) المصدر السابق، مج١:، ص:٥٧٢ وما بعدها.

ثانياً :موجز ترجمة طائفة من الشخصيات التاريخية والأدبية في المجلد الأول:

وفيما يلي نوجز ترجمة مجموعة من أبرز الشخصيات الأدبية،والتاريخية التي ترجم لها ابن الخطيب في هذا القسم.

١-أحمد بن محمد بن أبي الخليل مُفرج الأموي

تحدث ابن الخطيب في البدء عن أوليته،وأشار إلى ما ذكره القاضي أبو عبد الله من أن والد جده كان أحد أطباء قرطبة،وكان قد تبناه،وعن مولاه أخذ علم النبات.

ووصف حاله بأنه كان« نسيج وحده،وفريد دهره،وغرة جنسه،إماماً في الحديث،حافظاً، ناقداً،ذاكراً تواريخ المحدثين،وأنسابهم،ومولدهم،ووفاتهم،وتعديلهم،وتجريحهم،عجيبة نوع الإنسان في عصره،وما قبله،وما بعده في معرفة علم النبات،وتمييز العُشب،وتحليتها،وإثبات أعيانها،على اختلاف أطوار منابتها،بمشرق،أو مغرب حِساً،ومشاهدة،وتحقيقاً،لا مدافع له في ذلك،ولامنازع،حجة لا تُرد،ولا تُدفع،إليه يُسلم في ذلك،ويُرجع.قام على الصنعتين لوجود القدر المشترك بينهما،وهما الحديث،والنبات،إذ موادهما الرحلة،والتقييد،وتصحيح الأصول،وتحقيق المشكلات اللفظية،وحفظ الأديان،والأبدان،وغير ذلك.وكان زاهداً في الدنيا،مؤثراً بما في يديه منها،موسعاً عليه في معيشته،كثير الكتب،جماعاً لها،في كل فن من فنون العلم،سمحاً لطلبة العلم، وبما وهب منها لمتلمسه الأصل النفيس،الذي يعز وجوده، احتساباً،وإعانة على التعليم له في ذلك أخبار منبئة عن فضله،وكرم صُنعه،وكان كثير الشغف بالعلم،والدؤوب على تقييده،ومداومته سهر الليل من أجله،مع استغراق أوقاته،وحاجات الناس إليه،إذ كان حسن العلاج، في طبه المورود الموضوع لثقته،ودينه.

قال ابن عبد الملك،إمام المغرب قاطبة فيما كان سبيله،جال الأندلس،ومغرب العُدوة، ورحل إلى المشرق، فاستوعب المشهور من إفريقية،ومصره،وشامه،وعراقه،وحجازه،وعاين الكثير مما ليس بالمغرب،وعاوض كثيراً فيه،كل ما أمكنه،بمن يشهد له بالفضل في معرفته،ولم يزل باحثاً على حقائقه،كاشفاً عن

غوامضه،حتى وقف منه على ما لم يقف عليه غيره،ممن تقدم في الملة الإسلامية،فصار واحد عصره فرداً،لا يجاريه فيه أحد بإجماع من أهل ذلك الشأن»[1].

وذكر أنه كان سُنياً ظاهري المذهب،مُنحياً على أهل الرأي،شديد التعصب لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم،على دين متين،وصلاح تام،وورع شديد.

وفي متابعته لمشيخته أشار إلى أنه روى بالأندلس عن أبي إسحاق الدمشقي،وأبي عبد الله اليابُري،وأبي البركات بن داود،وأبي بكر بن طلحة،وأبي عبد الله ابن الحُر،وابن العربي،وأبي علي الحافظ،وأبي زكريا بن مرزوق،وابن يوسف،وابن ميمون الشريشي،وأبي الحسن بن زرقون،وأبي ذر مصعب،وأبي العباس بن سيد الناس،وأبي القاسم البّراق،وابن جهور،وأبي محمد بن محمد بن الجنان،وعبد المنعم بن فرس،وأبي الوليد بن عُفير،وغيرهم.

كما ذكر أنه قد حج سنة اثنتي عشر وستمائة،فأدى الفريضة ثلاث عشر،ولُقب بالمشرق بمحب الدين،وأقام في رحلته نحو ثلاثة أعوام.

وأشار ابن الخطيب إلى من أخذ عنه حيث حدث ببغداد فأخذ عنه بها أبو عبد الله بن سعيد اللُوشي،وبمصر أبو بكر القط،وبغيرها من البلاد.

وقال إن له تصانيف مفيدة،وتنبيهات نافعة،واستدراكات نبيلة بديعة،منها في الحديث« رجالة المعلم بزوائد البخاري على مسلم»و« اختصار غريب حديث مالك»للدار قُطني،و« نظم الذراري فيما تفرد به مُسلم عن البخاري»،و« توهين طرق حديث الأربعين»،و« حُكم الدعاء في إدبار الصلوات»،و« كيفية الأذان يوم الجمعة»،و« اختصار الكامل في الضعفاء والمتروكين»لأبي محمد بن عدي،و« الحافل في تذييل الكامل»،و« أخبار محمد بن إسحاق».

---

(١) المصدر السابق،مج:١،ص:٢٠٨وما بعدها.

ومنها في النبات« شرح حشائش دياسقُوريدوس وأدوية جالينوس»،والتنبيه على أغلاط الغافقي،و«الرحلة النباتية والمستدركة».

واستشهد ابن الخطيب بما ذكره أبو الحسن بن سعيد في«القدح المعلى»،الذي قال عنه أنه« جوال بالبلاد المشرقية، والمغربية،جالسته بإشبيلية بعد عوده من رحلته،فرأيته متعلقاً بالأدب،مرتاحاً إليه ارتياح البحتري لحلب،وكان غير متظاهر بقول الشعر».

وتطرق لدخوله إلى غرناطة،وفي الأخير ذكر تاريخ مولده في محرم سنة إحدى،وستين وخمسمائة،ووفاته بإشبيلية عند مغيب الشفق من ليلة الإثنين مستهل ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة،وقد رثاه جماعة من تلامذته كأبي محمد الحرار،وأبي أمية إسماعيل بن عُفير،وأبي الأصبغ عبد العزيز الكبشوري،وأبي بكر محمد بن محمد بن جابر السقطي،وأبي العباس بن سليمان[1] .

٢-أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان

وهو من أهل مالقة،يكنى بأبي جعفر،ويُعرف بابن صفوان، وصف حاله بأنه بغية الأعلام،أديب من الأدباء،وصدر من صدور كتابه،ومشيخة طلبته،وهو ناظم،وناثر،وعارف،ثاقب الذهن، قوي الإدراك،أصيل النظر،و«إمام الفرائض،والحساب،والأدب،والتوثيق،ذاكر للتاريخ،واللغة،مشارك في الفلسفة،والتصوف،كلفٌ بالعلوم الإلهية،آية الله في فك المُعمى،لا يُجاريه في ذلك أحد ممن تقدمه،شأنه عجب،يفك من المعميات،والمستنبطات،مفصولاً وغير مفصول،شديد التعصب لذي ود،وبالعكس،تام الرجولة،قليل التهيب،مُقتحم حمى أهل الجاه،والحمد،والمضايقة،إذا دعاه لذلك داع،حبل نقده على غاربه،راض بالخمول،متبلغ

(١) المصدر السابق،مج:١،ص:٢١٤.

بما تيسر،كثير الدؤوب والنظر،والتقييد،والتصنيف، على كلال الجوارح،وعائق الكبرة،متقارب نمطي الشعر،والكتابة،مجيد فيهما،ولنظمه شفوف على نثره»[1].

وذكر في حديثه عن مشيخته أنه قرأ على الأستاذ أبي محمد الباهلي،أستاذ الجُملة من أهل بلده،وقد لازمه،وانتفع به،ورحل إلى العُدوة،ولقي جملة من العلماء كالقاضي المؤرخ أبي عبد الله بن عبد الملك،والأستاذ النعالي أبي العباس بن البنا،وقرأ عليهم بمراكش.

ومن تواليفه«مطلع الأنوار الإلهية»،و«بُغية المستفيد»،وشرح كتاب«القرشي في الفرائض».

وختم في الأخير بذكر مولده الذي كان في آخر خمسة وتسعين وستمائة،ووفاته التي كانت بمالقة في آخر جمادى الثانية من عام ثلاثة وستين وسبعمائة.

٣-أحمد بن أيوب اللَّماي

وهو من أهل مالقة،ويكنى بأبي جعفر،استشهد ابن الخطيب لدى حديثه عن حاله بما ورد في كتابي:« الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة» لابن عبد الملك المراكشي،و «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة»لابن بسام، فعبد الملك المراكشي ذكر أنه« كان أديباً ماهراً،وشاعراً جليلاً،وكاتباً نبيلاً،كتب عن أول الخلفاء الهاشميين بالأندلس،علي بن حمود،ثم عن غيره من أهل بيته،وتولى تدبير أمرهم،فحاز لذلك صيتاً شهيراً،وجلالة عظيمة».وابن بسام أشار إلى أنه كان«أحد أئمة الكتّاب،وشُهب الأدب،ممن سُخرت له فنون البيان،تسخير الجن لسليمان،وتصرف في محاسن الكلام،تصرف الرياح بالغمام،طلع من ثناياه،واقتعد مطاياه،وله إنشاءات سرية في الدولة الحمودية،إذ كان علم أدبائها،والمضطلع بأعبائها».

وذكر-أي ابن بسام-أنه لم يجد له عند تحريره هذه النسخة من كلام إلا بعض فصول من منثور.

---

(١) المصدر السابق،مج:١،ص:٢٢٢.

وكان آخر ما أشار إليه ابن الخطيب ذكر وفاته التي كانت بمدينة مالقة عام خمس وستين وأربعمائة.

٤-أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري

تحدث ابن الخطيب باستفاضة عن الشاعر الذائع الصيت ابن خاتمة الأنصاري،وفي هذا الشأن يرى الباحث الطاهر أحمد مكي أن«أوفى ترجمة نملكها له هي التي أوردها ابن الخطيب في كتابه (الإحاطة)،ومع ذلك،وعلى الرغم من طولها ظاهراً،لا نجد فيها معلومات هامة نودها،ولا تعطينا صورة حقيقية لشخصيته،فهي مجرد مجموعة من الثناء العاطر،تطري أخلاقه،وفضائله،ومؤلفاته،ضائعة في غمام صور بلاغية معقدة،تدعنا غير راضين.ومن المحتمل أن الموقف السياسي الدقيق في الأيام الأخيرة لغرناطة بني نصر،أدى إلى شيوع ذوق أدبي يتميز بالغموض»[1].

قال ابن الخطيب في وصف حاله«هذا الرجل صدر يُشار إليه،طالب مُتفنن،مشارك،قوي الإدراك،سديد النظر،قوي الذهن،موفور الأدوات،كثير الاجتهاد،معين الطبع،جيد القريحة،بلوع الخط،مُمتع المجالسة،حسن الخُلُق،جميل العشرة،حسنةُ من حسنات الأندلس،وطبقةُ في النظم والنثر،بعيد المرقى في درجة الاجتهاد،وأخذه بطرق الإحسان،عقد الشروط،وكتب عن الولاة ببلده،وقعد للإقراء ببلده،مشكور السيرة،حميد الطريقة في ذلك كله.

وجرى ذكره في كتاب:« التاج» بما نصه(ناظمُ درر الألفاظ،ومُقلد جواهر الكلام،نحور الرواة،ولبات الحفاظ والآداب،التي أصبحت شواردها حلم النائم،وسمر الأيقاظ،وكم في بياض طرسها،وسواد مقسمها،سحر الألحاظ،رفه في قطره راية هذا الشأن على فورة حلبته،وقرع فنه البيان على سمو هضبته،وفوق سهمه إلى بحر الإحسان،فأثبته في لبته،فإن أطال شأن الأبطال،وكاثر المنسجم الهطال،وإن أوجز فضح وأعجز،فمن نسيب تُهيج به الأشواق،وتضيق عن زفراتها الأطواق،ودُعابه تقلص ذيل الوقار،وتُزرى

---

(١) الطاهر أحمد مكي:دراسات أندلسية في الأدب،والتاريخ،والفلسفة،ص:١١٠.

بأكواس العقار،إلى انتماء للمعارف،وجنوح إلى ظلـها الـوارف،ولم تـزل معارفـه ينفسـح آمادها،وتحوز خُصل السباق جيادها) »[1].

وبخصوص مشيخته أشار ابن الخطيب إلى أنه أخذ عن الشيخ الخطيب الأستاذ أبـي الحسن علي بن محمد بن أبي العيش المري،وقرأ عليه ولازمه،والشـيخ الخطيـب الأسـتاذ الصالح(أبو إسحاق إبراهيم بن العاص التنـوخي،وروى عـن الراويـة المُحـدِّث المكثـر الرحال محمد بن جابر بن محمد بن حسان الوادي آشي،وعن الشـيخ أبـي البركـات بـن الحاج،والشيخ الخطيب أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن شُعيب القيسي،والقاضي أبي جعفر القُرشي بن فركون،والوزير الحاج الزاهد أبي القاسم محمد بن محمد بن سـهل بـن مالك،والمقرئ أبي جعفر الأغر،وغيرهم.

وقد قدم الباحث الطاهر أحمد مكي لمحـة عـن مسـيرة الشـيوخ الـذين أوردهـم ابـن الخطيب لدى حديثه عن ابن خاتمة، فقال :

«-هو أبو الحسن علي بن محمد بن أبي العيش الأنصاري،المريي،المتوفى عام:٧٤٠هـــ-١٣٣٩م،وهو من مرسية،وأقام في ألمرية،عندما سقطت مدينته في يد النصارى.وتولى قضاء ألمرية،وكان يشغله قبله أبو جعفر بن فركون القسي من جلة العلماء،وله مشاركة في علم الفلسفة.

-أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الـرحمن التنـوخي،ويعرف بـابن أبي العاصي،المتوفى:٧٢٦هـــ-١٣٢٥م،أصـلاً مـن جزيـرة طريـف،ومن كبـار القـوم فيها،رحل عنها عند استيلاء النصارى عليها في عام:٦٧١هــــ-١٢٧٢م،وتحول إلى مدينة سـبتة،وورد الأنـدلس فاسـتوطن غرناطـة،وكتب في الجملـة عـن سـلطانها،وتولى الإمامة،والخطابة في مسـجدها الجـامع عـام:٧١٦هــــ-١٣١٥م،وطبقـاً لما أورده ابـن القاضي بدأ يؤلف كتاباً عن الأسرة النصرية،ولكنه توقف عن محاولته.وكان تقياً،زاهداً في الدنيا،مواسياً الفقراء،يتزاحمون عليه في طريقه،ويتمسـحون به،ويسـعون بـين يديـه،ومن

---

(١) ابن الخطيب:الإحاطة،مج:٠١،ص:٢٣٩ وما بعدها.

خلفه،ويتزاحم مساكينهم على بابه،قد عودهم طلاقة وجهه،ومواساته لهم بقوته،يفرقه عليهم متى وجدوه،وربما أعجزوه قبل استواء خبزه،فيفرقه عليهم عجيناً.وفي عام:٧٢١هـ-١٣٢٠م انتقل إلى ألمرية،وكان إلى هذا شاعراً،وأغلب شعره في الحكمة.

-محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسن القيسي،الوادي آشي،المتوفى عام:٧٤٩هـ-١٣٤٨م،تونسي المولد،وحج إلى مكة،وجال في البلاد المشرقية،ولقي أمة من العلماء والمحدثين،وأصبح بهم شيخ وحده،انفساح رواية،وعلو إسناد.وكان مقرئاً متمكناً،أديباً متميزاً،ورجلاً تقياً،وحفظ لنا عنه ابن القاضي في كتابه درة الحجال بيتاً من الشعر،كان ابن عساكر الدمشقي يردده،عندما ودعه،وابن خاتمة في ألمرية،وكان الوداع طبقاً لابن خاتمة في رابطة بألمرية تسمى« رابطة الوداع».

-أبو القاسم،عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد القيسي،ويُعرف بابن شعيب،من أسرة عريقة في ألمرية،وتولى الخطابة في المسجد الجامع في ألمرية،وبها شغل منصب القضاء،وقبل ذلك كله كان تقياً،وزاهداً،لم يفارق وطنه أبداً،وكان مستقيم السلوك دائماً.

-أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد،أبو جعفر،ويعرف بابن فركون،توفي عام:٧٢٩هـ-١٣٢٨م،وهو من ألمرية،ثم انتقل إلى غرناطة،وهو من العائلات الشريفة،ولذلك استحق لقب« القرشي».وشغل منصب القاضي في رندة،ومالقة،وألمرية،وأصبح خطيب المسجد الجامع في غرناطة،وظل في منصبه هذا إلى أن عُزل عنه بسبب الأحداث التي أدت إلى خلع نصر ملك غرناطة عن العرش،وتولية حفيده إسماعيل الأول(٧١٣هـ-١٣١٤م)مكانه،وكان وفاؤه للسلطان المخلوع سبباً في إبعاده عن المنصب،ومنذ هذه اللحظة طواه النسيان.وقد عُرف بالفقه،وكان شاعراً مرتجلاً،ومحباً للجمل ذات الكناية،ويستخدم التورية عندما يتحدث إلى أصدقائه.

-محمد بن محمد بن سهل بن مالك الأزدي،أبو القاسم،ويعرف بالوزير،توفي عام:٧٣٠هـ-١٣٢٩م،ويعرف بيتهم ببني مالك الوزير،وهو من غرناطة أصلاً،ثم رحل إلى المشرق،وتوفي إثر عودته من الحج،وكان أديباً ثقياً،وزاهداً،لا يقبل من أحد شيئاً،ويعطي كل شيء.

-أبو البركات ابن الحاج البيفيقي،توفي عام:٧٧٤هـ-١٣٧٢م،وكان قاضياً شهيراً،ومؤرخاً،وشاعراً،وكان وثيق الصلة بابن خاتمة،وارتبطت حياتهما معاً»[1].

وحينما تحدث ابن الخطيب عن كتابته،أورد ما خاطبه به بعد إلمام الركب السلطاني ببلده،وهو بصحبته.

وعنة شعره قال إنه كان مجلياً،وأورد ما أنشده في حلبة الشعراء:

أجِنانُ خُلْدٍ زُخْرِفت أم مَصنَعُ	والعيدُ عاوَد أم صنيعٌ يُصنع

وأورد من شعره:

من لم يُشاهد مَوقِفاً لِفراق	لم يدْرِ كيف تَوَلُّه العُشاق
إن كنت لم تَره فائل من رأى	يُخبِرْك عن وَلَهى وهول سياق
من حَرَّ أنفاسٍ وخَفق جَوانح	وصُدوع أكبادٍ وفيضِ مآق
دُهى الفؤاد فلا لِسَانٌ ناطِقٌ	عند الوداع طائع مُترَاق
ولقد أشيرُ لمنْ تكَلَّف رِحلةً	أن عُج عليّ ولو بقدر فُواق
عَلِّي أراجعُ منت ذماي حَشاشَةً	أشْكو بها بَعض الذي أنا لاق
فَمضَى ولم تَعطِفْه نحوي ذِمَّةٌ	هيهات لا بُقْيا على مُشْتاقِ
ياصَاحِبيَّ وقد مَضى حُكْم النّوَى	رُوحاً عليّ بَمَشِيمةِ العُشّاقِ
واستَقْبِلانِي نَسْمَةً عن أرضِكُم	فَلعلَّ نَفْحتها تَحُل وِثاقِ

---

(١) الطاهر أحمد مكي:المصدر السابق،ص:١١٠.

إني لَيَشْفِينِي النَّسِيمُ إذا سَرى مُتَضَوِّعاً من تِلكُمُ الآفَاقِ[1] .

فمن خلال هذا المقطع الذي أورده ابن الخطيب يصور لنا ابن خاتمة ما يُلاقيه من تباريح الفراق،ويبدو وصفه وصفاً دقيقاً للحالة النفسية التي يمر بها ذلك العاشق المكلوم. ومن خلال البيت الأول يتضح توظيفه لعناصر الطبيعة،وإعجابه الشديد بها،والتحامه معها فابن خاتمة شاعر الطبيعة،وعاشق الرياض،وهذا ما أكد عليه الكثير من الدارسين لشعره،فهو دائماً يلتفت إلى الطبيعة من حوله فيغريه جمالها،وقد«وجد فيها مادة خصبة ليصفها،ولينفذ منها إلى تأملاته الفكرية الدينية،ويتخذها دلالة على آلاء الله الباهرة.وقد امتزج وصف الطلبيعة عنده بكثير من الموضوعات،وصارت معطياتها مادة للشاعر يُعبر بها،ويُكثر من العودة إليها على منهج أستاذه في هذا الفن ابن خفاجة.فقد استفاد من طريقته مثلما استفاد منها معاصره،وزعيم الطبقة التالية لطبقته:ابن زمرك في روضياته.وفي(أزهار الرياض)للمقَّري قصائد كثيرة لابن زمرك تشهد لما نذهب إليه من رأي.

وقد تبلور إعجاب الأندلسيين بالطبيعة،والتزم نفر كثير منهم بالتردد إلى هذا الغرض،وإحلاله مكانة عالية منذ القرن الخامس ثم ابن خفاجة،فكانوا من بعده يترسمون خطاه في قصد الطبيعة،والحديث عنها،والاطمئنان إليها،والاستفادة من العودة إليها،أو إلى كثير من معطياتها في موضوعات عديدة،بل ربما كانت الطبيعة مقدمة للقصيدة،وربما أكثر بعضهم من وصفها حتى صار مشهوراً بذلك،وقد قدم لسان الدين لبعض قصائد ابن خاتمة بقوله(ومن روضياته)-راجع الكتيبة الكامنة في ترجمته-ورأى أن هناك سلسلة متلاحقة لم تنقطع حلقاتها بعد ابن خفاجة،يدخل فيها الرصافي البلنسي،وابن الزقاق،وابن سهل الإشبيلي،وابن خاتمة الأنصاري،ولسان الدين بن

---

(١) ابن الخطيب:المصدر السابق،مج:١٠،ص:٢٤٤ وما بعدها.

الخطيب،وابن زمرك،ولا شك في أن هناك طائفة أخرى من الشعراء تتم الحلقات،وتزيد ذلك المذهب الخفاجي وضوحاً»[1].

وأورد ابن الخطيب مجموعة من المقطوعات لابن خاتمة الأنصاري في أغراض متنوعة،من بينها قوله:

زَارت على حَذَرٍ من الرُقبَاءِ ... والليْلُ مُلتَحِفُ بفضلِ رِداء

تصل الدُّجا بسواد فرعٍ فاحِمٍ ... لتزيد ظَلماءُإلى ظلماءِ

وشِي بهَا من وَجَهِها وحُلِيِّها ... بدرُ الدُّجَا وكَوَاكِبُ الجَوْزاءِ

أهلاً بزَائرةٍ على خَطرِ السُّرَى ... ما كُنتُ أرجُوها ليوم لِقَاءِ

أَقسمتُ لوْلاَ عِفةٌ عُذريةٌ ... وَتُقًى عليّ لهُ رقِيبُ رَاءِ

لنقَعتُ غُلَةَ لَوْعَتِي برُضَابها ... ونَضَحتُ وَردَ خَدُودِها بِبُكَائِي[2] .

وقوله أيضاً:

أنا بَين الحَيَاةِ والَموتِ وَقفٌ ... نَفَسٌ خَافِتٌ ودَمعٌ ووكْفُ

حلّ بي هواكَ لَيس يُنْبِي ... عنهُ نَعْتٌ ولا يُعَبِّرُ وصْفُ

عَجَباً لانعِطَافِ صدْغَيْكَ والِمعْطفُ ... والجِيدُ ثم مَا مِنك عَطْفُ

---

[1] ديوان ابن خاتمة الأنصاري،حققه وشرحه،وقدم له،محمد رضوان الداية،المقدمة،ص:٢٠.

(٢) ابن الخطيب:المصدر السابق،مج:٠١،ص:٢٤٩.

ضَاق صَدرِي بِضيقِ حِجْلك واستوقف طَرْفِي حَيرَان ذلَك الوَقْفُ

كيفَ يُرجَى فِكاكُ قَلبٍ مُعني في غَرَامٍ قَيّداه قِرْطٌ وشَغْفُ[1] .

يتضح من خلال هاتين المقطوعتين أن شعر ابن خاتمة الأنصاري شعر رائق الديباجة سلس الأسلوب،وعذب الألفاظ،و من حيث القيمة الفنية يظهر شعره في مجمله عميق الدلالة،قليل التكلف،ويتميز بشعور ذاتي صادق يُلاحظ أن ابن خاتمة يُعبر عن هواجسه العاطفية،وتجاربه الذاتية مُتخذاً من الطبيعة مُحركاً لها،ويتضح أن الطبيعة كانت عنصراً مُحركاً لذكريات الشاعر، وهي التي دفعت به إلى الإفضاء بمواجعه، وأشجانه،ومن هنا فالكثير من شعره يجمع بين الجانب العاطفي الذي يبث فيه الشاعر شكواه للمحبوبة،والجانب الوصفي الذي يصور من خلاله مشاهد الطبيعة الخلابة، وهو يُكثر من توظيف عناصر الطبيعة في شعره ، والكثير من مشاهد الطبيعة التي نلمحها في شعره هي مشاهد مطلقة،ويبدو في بعض الأحيان حضورها مُكثفاً ،حتى لا يكاد يخلو بيت منها في بعض االمقطوعات،ويظهر أنها قد تدفقت تدفقاً تلقائياً على الشاعر،فتؤدي قيمتها الفنية في التعبير عن المعنى خير أداء، كما يتجلى للمتلقي تجانس الألفاظ وتآلفها وامتزاجها في دلالتها على المعاني،وتبدو محكمة ومترابطة ومتلاحمة،فندرك حسن إحكامه في بناء عباراته على نحو فني دقيق.

وقد أشار الباحث محمد رضوان الداية الذي حقق،وشرح،وقدم ديوانه إلى الخصائص العامة لشعره،فرأى أن ابن خاتمة حافظ في شعره على«سلامة العبارة،ودقة الاستعمال،وكان يميل إلى الفصاحة والجزالة،وهو في ذلك يتحرى مجاراة الشعراء الكبار في شعرهم،وفي بعض قصائدهم بخاصة،ويتقيل آثارهم في النصاعة،والفخامة.وكان مُعجباً بالفحول من الشعراء العباسيين،والأندلسيين كالمتنبي،وأبي تمام،وابن خفاجة،وربما أعجب بمن وراءهم فسمَّط بعض الشعر المشهور،أو نسج على منواله،كما صنع في بعض شعر

(١) المصدر السابق،مج:٠١،ص:٢٥٠.

الشاب الظريف،وابن الخيمي.ولكن هذا كله لم يحجب شخصية الشاعر،ولم يتركه ظلاً،أو تابعاً،بـل اسـتطاع أن ينفـذ مـن خـلال ذلـك الإعجـاب إلى التعـبير الشخصـي عـن مواقفه،وآرائه،وأن يكوّن لنفسه نهجاً واضحاً،فتشعر وأنت تقرأ له شعره أنـه يعبّـر عـن رأي ذاتي فيما يطرح مـن موضوع،ويسـتعمل مـن أداة،كوّنهـا بنفسه،ارتضـاها،وطاعت له.وكان يتحرى الفصاحة،ويسعى لأن تكون العبارة رصـينة متينة،والكلمـة منتقـاة،وفي موضعها من الاستعمال.

-مال الشاعر إلى طريقة الشعر المُحدث على وجه العموم،مع احتفاظ العبارة بقـدر عـالٍ من الجزالة،والفخامة.ولهذا تجد ابن خاتمة يسعى وراء الصـورة،ويطلبها،ويحاول أن يـأتي بالطريف الغريب،وأن يخترع المعنى،أو يولّد من القديم ما فيـه روح الطّريـف.وقـد تبـع هذا،في صنعته اعتماده المقصود على بعض أنواع البديع التي أعانته على إسـباغ الجـرس الموسـيقي،أو التـزيين الصَّـوتي،أو اللـوني،من جنـاس-خصوصـاً-أو طبـاق،أو سـوى ذلك.فهو سعى،من جهة، إلى ما يُعجب الذهن،ويسُر نفس القارئ،ومن جهة أخـرى إلى ما يملأ الفم،ويطرب الأذن،وأويقرعها في بعض الأحيان....

-كان ابن خاتمة بصيراً بأحوال الزهاد،والمتصوفة،وقد ظهر أثـر معرفته،وزهده،وميلـه إلى التصوف في مواضع كثيرة في الديوان.

-وموشحات ابن خاتمة التي احتفظ لنا بهـا ديوانـه مـن أهـم آثـار الشـاعر الفنيـة،وهي موشحات راقية،عالية المكانة،على طراز فائق من الجودة.أسبغ عليها ابـن خاتمـة ألفاظـاً عذبة شعرية منتقاة،واختار لها أنغاماً سائغة،رقيقة.أودع فيها من المعاني كل جميل طريـف أو مولد تليد في ثوب جديد...

-تحدث لسان الدين بن الخطيب،وغيره،عن نثر ابن خاتمة،وترسُـله،وقال إنـه كتـب عـن الولاة ببلدة ألمرية،كما نقل بعض الرسائل الإخوانية.ولدينا مـن نثـره مـا يتصـل بـبعض تواليفه الموجودة مثل:نثف مبثوثة من مزية المرية،وكتابه(تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد) »[1].

---

(١) ديوان ابن خاتمة الأنصاري،المقدمة،ص:٢١ وما بعدها.

وحينما نمضي مع ابن الخطيب نلفيه يورد رسالة كتبها هذا بعد«زيارة حاشية السلطان للمرية،وكان ابن الخطيب يرافق السلطان،وعبر الشاعر المرية عن بهجته بلقائه،وتحمل الرسالة تاريخ:١٠ من ربيع الأول٧٤٨هـ-٢٠من يونية١٣٤٧م...

ويشير ابن الخطيب بعدها كيف أن ابن خاتمة عقب انصرافه من غرناطة في بعض قدماته عليها،حضر مجلساً في دار ابن الخطيب،وكتب إليه ببعض الأشعار التي نظمها بعض من حضر المجلس.ولم يقل من هو هذا الشخص،وقد يكون ابن خاتمة نفسه،وفي هذه الأبيات يصف قصر ابن الخطيب في(عين الدمع)من غرناطة...

وفي نهاية القسم المتعلق بترجمة حياته أورد لنا ابن الخطيب رسالتين:

إحداهما توجه بها ابن خاتمة إلى ابن الخطيب نفسه،والأخرى رد من هذا عليها،وطبقاً لما يقوله ابن الخطيب نفسه،كتبها ابن خاتمة بمناسبة عزم ابن الخطيب على الخروج من الأندلس متوجهاً إلى الحج،وهي رسالة طويلة متكلفة طافحة بالاستعارات،والتوريات،وفيها يحاول ابن خاتمة أن يثني ابن الخطيب عن إصراره في الانقباض عن الخدمة،والتيه على السلطان،والدولة،ويبدو واضحاً فيما نلحظ هنا قلة غرام ابن خاتمة بالرحلات،وسجل في بعض المناسبات كراهيته للبعد عن وطنه»[1].

وأشار في الأخير إلى أنه مازال الآن بقيد الحياة،وذلك في ثاني عشر شعبان عام سبعين،وسبعمائة.

٥-إبراهيم بن أمير المسلمين أبي الحسن بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحقّ

يكنى بأبي سالم،تحدث ابن الخطيب في البدء عن أوليته ،و وصف حاله بدقة،ومما جاء في وصف حاله أنه كان«شاباً كما تطلع وجهه،حسن الهيئة،ظاهر الحياء والوقار،قليل

---

(١) الطاهر أحمد مكي:دراسات أندلسية في الأدب،والتاريخ،والفلسفة،ص:١٢٦ وما بعدها.

الكلام،صـــــــــليفة عـــــــــن اللفـــــــــظ،آدم اللون،ظـــــــــاهر السكون،والحيرية،والحشمة،فاضلاً،متخلقاً،قدّمه أبـوه،أمير الرتبـة،مُوفى الألقـاب،بوطن سجلماسة،وهي عمالة ملكهم،فاستحق الرتبة في هذا الباب بمزيـد هـذه الرتبـة المشـترط لأول تأليفه»[1].

وتحدث عن دخوله غرناطة،وختم بذكر وفاته في ليلة العاشر من عـام اثـنين وسـتين وسبعمائة،بعد أن ثار عليه بدار الملك،وبلد الإمارة المعروف بالبلد الجديد من مدينة فاس عمر بن عبد الله بن علي الذي يصفه ابن الخطيب بنسمة السوء،وجملة الشؤم.

٦-إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاني،أبو إسحاق

وهو أمير المؤمنين بتونس،وبلاد إفريقية،ابن الأمير أبي زكريـا،أمير إفريقية،وصـف ابن الخطيب حاله بقوله«كان أيداً جميلاً وسيماً،وربعة بادناً،آدم اللون،شجاعاً بهمة،عجِلاً غير مـراخٍ،ولا حازم،منحطـاً في هـوى نفسـه،مُنقاداً للذلـة،بريئاً مـن التشـمت في جميـع أمره.وولي الخلافة في حال كبره،ووخطه الشيب،وآثر اللهو،حتلا زعموا أنه فُقد فوُجد في مزرعة باقلاً مزهرة ألفي فيها بعد جهد نائماً بينها،نشوان يتناثر عليـه سـقطها،واحتجب عن مباشرة سلطانه،فزعموا أن خالصته أبا الحسن بـن سـهل،داخل النـاس بولـده أبـي فـارس في خلعــه،والقيام مكانه،وبلغــه ذلك،فاستعدّ،وتأهب،واســتركب الجنــد،ودعا ولده،فأحضــره ينتظــر المــوت بــين يمينه،وشمالــه،وأمر للحــين فقُتــل،وطُرح بأزقــة المدينة،وعجّل بإزعاج ولده إلى بجاية،وعاد إلى حاله»[2].

---

(١)ابن الخطيب:المصدر السابق،مج:٠١،ص:٣٠٤.

(٢)ابن الخطيب:المصدر نفسه،،مج:٠٢،،ص:٣١٥.

كمـا نُلفـي في هـذا المجلـد مجموعـة مـن الترجمـات للعديـد مـن الشخصـيات الأدبية،والتاريخية،ومن بين المترجم لهم في المجلد الأول نذكر:إسماعيل بن يوسف بن إسماعيـل بن فرج بن نصر،وإدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الملقب بالمأمون،وأسبط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد بن بكر بن عفان الإلبيري،وأسلم بن عبد العزيـز بـن هشام بن خالد بن أسلم بن أيان،وأسد بن الفرات بن بشر بن أسد المري،وأصبح بن محمد بـن الشيخ المهدي،وأم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي،وبلكين بن باديس بن حبوس بـن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي،وتاشفين بن علـي بـن يوسـف أمـير المسـلمين بعـد أبيـه بالعدوة،وجعفر بن أحمد الخزاعي،والحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحـوص القرشـي الفهري،وحسن بن محمد بن حسن القيسي،وحفصة بنت الحاج الركوني،والخضر بن أحمـد بـن الخضر بن أبي العافية،وغيرهم من الأعلام.

ومن أهم الرسائل،والقطع النثرية التي نجدها في المجلد الأول:

-وصف ابن عميرة المخزومي لسقوط بلنسية.

-نص إجازة ابن صفوان لابن الخطيب.

-رقعة لأبي جعفر اللماي يخاطب فيها أبا جعفر بن العباس.

-رسالة ابن خاتمة لابن الخطيب.

-رسالة ابن الخطيب في الرد على ابن خاتمة.

-رسالة لابن عطية في وصف معركة وادي ماسة.

-رسالة لإبراهيم الساحلي يخاطب فيها أهل غرناطة.

-ما كُتب نثراً على قبر السلطان إسماعيل أبي الوليد النصري.

-كتاب المأمون الموحدي إلى أهل الأندلس.

-مرسوم بلكين بن باديس بتعيين القاضي أبي عبد الله بن الحسن الجذامي.

-وصف الفتح بن خاقان لليالي بني سعيد البطليوسي.

-ما كُتب نثراً على قبر السلطان محمد بن إسماعيل بن فرج النصري.

-ما كُتب نثراً على قبر السلطان محمد بن محمد بن يوسف النصري.

الفصل الثالث

التاريخي والأدبي في المجلد الثاني من كتاب الإحاطة

أولاً: محتوى المجلد الثاني:

يحتوي المجلد الثاني من كتاب:« الإحاطة في أخبار غرناطة»، على إحدى وثمانين ترجمة لأعلام غرناطة،تلك الحاضرة الأندلسية العريقة،فمن خلال هذا المجلد ندرك ما كانت عليه حاضرة غرناطة من علم،ونشاط متميز،ونكتشف مجموعة من الأدباء،والعلماء،والشخصيات التاريخية الفذة، فابن الخطيب جمع أخبار معاصريه،وأخبار من عاشوا في عصور سابقة في غرناطة من الشعراء ،والكتاب، والملوك ،والأمراء، وغيرهم، كما يضم طائفة من الرسائل الهامة التي دبجها ابن الخطيب بلسان سلطانه في الحث على الجهاد، وجمع كلمة الأمة في الذود عن الدين، والوطن.

إن ابن الخطيب بما دبجه عن أولئك الأعلام،وبما جمعه من رسائل تاريخية تكتسي أهمية بالغة يكون بذلك قد كشف النقاب عن مرحلة علمية زاخرة،ومتميزة،ويكون أيضاً قد أبرز خصائصها،وميزات أدبائها،وتصوراتهم،ومواقفهم،وسلوكهم.

وما تجدر الإشارة إليه أن المجلد الثاني من كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة»، الذي حقق نصه،ووضع مقدمته،وحواشيه الباحث محمد عبد الله عنان،قد حقق بالرجوع إلى مجموعة من الأصول:

«أولاً:مخطوط أكاديمية التاريخ بمدريد(مخطوط العلاّمة جاينجوس)المحفوظ بها برقمCXLII .

ثانياً:مخطوط جامع الزيتونة بتونس المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية برقم٨١٣٥.

ثالثاً:مخطوط الإسكوريال المحفوظ بمكتبة ديرسان لورنزو بالإسكوريال برقم:١٦٦٨ الغزيري،ورقم١٦٧٣ ديرنبور.

رابعاً:مخطوط الخزانة الملكية بالرباط المحفوظ بها برقم:١٨٤٠»[1].

يضم هذا الجزء طائفة كبيرة من تراجم مشاهير رجالات الأندلس،منْ مثل: المعتضد ابن عباد، والمتوكل بن هود، ومحمد بن سعد بن مردنيش أمير الشرق، والمنصور بن أبي عامر، ومحمد بن الأحمر الكبير، مؤسس مملكة غرناطة، ومحمد الغني بالله، سلطان ابن الخطيب، ومن أكابر الكتاب، والأدباء، والشعراء، مثل: ابن جبير، وابن زمرك، وابن مرج الكحل، وابن شلبطور، وابن أبي الخصال، وأبي عبد الله بن الحكيم، وابن غالب الرصافي، وأبي بكر بن القصيرة، وابن قزمان، وابن خميس التلمسانى، وغيرهم.

وتتضمن هذه التراجم كثيراً من الحقائق، والتفاصيل التاريخية، والأدبية الهامة، هذا بالإضافة إلى ما تزخر به من مختارات شعرية ،ونثرية نفيسة.

ثانياً :موجز ترجمة طائفة من الشخصيات التاريخية والأدبية في المجلد الثاني :

افْتُتح المجلد الثاني من كتاب الإحاطة بترجمة مستفيضة عن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الخزرجي،الذي وصفه بأنه « أمير المسلمين لهذا العهد بالأندلس صدر الصدور ، وعلم الأعلام، وخليفة الله، وعماد الإسلام، وقدوة هذا البيت الأصيل، ونير هذا البيت الكريم،ولُباب هذا المجد العظيم،ومعنى الكمال،وصورة الفضل،وعنوان السعد،وطائر اليُمن،ومحول الصُنع،الذي لا تبلغ الأوصاف مداه، ولا تُوفي العبارة حقه، ولا يجري النظم ،والنثر في ميدان ثنائه، ولا تنتهي المدائح إلى عليائه»[2].

وقد امتدت هذه الترجمة إلى أكثر من ثمانين صفحة،وهي أدق،وأوضح من جميع الترجمات، وأكثرها تناسقا، وأحسن في الدلالة على ذوق أدبي مرهف، وحس تاريخي مسؤول ،ولاريب في أن هذا الأمر يعود بالدرجة الأولى إلى أن صاحبها هو الملك الحاكم في زمن ابن الخطيب.

---

(١)ابن الخطيب:الإحاطة في أخبار غرناطة،مج:٠٢،المقدمة،ص:٣.

(٢) - ابن الخطيب: المصدر السابق، مج٢، ص:١٣.

١- الأمير محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فـرج بـن يوسف بن نصر الخزرجي

تحدث في البدء عن أوّليته فأثنى ثناء وافياً عليـه، ووصـفه بأنـه أشـهر مـن إمتـاع الضحى، مسؤولية على المدى، بالغة بالسعة بالانتساب إلى سعد بن عبادة عنان السـماء، مبتجحة[1] في جهاد العدى، بحالة من ملك جزيرة الأندلس، وحسبك بها، وهـي بهـا في أسنى المزائن والحلي، وقدما فيه بحسب لمن سمع ورأى.

وفي حديثه عن حاله ذكر أن هذا السلطان أيمن أهل بيته نقيبة، وأسعدهم مـيلادا و ولاية، قد جمع الله له بين حسن الصورة، واستقامة البنية، واعتدال الخلق، وصحة الفكر، وثقوب الذهن، ونفوذ الإدراك. ولطافة المسايل، وحسن التأني، وجمع له من الظرفين مـا لم يجمع لغيره، إلى الحلم، والأناة اللذين يحبهما الله، وسلامة الصدر، التي هي من علامـة الإيمان، ورقة الحاشية، وسرعة العبرة، والتبريز في ميـدان الطهـارة والعفـة، إلى ضـخامة التنجد، واستجادة الآلات، والكلف بالجهـاد، وثبـات القـدم، وقـوة الجـأش، ومشـهور البسالة، وإيثار الرفق، وتوخي السداد، ونجح المحاولة. زاده الله من فضله، وأبقى أمره في ولده، وأمتع المسلمين بعمره. ساق الله إليه الملك طواعية واختيارا، إثر صلاة عيد الفطر على بغتة وفاة المقدس أبيه، من عام خمسـة وخمسـين وسـبعمائة، لمخابيـل الخـير، ومزيـة السن، ومظنة البركة، وهو يافع، قريب العهد بالمراهقة، فانبته الله النبات الحسن، وسـدل به الستر؟، وسوغ العافية، وهنا العيش، فلم تشح في مدته السماء، ولا كلب الأعداء،ولا تبدلت الألقاب، ولا عونيت الشدائد، ولا عـرف الخـوف، ولا فـورق الخصـب، إلى أن كانت عليه الحادثة، ونابه التمحيص، الذي اكسبه الحنكة، وأفاده العبرة، فشهد بعناية الله في كف الأيدي العادية، واخطأ ألم السهام الراشقة، وتخييب الآمال المكايـدة، وانسـداد أروقة الستر والعصمة، ثم العودة، الذي عرف الإسلام، بدار الإسـلام قـدرها، وتمـلا عزها، ورجح وزنها، كما اختبر ضدها فرصة الملك، وشاع العدل، وبعد الصيت، وانتشر الذكر، وفاض الخير، وغزر القطر، فظهرت البركات، وتولت الفتوح، وتخلـدت الآثـار.

---

(١) - ابتجح، أي افتخر وتباهى.

وسيرد من بيان هذه الجمل، ما يسعه الترتيب بحول الله. وعن ترتيب دولته الأولى، قال ابن الخطيب:« إذ هو ذو دولتين، ومسوغ ولايتين، عززهما الله، بملك الآخرة، بعد العمر الذي يملأ صحايف البر، ويخلد حسن الذكر، ويعرف إلى الوسيلة، ويرفع في الرفيق الأعلى الدرجة، عند الله خير وأبقى للذين آمنوا، وعلى ربهم يتوكلون»[1].

أما وزراؤه وحجابه فقد ذكر أنه انتدب إلى النيابة عنه، والتشمير إلى الحجابة ببابه، الشيخ القائد المعتمد بالتجلية، المتحول من الخدام النبهاء، المنسوب الأبوة، المخصوص بالقدح المعلى من المزية، المسلم له في خصوصية الملك والتربية، ظهير العلم والأدب، وأمين الجد، ومولى السلف، ومفرغ الرأي إلى هذا العهد، وعقد سفرة السلطان، وبقية رجال الكمال من مشيخة المماليك، وخيار الموالي، أبا النعيم رضوان رحمه الله، فحمد الكل، وخلف السلطان، وأبقى الرتب، وحفظ الألقاب، وبذل الإنصاف، وأوسع الكنف، واستدعى النصيحة، ولم يأل جهدا في حسن السيرة، وتظاهر المحض.

وتحدث عن نفسه فأشار إلى أنه قد أفرده بالمزية و عامله بما يرتد عنه جسر أطراف الموالاة والصحبة، ووفى له الكيل الذي لا يقتضيه السن، والقربة من الاشتراك في الرتبة، والتزحزح عن الهضبة، والاختصاص باسم الوزارة على المشهر، والغيبة، والمحافظة على التشيع والقدمة، بلغ في ذلك أقصى الغايات. مدارج التخلق المأثور عن الجلة، والتودد إلى (المرة بعد المرة)، وقال عن ارتباطه به،وشدة تعلقه بشخصه: اختصصت بفوت المدة بالسلطان، فكنت المفرد بسره دونه، ومفضي همه، وشفاء نفسه، فيما ينكره من فتنة تقع في سيرته. أو تصير توجيه السذاجة في معاملاته، وصلاح ما يتغير عليه من قلبه، إلى أن لحق بربه»[2].

أما شيخ الغزاة ورئيس الجند الغربي لأول أمره،فقد أقر على الغزاة شيخهم على عهد أبيه، أبا زكريا يحي بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق، مطمح الطواف،

(١) المصدر السابق ،مج:٠٢ ،ص:١٤ ،وما بعدها.

(٢) المصدر السابق،،مج:٠٢،،ص:١٦.

وموفى الاختيار، ولباب القوم، وبقية السلف. حزما ودهاء، وتجربة (حنكة وجدا وإدراكا) ناهيك، من رجل فذ المنازع، غريبها، مستحق التقديم، شجاعة وأصالة، ورأيا ومباحثة، نسابة قبيلة، وأضحى قسهم، وكسرى سادتهم، إلى لطف السجية، وحسن التأني، لغرض السلطان، وطرق التنزل للحاجات، ورقة غزل الشفاعات. وإمتاع المجلس، وثقوب الذهن والفهم، وحسن الهيئة. وزاده خصوصية ملازمته مجلس الرقاع المعروضة. والرسل الواردة[1].

وتحدث ابن الخطيب بإسهاب عن تجربته معه بصفته كاتب سره،فقال:« قمت لأول الأمر بين يديه بالوظيفة التي أسندها إلي أبوه المولى المقدس، رحمه الله. من الوقوف على رأسه، والإمساك في التهاني، والمبايعة بيده. والكتابة، والإنشاء، والعرض والجواب. والخلعة، والمجالسة، جامعا بين خدمة القلم، ولقب الوزارة، معزز الخطط برسم القيادة، مخصوصا بالنيابة عنه في الغيبة، على كل ما اشتمل عليه سور القلعة والحضرة، مطلق أمور الإيالة، محكما في أشتاته تحكيم الأمانة، مطلق الجراية، ظاهر الجاه والنعمة، ثم تضاعف العز، وتأكد الرعي، وتمخض القرب، فنقلني من جلسة المواجهة، إلى صف الوزارة، وعاملنا بما لا مزيد عليه من العناية، وأحلني المحل الذي لا فوقه في الخصوصية، كافأ الله فضله، وشكر رعيه، وأعلى محله عنده.

وأصدر لي هذا الظهير لثاني يوم ولايته: هذا ظهير كريم، صفى شربه، وسفرني في الرسالة عنه، إلى السلطان، الخليفة الإمام، ملك المغرب، وما إليه من البلاد الإفريقية، أبي عنان، حسبما يأتي ذكره. ثم أعفاني في هذه المدة الأولى، عن كثير من الخدمة، ونوه بي عن مباشرة العرض بين يديه بالجملة، فاخترت الكل والبذلة، وما صان عنه في سبيل التجلة، وإن كان منتهى أطوار الرفعة، الفقيه أبا محمد بن عطية، مستنزلا عن قضاه وادي آش، وخطابتها، فكان يتولى ما يكتب بنظري، وراجعا لحكمي، ومترددا لبالي، مكفى المؤنة في سبيل الحمل الكلي، إلى وقوع الحادثة، ونفوذ المشيئة بتحويل الدولة»[2].

---

(١) المصدر السابق،والصفحة نفسها.

(٢) المصدر السابق،مج:٢،ص:١٧.

وعند حديث ابن الخطيب عن قضاته أشار إلى أنه قد جدد أحكام القضاء والخطابة لقاضي أبيه الشيخ الأستاذ الشريف،و يصف أبا القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسني بأنه«نسيج وحده، وفريد دهره، إغرابا في الوقار، وحسن السمت، وأصالة البيت، وتبحرا في علوم اللسان، وإجهازا في فصل القضايا، وانفرادا ببلاغة الخطبة، وسبقا في ميدان الدهاء والرجاحة، ، الجانح إلى الإيالة النصرية من مدينة سبتة.وتوفي رحمه الله بين يدي حدوث الحادثة، فأرجى الأمر بمكانه، إلى قدوم متلقف الكرة، ومتعاور تلك الخطة، الشيخ الفقيه القاضي، أبي البركات قاضي أبيه. ووليها الأحق بها بعده، إذ كان غائبا في السفارة عنه، فوقع التمحيص قبل إبرام الأمر على حال الاستنابة»[1].

كما ذكر أولاده،وقال إنه كمل له في هذا الوقت من الوالد أربعة ثلاثتهم ذكور، يوسف بكره، وأراه يتلوه سعد، ثم نصر، غلمة روقه، أثنى عليهم بوصفهم أن الله قد في قالب الكمال، إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا، فسح الله لهم أمد السعادة، جعل مساعيهم جانحة إلى حسنى العقبى، سالكا بهم سبيل الاهتداء بفضل الله ورحمته.

وركز ابن الخطيب على وضعية القضاء في ذلك الزمن،وأكد على العدالة التي كانت سائدة في عصره،وسلط الأضواء على خلال قضاته،حيث جاء في حديثه عنهم قوله: « قدم الأول قدومه، الفقيه القاضي، الحسيب، الخير، أبا جعفر بن أحمد بن جزي، شاكرا بلاءه بمالقة، إذ كان قد ألقاه قاضيا بها للمتغلب، فلم يأل جهدا في الإجلاب على من اعتصم بقصبتها، والتحريض على استنزالهم، فاتخذ زلفة لديه، فأجرى الأحكام، وتوخى السداد. ثم قدم (إليها) الفقيه القاضي الحسيب، أبا الحسن علي بن عبد الله بن الحسن، عين الأعيان ببلده مالقة، والمخصوص برسم التجلة، والقيام بوظيفة العقد والحل بها في الدولة الأولى، وأصالة البيت، والانقطاع إليه، ومصاحبة ركابه في طلب (الملك)، ومتسور المشاق من أجله، وأولى الناس باستدرار خلف دولته، فسدد وقارب، وحمل الكل، وأحسن فصاحة (الخطبة) والخطة، وأكرم المشيخة وأرضى، واستشعر النزاهة، ولم

(١)المصدر السابق،مج:٢ ،ص:١٨.

يقف في حسن التأني عند غاية، واشتمل معها لفق الخطابة، فأبرز وأعلم، تسميا ،وحفظا، وجهورية، فاتفق في ذلك على رجاحته واستصحب نظره على الأحباس. فلم يقف في النصح عند غاية، أعانه الله»[1].

كما ذكر أنه قد أسند الكتابة إلى الفقيه المدرك، المبرز في كثير من الخلال، وملازمه أيضا في طلب الملك (ومطاردة قنص الحظ) أبي عبد الله بن زمرك.

وتعرض ابن الخطيب للملوك على عهده،والأحداث في أيامه،وترتيب الدولة الثانية،وبعض مناقب الدولة في ذلك العهد،والجهاد في شعبان من عام سبعة وستين وسبعمائة، وتوقف مع بعض غزواته،وقدم إحاطة شاملة للقارئ بها،وتتبعها متابعة تاريخية مسلسلة ، **ومن أهم غزواته:**

أ- غزو حصن أشر:

تم غزو هذا الحصن في أوائل شهر رمضان ،ولقد أشار ابن الخطيب لدى حديثه عن هذا الغزو إلى أن السلطان أعمل الحركة السعيدة إلى حصن أشر، وهو قفل الثغر الذي فضه الطاغية، وسورها الذي فرغه الكفر، وجارحة المحلق على البلاد، والمتحكم لولا فضل الله في الأموال والأولاد. فتأذن الله برد مغتصبه، والشفا من وصبه، وأحاط به وناصبه الحرب، ففتحه الله على يده عنوة. على سمو ذروته، وبعد صيته وشهرته، واختيار الطاغية في حمايته بعد حرب لم يسمع بمثله، فاز بمزية الحمد فيها السلطان، لمباشرته إياها بنفسه، وحمل كلها فوق كاهله، واتقاد ما خمد من الحمية بتحريضه. ثم لما كان بعد الفتح من (استخلاص القصبة) وسد ثلمها بيده، ومصابرة جو القيظ عامة يومه، فحاز ذكرا جميلا وحل من القلوب محلا أثيرا، ورحل منها بعد أن أسكن بها من الفرسان رابطة مستخيرة، ومن الرماة جملة، وتخلف سلاحا وعدة، فكان الفتح على

---

(١) المصدر السابق،مج:٠٢،ص:٤٨.

المسلمين. في هذا المعقل العزيز عليهم جليلا، والمن من الله جزيلا، والصنع كثيرا، وصدرت المخاطبة للمغرب بذلك، على الأسلوب المرسل الخلي من السجع الغنى[١].

ب- غزو مدينة أطريرة:

وقد تم الغزو في شهر شعبان من عام ثمانية وستين وسبعمائة،ووصف ابن الخطيب تلك الغزوة بقوله: « كانت الحركة إلى مدينة أطريرة بنت إشبيلية، وبلدة تلك الناحية الآمنة، مهاد الهدنة البعيدة عن الصرمة، حرك إليها بعد المدى، وأثرها بمحض الردى، من بين بلاد العدى، ما أسلف به أهلها المسلمين، من قتل أسراهم في العام قبلهن فنازلها السلطان أول رمضان، وناشبها الحرب، واستباح المدينة، وربضها عنوة. ولجأ أهلها إلى قصبتها المنيعة ذات الأبراج المشيدة، وأخذ القتال بمخنقهم، وأعان الزحام على استنزالهم، فاستنزلوا على حكم المسلمين، فيما يناهز خمسة، بما لم يتقدمه عهدا، ولا اكتحلت به في هذه المدة عين، ولا تلقته عنها إذن، وامتلأت أيدي المسلمين، بما لم يعلمه إلا الله، من شتى الغنايم، وأنواع الفوايد، واقتسم الناس السبي ربما على الأكفال والظهور، وتقديرا بقدر الرجال، وحملا فوق الظهور للفرسان وعمرانا للسروج والأعضاد بالصبية، وبرز الناس إلى ملاقاة السلطان في هول من العز شهير من الفخر، وبعيد من الصيت، قرت له أعينهم، وقعد لبيعهم أياما تباعا، وملأ بهم البلاد هدايا ،وتحفا ،والحمد لله»[٢].

ولم يغفل ابن الخطيب الحديث عن مهمة عظمى قام بها السلطان محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الخزرجي،وهي فتح مدينة جيان،الذي كان نصراً عظيماً للمسلمين،وجنوا منه غنائم كبيرة،وقد تم ذلك الفتح في آخر محرم من عام تسعة وستين وسبعمائة،وفيما يولي نوجز وصف ابن الخطيب لذلك الفتح العظيم:

---

(١) المصدر السابق،مج:٢٠،ص:٨٢.

(٢)المصدر السابق،مج:٢٠،ص:٨٢.

حيث كانت الحركة الكبرى إلى مدينة جيان، إحدى دور الملك، ومدن المعمود، وكرسية الإمارة، ولوان المدن الشهيرة، افتتحها الله عنوة، ونقل المسلمون ما اشتملت عليه من النعم ،والأقوات ،والأموال، والأنعام، والأثواب والدواب، والسلاح، ومكنهم من قتل المقاتلة، وسبي الذرية، وتخريب الديار، ومحو الآثار، واستنساف النعم، وقطع الأشجار، وهذا الفتح خارق، تعالى أن يحيط به النظم والنثر، فذكره أطير، وفخره أشهر، وصدرت في ذلك المخاطبة من إملائي إلى ملك المغرب، وأصاب الخلق عقب القفول في هذه الغزاة، مرض وافد. فشا في الناس كافة، وكانت عاقبته السلامة، وتدارك الله بلطفه، فلم يتسع المجال لإنشاد الشعراء، ومواقف الإطراء، إلى شغل عن ذلك[١].

وتطرق ابن الخطيب إلى غزو مدينة أبدة فذكر أنه كان في أول ربيع الأول من هذا العام،واحتل بظاهرها جيش المسلمين، وأبلى السلطان في قتالها، وقد أخذت بعد جارتها جيان أقصى أهبة، واستعدت بما في الوسع، والقوة، وكانت الحرب بها مشهورة. وافتتحها المسلمون فأنتهبوها، وأعفوا مساكنها العظيمة البناء، وكنايسها العجيبة المرأى، وألصقوا أسوارها بالثرى، ورأوا من سعة ساحتها، وبعد أقطارها، وضخامة بناها، ما يكذب الخبر فيه المرأى، ويبلد الأفكار، ويحير النهى. ولله الحمد على آلايه التي لا تحصى. وقفل المسلمون عنها، وقد أخربوها، بحيث لا تعمر رباعها، ولا تأتلف حجورها وجموعها[٢].

وأبرز ابن الخطيب المخاطبة التي أنشأها ،إلى صاحب المغرب ،وقد جاء فيها قوله:

«وإلى هذا العهد جرت الحادثة على ملك قشتالة، بطره بن ادفو نش بن هرا ندة بن وشائجه، وهو الذي تهيأ به الكثير من الصنع للمسلمين، بمزاحمة أخيه أندريق في الملك، وتضييقه عليه، (وحيازة سبعة) من كبار أصحابه، وأهل ملته إليه، وافتقار بطره المذكور إلى إعانة المسلمين، وإجلابهم على من أثر طاعته ضده، فانهزم بظاهر حصن منتيل؟ ومعه عدد من فرسان المسلمين، ولجأ إلى الحصن على غير أهبة ولا استعداد : فأخذ أخوه

(١) المصدر السابق،مج:٢٠،ص:٨٤.

(٢)المصدر السابق،مج٢،ص:٨٤.

الذي هزمه بمخنقه، وأدار على الحصن البنا، وفر جيش المحصور، فاجتمع فلّه بأحواز أبدة، وراسلوا المسلمين في مظاهرتهم على استنقاذهم، فتوجهت الفتيا بوجوب ذلك. وقع الاستنفار والاحتشاد حرصا على تخليصه، ليسبب بقاؤه بقاء الفتنة تستأصل الكفر، ونشغل بعض العدو ببعضه.

وفي أثناء هذه المحاولة تباطن الحاين المحصور بمن معه، وبعد عليه الخلاص من ورطته، ومساهمة المسلمين إياه في محنته، وانقطعت عنه الأنباء بفرج من كربته، فداخل بعض أمراء أخيه وظهرايه، ممن يباشر حصاره، وكان قوما شهيرا من المدد الذي ظاهره، من أهل إفرنسية، ووعده بكل ما يطمع من مال ومهد، وتوفية عهد. فأظهر له القبول . وأضمر الخديعة، ولما نزل إليه سجنه ،ومن لحق به من الأدلاء، (وأولى الحرة بالأرض) وأمسكه، وقد طير الخبر إلى أخيه، فأقبل في شر ذمة من خواصه وخدامه، فهجم عليه وقتله، وأوسع العفو من كان محصوراً معه، وطير إلى البلاد برأسه، وأوغر التبن في جثته، ولبس ثياب الحزن من أجله، وإن كان معترفا بالصواب في قتله، وخاطب البلاد التي كانت على مثل الجمر من طاعة الجاهر بمظاهرة المسلمين، وما جر ذلك من افتتاح بلادهم، وتخريب كنايسهم، والإتيان على نعمهم فأجابته ضربة، واتفقت على طاعته، فلم يختلف عليه منها اثنان ، إلا ما كان من مدينة قرمونة. واجتمعت كلمة النصارى، ووقع ارتفاع شتاتهم، وصرفوا وجوههم إلى المسلمين، وشاع استدعاؤهم جميع من بأرض الشرق من العدو الثقيل ببرجلونه[1]، وعدو الأشبونة، والعدو الثقيل الوطأة بإفرانسية. وقد كان الله جل جلاله، ألهم أهل البصاير النظر في العواقب، والفكر فيما بعد اليوم أعمل، ووقع لي إذن السلطان، المخلى بيني وبين النصائح، في مخاطبة سلطان النصارى المنكوب لهذا العهد، فأشرت عليه بالاحتراز من قومه، والتفطن لمكايد من يحطب في حبل أخيه، وأريته اتخاذ معقل يحرز ولده وذخيرته، ويكون له به الخيار على دهره، واستظهرت له على ذلك بالحكايات المتداولة، والتواريخ المعروفة، لتتصل الفتنة بأرضهم. فقبل الإشارة، وشكر النصيحة، واختار لذلك مدينة قرمونة، المختصة بالجوار

---

(١) - هي مدينة برشلونة عاصمة مملكة اراغون يومئذ.

المكتب، من دار ملكهم إشبيلية، فشيد هضابها، وحصن أسوارها، وملاها بالمخازن طعاما وعدة، واستكثر من الآلات، واستظهر عليها بالثقات، ونقل إليها المال والذخيرة، وسجن بها رهان أكابر اشبيلية، وأسرى المسلمين، وبالغ في ذلك، فيما لا غاية وراءه ولا مطمع، ولا ينصرف إلى مصرعه الذي دعاه القدر إليه، حتى تركها عدة خلفه، وأودع بها ولده وأهله، ولجأ إليها بعض من خدامه ممن لا يقبل مهدنه ضده، ولا يقر أمان عدوه، والتفوا على صغير من ولده كالنحل على شهده، ولجأوا إلى المسلمين، فبغض عليهم الكرة، والفتح بقاء هذا الشجي، المعترض في حلقه، وأهمه تغيير أمره، وجعجع به المسلمون لأجله. وأظهروا لمن انحاز بقرمونة الامتساك بعهده، فعظم الخرق، وأظهر الله نجح الحيلة. وصدق بها المخيلة، وتفتر الأمر. وخمدت نار ذلك الإرجاف واشتعل الطاغية بقرمونة بخلال ما خوطب به صاحب الأرض الكبيرة، فطمعه في المظاهرة. وتحطب له ملك قشتالة. وعقد السلم مع صاحب برتغال والأشبونة، ونشأت الفتن بأرضهم، وخرجت عليهم الخوارج فاوجب إزعاجه إلى تلك الجهة، وإقرار ما بالبلاد المجاورة للمسلمين من الفرسان والحماة تقاتل وتدافع عن أحوازها وجعل الخصص موجهة قرمونة. وانصرف إلى سد الفتوق التي عليه بلطف الحيلة. ببواطن أرضه وأحشاء عمالته، وصار في ملكه اشغل من ذات النحيين، فساغ الريق وأمكن العذر، وانتهز الغرة، واستؤنفت الحركة، فكانت إلى حصن منتيل والحويز، ففتحهما الله في رمضان من عام سبعين وسبعمائة، ثم إلى ثغر روطة. ففتحه الله عن جهد كبير؟، واتصل به حصن زمرة. فأمن الإسلام عادية العدو بتلك الناحية، وكبس أهل رندة. بإيعاز من السلطان إليها، والى من بالجبل، جبل الفتح، حصن برج الحكيم والقشتور، فيسر الله فتحهما في رمضان أيضا، ثم كانت الحركة إلى الجزيرة الخضراء، باب الأندلس، وبكر الفتح الأول، فكانت الحركة إليها شهر ذي الحجة من العام المذكور»[1].

---

(١) المصدر السابق،مج:٢،ص:٨٥،وما بعدها.

وركز لسان الدين بن الخطيب في ختام ترجمته لمحمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الخزرجي على الجهود التي بذلت لتحميس المسلمين،وبث روح الجهاد في نفوسهم لغزو الجزيرة الخضراء ،فذكر أنه قد وقع تحريض الناس في المساجد بما نصه:

«معاشر المسلمين المجاهدين، وأولى الكفاية عن ذوي الأعذار من القاعدين، أعلى الله بعلو أيديكم كلمة الدين، وجعلكم في سوى الأجر ،والفخر من الزاهدين، اعلموا رحمكم الله أن الإسلام بالأندلس ساكن دار، والجزيرة الخضراء بابه، ومبعد مغار، والجزيرة الخضراء ركابه. فمن جهتها اتصلت في القديم والحديث أسبابه، ونصرته على أعدائه، وأعداء الله أحبابه، ولم يشك العدو الكافر الذي استباحها، وطمس بظلمة الكفر صباحها، على أثر اغتصابها، واسوداد الوجوه المؤمنة لمصابها، وتبديل محاربها، وعلوق أصله الخبيث في طيب ترابها، أن صريع الدين الحنيف بهذا الوطن الشريف لا ينتعش ولا يقوم بعد أن فُري الحلقوم، وأن الباقي رمق يذهب، وقد سد إلى التدارك المذهب، لولا أن الله دفع الفاقرة ووقاها، وحفظ المسكنة واستبقاها، وان كان الجبل[1] عصمه الله نعم البقية، وبمكانه حفت التقية، فحسبك من مصراع باب فجع بثانيه، ومضايق جوار حيل بينه وبين أمانيه. والآن يا عباد الله قد أمكنكم الانتهاز، فلا تُضيعوا الفرصة، وفتر المخنق فلا (تسوغه غصة) واغمروا البواطن بحمية الأحرار، وتعاهدوا مع الله معاهد الأولياء الأبرار، وانظروا للعون من الذراري والأبكار، والنشأة الصغار، زغب الحواصل في الأكوار، والدين المنتشر بهذه الأقطار، واعملوا للعواقب ، تحمدوا عملكم، واخلصوا الله الضماير، يبلغكم من فضله أملكم، فما عذر من سلم في باب وكره. وماذا ينتظر من أذعن لكيد عدوه ومكره. من هذه الفرصة دخل الإسلام تروع أسوده. ومن هذه الجهة طلع الفتح الأول تخفق بنوده، ومنها تقتحم الطير الغريب، إذا رامت الجواز وفوذه، فيبصر بها صافات والدليل يقوده. الباب المسدود يا عباد الله فافتحوه، وجه النصر تجلى يا عباد الله فامحوه، الداء العضال يا عباد الله فاستأصلوه، حبل الله يا رجال الله قد انقطع

(١) - الجبل هنا يقصد بها جبل الفتح او جبل طارق.

فصلوه. في مثلها ترخص النفوس الغالية، في مثلها تختبر الهمم العالية، في مثلها تشهر العقايد الوثيقة، وتدس الأحباس العريقة، فنضر الله وجه من نظر إلى قلبه، وقد امتلأته حمية الدين، وأصبح لأن تكون كلمة الله هي العليا مُتهلل الجبين.

اللهم إنا نتوسل إليك بأسرار الكتاب الذي أنزلته، وعناية النبي العربي الذي أوفدت من خصوص الرحمات وأجزلت، وبكل نبي ركع لوجهك الكريم وسجد، وبكل ولى سده من إمدادك كما وجد، إلا ما رددت علينا ضالتنا الشاردة، هنأتنا بفتحها من نعمك الواردة، يا مسبل المآرب العسرة، يا جابر القلوب المنكسرة، يا ولي الأمة الغريبة، يا منزل اللطايف القريبة، اجعل لنا من ملايكة نصرك مددا، وأنجز لنا من تمام نورك الحق موعدا، ربنا أتينا من لدنك رحمة، وهيىء لنا من أمرنا رشدا»[1].

ويصف ابن الخطيب ما وقع بعد تحميس المسلمين،فيؤكد على أنه قد وقع الانفعال، وانتشرت الحمية، وجهزت الأساطيل. وكانت منازلتها يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر المذكور، وعاطاها المسلمون الحرب، فدخلت البنية وهي المدينة الملاصقة لها عنوة، قتل بها من الفرسان الذارعة عدة، وصرفت الغنايم إلى المدينة الكبرى، فرأوا من أمر الله، ما لا طاقة لهم به، وخذلهم الله جل جلاله، على منعة الأسوار وبعد مهاوى الأغوار، وكثرة العد والعدد، وطلبوا الأمان لأنفسهم، وكان خروجهم عنها يوم الاثنين الخامس والعشرين من الشهر المذكور، السعيد على المسلمين، في العيد والسرور، برد الدين. والله الحمد على آلايه، وتوالى نعمة وإرغام أعدائه.

ويضيف ابن الخطيب أن« في وسط ربيع الأول من عام أحد وسبعين وسبعمائة، أعمل الحركة إلى أحواز اشبيلية دار الملك، ومحل الشوكة الحادة، وبها نايب سلطان النصارى، في الجمع الخشن من إنجاد فرسانهم، وقد عظم التضييق ببلدة قرمونة، المنفردة بالانتزاء على ملك النصارى، والانحياز إلى خدمة المسلمين، فنازل المسلمون مدينة أشونة[2]، ودخلوا جفنها

---

(١)ابن الخطيب:المصدر السابق،مج:٢،ص:٨٨،وما بعدها.

(٢)أشونة وبالاسبانية OSONA بلدة تقع جنوب شرقي اشبيلية، على مقربة من شرقي مدينة مورور.

عنوة، واعتصم أهلها بالقصبة، فتعاصت واستعجل الإقلاع منها لعدم الماء المروى والمحلات، فكان الانتقال تدما إلى مدينة مرشانة وقد أحدقوا بها، وبها العدة والعديد من الفرسان الصناديد ففتحها الله سبحانه، إلا القصبة، واستولى المسلمون فيها، وفي جارتها. من الدواب والآلات على ما لا يأخذه الحصر وقتل الكثير من مقاتلتها. وعم جميعها العدم والإحراق، ورفعت ظهور دواب المسلمين من طعامها، ما تقله اظهر مراكب البحار ما اوجب في بلاد المسلمين التوسعة، وانحطاط الأسعار. واوجب الغلاء في ارض الكفار، وقفل والحمد لله في عز وظهور وفرح وسرور»[1].

دبج ابن الخطيب في ذيل ترجمة محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الخزرجي،نصاً وسمه:«مولده السعيد النشيية الميمون الطلوع والجيبة»،جاء فيه: « المقترن بالعافية منقولا من تهليل نشأته المباركة، وحرز طفولته السعيدة، في نحو ثلث ليلة الاثنين والعشرين من جمادى الآخرة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة. قلت ووافقه من التاريخ الأعجمي رابع يناير من عام ألف وثلاثمائة وسبعة وسبعين لتاريخ الصفر. لاستيلائه على مواضع الاستقبال المتقدم للولادة، ويكون التخمين على ربع ساعة وعشر ساعة، وثلث عشر الساعة السادسة من ليلة الاثنين المذكورة. والطالع من برج السنبلة خمس عشرة درجة وثمانٍ وأربعون دقيقة من درجة. كان الله له في الدنيا والآخرة، وحسبنا الله ونعم الوكيل» [2].

٢- محمد بن يوسف بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي

وبعد ترجمته لمحمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر الخزرجي،تحدث عن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي،فتحدث بادئ ذي بدء عن أوّليته،وحاله فرأى أنه كان آية من آيات الله في السذاجة،والسلامة،والجمهورية،جندياً ثغرياً شهماً عظيم التجلد،رافضاً للدعة والراحة

(١)المصدر السابق،مج: ٢،ص:٩٠ -٩١.

(٢)المصدر السابق، مج٢، ص:٩١.

مؤثراً للتقشف،والاجتراء باليسير،متبلغاً بالقليل،بعيداً عن التصنع،جافي السلاح،شديد العزم،مرهوب الإقدام،عظيم التشمير،مُقرياً لضيفه،مصطنعاً لأهل بيته،فظاً في طلب حظه،محمياً لقرابته،وأقرانه،وجيرانه،مُباشراً للحروب بنفسه،كما أنه يؤثر البداوة،ويستشعر الجدّ في أموره[1].

وعن سيرته قال ابن الخطيب إنه«تظاهر لأول أمره بطاعة الملوك بالعُدوة،وإفريقية،يخطب لهم زماناً يسيراً،وتوصل بسبب ذلك إلى أمداد منهم،وإعانة.ولقبل ما افتتح أمره بالدعاء للمستنصر العباسي ببغداد حاذياً حذو سميه ابن هود للهج العامة في وقته يتقلد تلك الدعوة إلى أن نزع عن ذلك كله.

وكان يعقد للناس مجلساً عاماً يومين كل أسبوع،فترتفع إليه الظلامات،ويُشافه طالب الحاجات،وتنشده الشعراء،وتدخل إليه الوفود،ويُشافه أرباب النصائح في مجلس اختص به أهل الحضرة،وقضاة الجماعة،وأولى الرتب النبيهة في الخدمة بقراءة أحاديث من الصحيحين،ويختم بأعشار من القرآن.ثم ينتقل إلى مجلس خاص ينظر فيه في أموره فيصرف كل قصد إلى من يليق به ذلك،ويؤاكل بالعشيات خاصته من القرابة،ومن يليهم من نبهاء القواد»[2].

وبعد أن تطرق لوزراء دولته،وكتابه،وقضاته،والملوك على عهده،قدم مجموعة من أخباره من بينها ما قاله ابن عذارى في تاريخه،وختم بالحديث عن مولده،ووفاته التي كانت في منتصف جمادى الثانية من عام واحد وسبعين وستمائة،ليلة الجمعة التاسع والعشرين لجمادى الثانية،وقد دفن بالمقبرة الجامعة العتيقة بسنام السبيكة،و مما نُقش على قبره:«هذا قبر السلطان الأعلى،عز الإسلام،جمال الأنام،فخر الليالي،والأيام،غياث الأمة،غيث الرحمة،قطب الملة،نور الشريعة،حامي السنة،سيف الحق،كافل الخلق،أسد

---

(١)المصدر السابق،مج:٠٢،ص:٩٤.

(٢)المصدر السابق،مج:٠٢،ص:٩٥.

الهيجاء،حمام الأعداء،قوام الأمور،ضابط الثغور،كاسر الجيوش،قامع الطغاة،قاهر الكفرة والبغاة أمير المؤمنين،علم المهتدين،قدوة المتقين،وعصمة الدين،شرف الملوك والسلاطين،الغالب بالله،المجاهد في سبيل الله»[1].

٣- المنصور بن أبي عامر

ومن بين الشخصيات التاريخية الفذة التي ترجم لها ابن الخطيب المنصور بن أبي عامر،مؤسس الدولة العامرية،حيث جاءت ترجمته الثالثة في المجلد الثاني،وتسميته الكاملة«محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن محمد بن أبي الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري،المنصور بن أبي عامر»وقد وصفه في البدء بمعظم الظفر،وخدن السعد،وملقي عُصي الجد،وجو رياح الشهرة،وديوان فنون السياسة،وحجاج الدولة العبشمية في التخوم المغربية،المزيُّ بالظرف،وكمال السجية،والجهاد العظيم العريق في بحبوحة بلاد الكفار،رحمه الله تعالى.

وقد أثنى لسان الدين ابن الخطيب أيما ثناء على نباهته،ولدى حديثه عن أوليته ذكر أن جده عبد الملك دخل الأندلس مع طارق مولى موسى بن نصير في أول الداخلين من المغرب،وكان له في فتحها أثرٌ جميلٌ،ونزل الجزيرة الخضراء لأول الفتح،وجاوروا الخلفاء بقرطبة،وقد كان والد محمد من أهل الدين،والعفاف،والزهد في الدنيا،والقعود عن السلطان،وقد أدى الفريضة،ومات منصرفاً عن الحج بإطرابلس،ووصف حاله بعدة مواصفات من أبرزها أنه كان عظيم الصبر،ورحيب الذرع،ووطموح الطرف،وجشع السيف،ومهيباً،جزلاً،آية الله جل جلاله في النصر على الأعداء،ومصاحبة الظفر،وتوالي الصنع.

وسرد تسلسله في الحكم فذكر أنه«سلك سبيل القضاء في أوليته،مقتفياً آثار عمومته،وخؤولته،يطلب الحديث في حداثته،وكتب منه كثيراً،ولقي الجلّة من رجاله،ثم صحب الخليفة الحكم متحزباً في زمرته،وولي الأعمال من القضاء،والإمامة،ثم استكفاه

---

(١) المصدر السابق،مج:٠٢،ص:١٠٠.

فعدل عن سبيله،وصار في أهل خدمته،ثم اختصه بخدمة أم ولده هشام فزاد بخاصته لولي العهد عزاً ومكانة من الدولة فاحتاج الناس إليه،وغشوا بابه،وبلغ الغاية من أصحاب السلطان معه،إسعاف،وكرم لقاء،وسهولة حجاب،وحسن أخلاق،فاستطار ذكره،وعمر بابه،وساعده الجد،ولما صار أمر المسلمين إليه،فبلغ التي لا فوقها عزاً وشهرة»[1].

وقدم لمحة عنونها بالثناء عليه أشار فيها إلى أنه اتسم بخصال لم تجتمع لمن قبله من بينها:الجود،والوقار،والجد،والهيبة،والعدل،والأمن،وحب العمارة،وتأمير المال،والضبط للرعية،وأخذهم بترك الجدل،والخلاف، والتشغب من غير وهن في دينه.

ولم يغفل ابن الخطيب الحديث عن غزواته،وظهوره على أعدائه،وشعره الذي أورد مما يؤثر عنه قوله:

رَمَيتُ بنفْسِي هَولَ كُل عَظِيمةٍ   وخَاطرتُ والحُر الكَرِيمُ يُخَاطِر

وما صَاحِبِي إلا جِنَان مُشيع   وأسَمَر خُطى وأبَيْض بَاتِر

ومن شِيمَتِي أنِي على طَالِبٍ   أجُود بِمَالٍ لا تَقِيهِ المَعاذِر

وتحدث باستفاضة عن دخوله مدينة غرناطة،وختم بذكر وفاته،والتي جاء فيها: «توفي رحمه الله منصرفاً من غزاته المسماة بقنالش،والريد،وقد دوّخ أقطار قشتالة،ليلة الإثنين سبع وعشرين لرمضان عام اثنين،وتسعين وثلاثمائة،وقد عهد أن يُدفن ببلد وفاته،بعد وصية شهيرة صدرت عنه إلى المظفر ولده فدفن بمدينة سالم التي بناها في نحر العدو من وادي الحجارة،وبقصرها،وقبره معروف اليوم.وكان قد اتخذ له من غبار ثيابه الذي علاها بالجهاد علواً كبيراً بجديه رحمه الله.وكُتب على قبره هذا الشعر:

آثارُهُ تنبئك عنْ أخبَارِهِ   حتَى كأنك بالعيانِ تَراه

---

(١) المصدر السابق،مج:٠٢،ص:١٠٣ وما بعدها.

تا الله لا يأتِي الزمانُ بمثلِهِ   أبداً ولا يُحيى الثُغُور سِوَاه»[1].

وترجم ابن الخطيب لعدد كبير من الشعراء والكتاب، وأشار في ثنايا تراجمه إلى كتبهم ودواوينهم الشعرية، وقدم نماذج هامة من شعرهم.

٤- المعتمد بن عباد

ومن بين الشعراء المشاهير الذين ترجم لهم المعتمد بن عباد الذي تعرض له بعد المنصور بن أبي عامر،وبذلك فهو يحتل المركز الرابع في المجلد الثاني،وتسميته فيه«محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم لخمي النسب».

حينما تطرق ابن الخطيب لأوليته ذكر أن جده هو عطاف من بلج بن بشر القشيري،وهو من أشراف الطالعة البلجية،وهم من عرب حمص من أرض الشام،وموضعه بها يُعرف بالعريش في آخر الجفار بين مصر والشام.

وأشار في حديثه عن حاله إلى إجماع عدد كبير ممن اقتفوا آثاره على أنه كان فارساً شجاعاً،وبطلاً مقداماً،وشاعراً ماضياً مشكور السيرة في رعيته.

واستشهد بما قاله أبو نصر في قلائده:«وكان المعتد على الله ملكاً قمع العدا،وجمع بين البأس والندا،وطلع على الدنيا بدر هدى.لم يتعطل يوماً كفه،ولا بنانه،آونة يراعه،وآونة سنانه.وكانت أيامه مواسم،وثغوره برة بواسم».

وقد كان لقبه أولاً الظافر،ثم تلقب بعد ذلك بالمعتمد كلفاً بجاريته اعتماد لما ملكها،لتتفق حروف لقبه بحروف اسمها لشدة ولوعه بها.

أما وزاراؤه فأشهرهم ابن زيدون،وابن عمار.

وتوقف ابن الخطيب مع ملمته،وجوده،وحلمه،وتوقيعه ونثره في البديهة،وتلطفه،وظرفه،ومحنته،وكان آخر ما تعرض له مولده الذي ذكر فيه أنه ولد بمدينة باجة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة،ووفاته التي كانت بأغمات في ربيع الأول سنة ثمان

(١)المصدر السابق،مج:٠٢،ص:١٠٧ وما بعدها.

وثمانين وأربعمائة،بعد أن تقدمت وفاته وفاة الحرة اعتماد،وجزع عليها جزعاً أقرب سرعة لحاقه بها،وختم ابن الخطيب ترجمته له بذكر بعض ما رُثي به.

٥- محمد بن أحمد بن جبير

كما حدثنا ابن الخطيب في المجلد الثاني من«الإحاطة» عن مجموعة من الأعلام المتميزين،والمشاهير فنلفي ترجمات لكبار الأدباء،والشعراء ،والكتّاب مثل:محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن سعيد بن جبير بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن مروان بن عبد السلام بن جبير الكناني،فقد وصف ابن الخطيب حاله بأنه«كان أديباً بارعاً،شاعراً مجيداً سثياً فاضلاً،نزيه المهمة،سري النفس،كريم الأخلاق،أنيق الطريقة في الخط،كتب بسبتة عن أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن،وبغرناطة عن غسره من ذوي قرابته،وله فيهم أمداح كثيرة.ثم نزع عن ذلك،وتوجه إلى المشرق،وجرت بينه،وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته،وإجادته،ونظمه فائق،ونثره بديع،وكلامه المرسل سهل حسن،وأغراضه جليلة،ومحاسنه ضخمة،وذكره شهير،ورحلته نسيجة وحدها،طارت كل مطار»[1].

ويفيدنا ابن الخطيب أن مشيخته كانت عن أبيه إذ روى عن أبيه،وأبي الحسن بن محمد بن أبي العيش،وأبي عبد الله بن أحمد بن عروس،وابن الأصيلي،أما العربية فقد أخذها عن أبي الحجاج بن يسعون،وبسبتة عن أبي عبد الله بن عيسى التميمي السبتي.وقد أجاز له أبو الوليد بن سبكة،وإبراهيم بن إسحاق بن عبد الله الغساني التونسي،وأبو حفص عمر بن عبد المجيد بن عمر القرشي الميانجي،وسواهم من المشائخ،وذكر بعض من أخذ عنه ومن بينهم بالإسكندرية رشيد الدين أبو محمد عبد الكريم بن عطاء الله،وبمصر رشيد الدين بن العطار،وفخر القضاة بن الجياب وابنه جمال القضاة.

---

(١)المصدر السابق،مج:٠٢،ص:٢٣١ .

ومن أبرز تصانيفه التي أشار إليها ابن الخطيب وفق ما قاله ابن عبد الملك مجلد متوسط يكون على قدر ديوان أبي تمام حبيب بن أوس،ومنه جزء سماه«نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح»في مراثي زوجه أم المجد.ومنه جزء سماه«نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان»،كما أن له ترسيل بديع،وحكم مستجادة،وكتاب رحلته،وعرج ابن الخطيب على شعره،ونثره،وذكر أن مولده كان ببلنسية سنة تسع وثلاثين،وخمسمائة،وقيل بشاطبة سنة أربعين وخمسمائة،وتوفي بالإسكندرية ليلة الأربعاء التاسع والعشرين لشعبان أربع عشرة وستمائة[1].

٦-محمد بن محمد بن علي بن داود القرشي المقري

وفي رصده لشخصية محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي بن داود القرشي المقري أشار إلى أنه يكنى بأبي عبد الله،وهو قاضي الجماعة بفاس،وتلمسان،وتحدث عن أوليته،ووصفه حينما توقف للحديث عن حاله بجملة من الأوصاف من بينها أنه«مشار إليه بالعدوة المغربية اجتهاداً،ودؤوباً،وحفظاً،وعناية،واطلاعاً،ونقلاً ونزاهة،سليم الصدر،قريب الغور، صادق القول،مسلوب التصنع،كثير الهشة،مفرط الخفة،ظاهر السذاجة،ذاهب أقصى مذاهب التخلق،محافظ على العمل،مثابر على الانقطاع،حريص على العبادة،مضايق في العقد والتوجه،يكابد من تحصيل النية بالوجه،واليدين مشقة،ثم يغافض الوقت فيها،ويوقعها دفعة متبعاً إياها زعقة التكبير برجفة،ينبو عنها سمع من لم يكن تأنس بها عادة،بما هو دليل على حسن المعاملة،وإرسال السجية،قديم النعمة،متصل الخيرية مكب على النظر،والدرس،والقراءة،معلوم الصيانة والعدالة،منصف في المذاكرة،حاسر الذراع عند المباحثة،راحب عن الصدر في وطيس المناقشة»[2].

---

(١) المصدر السابق،مج:٠٢،ص:٢٣٩ .

(٢) المصدر السابق،مج:٠٢،ص:١٩٤ .

وتحدث عن دخوله غرناطة،ومشيخته،وأشار لدى تطرقه لتصانيفه إلى أنه ألـف كتابـاً يشتمل على أزيد من مائة مسألة فقهية،ضمنها كل أصيل من الـرأي والمباحثـة،ودون في التصوف إقامة المريد،ورحلة المتبتل،وكتاب الحقائق،والرقائق،وغير ذلك،وأورد الكثير من أشعاره،ونقل عنه وهو يتحد ث عن مولده بأن مولده بتلمسان أيام أبي حمو موسـى بـن عثمان بن يغمراسن بن زيان،وتوفي بمدينة فاس في أخريات محرم من عام تسعة وخمسـين وسبعمائة،ونقل إلى تربة سلفه بمدينة تلمسان.

٧-محمد بن محمد بن علي بن محمد اللوشي اليحصبي

أما محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن علي بن محمد اللوشي اليحصـبي فهو يكنى أبا عبد الله،ويعرف باللوشي،وقد ذكر ابن الخطيب أنه من لوشـة،وقرأ العلـم بها،وتعرف بالسلطان الغالب بالله محمد،وقد تضمن ذكره الكتاب المسمى«طرفة العصـر في أخبار بني نصر».

وعن حاله ذكر ابن الخطيب أنه من أهل الحسب،والأصالة،كان شاعراً مداحاً،نشأ مدللاً في جحور الدولة النصرية،خفيفاً على أبوابها،مُفضلاً على مُداحها،ثم تجنى بـآخرة،ولزم طوراً من الخمول في غير تشك،أعرض به عن أرباب الدنيا،وأعرض عنه،واقتصـر علـى تبلغ من علالة مترمل كان له خارج غرناطة،غير مياد من ثلمه ولا مصلح في خلله،أخـذ نفسه بالتقشف،وسوء المسكن.

ووصف شعره بأنه بلغ في الإجادة الغاية،ورفع للجبين من السنن الراية،وكانت وفاته في الموفى عشرين من شهر ربيع الثاني من عام اثنين وخمسين وسبعمائة.

٨-محمد بن محمد بن يحيى بن الحكيم اللخمي

وترجم لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمي المكنـى بأبي بكر،وذهب في وصف حاله إلى أنه كان صـدر أبنـاء أصـحاب النعم،وبقيـة أعـلام البيـوت،ترف نشـأة،وعز تربيـة،وكرم نفس،وطيـب مجالسـة،وإمتاع محاضرة،وصـحة وفاء،وشـياع مشـاركة في جملـة فاضـلة،محدثاً تاريخياً،كاتبـاً بليغاً،حسـن الخط،ملـيح الدعابة،ظريف التوقيع،متقدم الحيلـة في بـاب التحسـين والتنقيح،يقـرض الشـعر،ويفك

المعمى،ويقوم على جمل الكتاب العزيزحفظاً وتجويداً،وإتقاناً،ويسرد نتف التاريخ،وعيون الأخبار إلى حسن الخلق،وكمال الأبهة،وحلاوة البساطة،واحتمال المنابشة[١]

كما حدثنا ابن الخطيب عن مشيخته فذكر أنه قرأ على الأستاذ أبي جعفر الحريري،والأستاذ أبي الحسن القيجاطي،والأستاذ أسحق بن أبي العاصي،وأخذ عن الطم والرم من مشائخ المشرق،والمغرب،ومن بينهم الولي الصالح فضل بن فضيلة المعافري،إضافة إلى عدد كثير من أهل الأندلس من الخطباء والصلحاء مثل:أبي عبد الله الطنجالي،وأبي جعفر الزياتي،وأبي عبد الله بن الكماد،وغيرهم من الرنديين،والمالقيين،والغرناطيين وفق ما جاء في برنامجه[٢].

وذكر ابن الخطيب أنه ألف الكتاب المسمى«الفوائد المنتخبة والموارد المستعذبة»،وكمل التاريخ المسمى«بميزار العمل»لابن رشيق،ودون كتاباً في عبارة الرؤيا سماه«بشارة القلوب بما تخبره الرؤيا من الغيوب»،و«الإشارة الصوفية»،و«النكت الأدبية»،و«والهودج في الكتب»،و«الإشارة في ألف إنشاده».

كما اهتم بشعره وكتابته،وقدم عدة نماذج لأشعاره في مختلف الأغراض،وذكر في الأخير أن وفاته كانت في رندة في الثالث والعشرين لربيع الآخر عام خمسين،وسبعمائة.

٩-محمد بن يوسف بن محمد الصريحي،الشاعر ابن زمرك

ومن بين الترجمات التي تكتسي أهمية بالغة،وتمثل أكثر من دلالة،وتبرز مدى وفاء ابن الخطيب لتلامذته ترجمة الشاعر ابن زمرك تلميذه الذي كان سبباً في مقتله،ومحنته،ونهايته المأساوية،فقد استعرض مسيرته،وقدم عدة نماذج من أشعاره،واسمه الكامل«محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد الصريحي»،ويكنى أبا عبد

(١)المصدر السابق،مج:٠٢،ص:٢٧٢ .

(٢)المصدر السابق،مج:٠٢،ص:٢٧٤ .

الله،ويعرف بابن زمرك،وأصله من شرق الأندلس، وسكن سلفه ربض البيازين من غرناطة،وبه ولد،ونشأ .

وفي معرض حديثه عن حاله وصفه أدق وصف مقدماً متابعة دقيقة لحاله،ومما ذكره في هذا الشأن قوله:«هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الأندلس،وأفراد نجبائها مختص مقبول،هش،خلوب،عذب الفكاهة،حلو المجالسة،حسن التوقيع،خفيف الروح،عظيم الانطباع،شره المذاكرة،فطن بالمعاريض،حاضر الجواب،شعلة من شعل الذكاء تكاد تحتدم جوانبه،كثير الرقة،فكه،غزل،مع حياء وحشمة جواد بما في يده مشارك لإخوانه،نشأ عفاً طاهراً كلِفاً بالقراءة،عظيم الدؤوب،ثاقب الذهن،أصيل الحفظ،ظاهر النبل،بعيد مدى الإدراك،جيد الفهم،فاشتهر فضله،وذاع أرجه،وفشا خبره،واضطلع بكثير من الأغراض،وشارك في جملة من الفنون،وأصبح متلقف كرة البحث،وصلوخ الحلقة،وسابق الحلبة،ومظنة الكمال.ثم ترقى في درج المعرفة،والاضطلاع،وخاض لجة الحفظ،وركض قلم التقييد،والتسويد،والتعليق،ونصب نفسه للناس،متكلماً فوق الكرسي المنصوب،وبين الحفل المجموع،مستظهراً بالفنون التي بعد فيها شأوه من العربية،والبيان،واللغة،وما يقذف به في لج النقل من الأخبار والتفسير،متشوقاً مع ذلك إلى السلوك،مصاحباً للصوفية،آخذاً نفسه بارتياض،ومجاهدة»[1].

ورأى أن شعره مترام إلى نمط الإجادة،خفاجي النزعة،كلف بالمعاني البديعة،والألفاظ الصقيلة،غزير المادة.

١٠-محمد بن إبراهيم بن علي بن باق الأموي

وحينما تطرق لشخصية محمد بن إبراهيم بن علي بن باق الأموي أشار إلى أنه مرسي الأصل،غرناطي النشأة،مالقي الإسكان،يكنى أبا عبد الله،وأثنى على أدبه،وشخصيته فوصف حاله بأنه كان كاتباً أديباً لوذعياً يجيد الخط،ويرسل النادرة،ويقوم على العمل،ويشارك في الفريضة.

---

(١) المصدر السابق،مج:٢٠،ص:٣٠١ .

١١-محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافري

وذكر في ترجمته لمحمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافري أنه شيخ أخلاقه لينة،ونفسه كما قيل هينة،ينظم الشعر سهل مساقه،محكماً اتساقه،على فاقة مالها من إفاقة،وبالنسبة لتواليفه فقد اقتبس ابن الخطيب ما ذكره الشيخ أبو البركات الذي أشار إلى أنه ابتلي باختصار كتب الناس،فمن ذلك مختصره المسمى«بالدرر المنظومة الموسومة في اشتقاق حروف الهجا المرسومة»،وكتاب في حكايات تسمى روضة الجنان وغير ذلك.

١٢-محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم

أما محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم الذي هو من أهل جزيرة شُقر،والمكنى بأبي عبد الله،ويُعرف بابن مرج الكحل،فيبدو من خلال وصفه له أن ابن الخطيب في غاية الإعجاب بأدبه،وإنتاجه،وقد علق عليه حينما تحدث عن حاله بأنه كان شاعراً مفلقاً غزلاً بارع التوليد،رقيق الغزل،واستشهد بما ذكره الأستاذ أبو جعفر حينما ذكر أنه كان شاعراً مطبوعاً،حسن الكفاية،ذاكراً للأدب،متصرفاً فيه،وقال ابن عبد الملك عنه:وكانت بينه،وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات،ظهرت فيه إجادته.وكان مُبتذل اللباس على هيئة أهل البادية،ويقال إنه كان أُمياً[1].

وقد توفي يوم الإثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة أربع،وثلاثين وستمائة،ودفن في اليوم بعده.

١٣-محمد بن عبد الرحمن بن أيوب بن محمد بن الحكيم اللخمي

ونجد ابن الخطيب في الترجمة التي عقدها لمحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح بن محمد بن أيوب بن محمد بن الحكيم اللخمي ذي الوزارتين،يذكر أنه يُكنى بأبي عبد الله،وهو رندي النشأة،وإشبيلي الأصل، يرجع بيته،وبيت بني

---

(١) المصدر السابق،مج:٠٢،ص:٣٤٣ .

(٢) المصدر السابق،مج:٠٢،ص:٣٤٦ .

حجاج،وبيت بني عباد إلى جرثومة واحدة،وقد أفرده السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن نصر بالوزارة،ولقبه ذو الوزارتين.

ويصف ابن الخطيب حاله بأنه كان علماً في الفضيلة والسراوة،ومكارم الأخلاق،كريم النفس،واسع الإيثار،متين الحرمة،عالي الهمة،كاتباً بليغاً،أديباً،شاعراً،حسن الخط،يكتب خطوطاً على أنواع كلها جميلة الانطباع،كما كان خطيباً فصيح القلم،زاكي الشيم،مؤثراً لأهل العلم والأدب،براً بأهل الفضل والحسب،كما كان فريد دهره سماحة،وبشاشة،ولوذعية،وانطباعاً،رقيق الحاشية،ونافذ العزمة،كما كان مضطلعاً بالرواية،ومستكثراً من الفائدة،ويقوم على المسائل الفقهية،ويتقدم الناس في باب التحسين،والتنقبيح ورفع راية الحديث،والتحديث،أحيا معالم الأدب،وأكرم العلم والعلماء،ولم تشغله السياسة عن النظر،ولا عاقه تدبير الملك عن السماع،والإفراط في اقتناء الكتب،حتى ضاقت قصوره عن خزائنها،وأثرت أنديته من ذخائرها[1].

ويمضي ابن الخطيب في الحديث عن رحلته إلى الحجاز،ونباهته فقد حج أول عام ثلاثة وثمانين وستمائة،وتجول في بلاد المشرق،وأقام بمكة شرفها الله من شهر رمضان إلى انقضاء الموسم،وانصرف إلى المدينة المشرفة،ثم قفل راجعاً مع الركب الشامي إلى دمشق،وكر إلى المغرب،واحتل رندة أواخر عام خمسة وثمانين وستمائة،وبعد أن سرد ابن الخطيب أسماء مشائخه ،توقف مع محنته حيث أغرى به ولي العهد بسبب أمور اختلف فيها،منها أبيات في هجو الدولة النصرية،الله أعلم بصحة نسبتها إليه،فأوقع به، ونابله بين يديه نكال كبير.

أما شعره فيرى ابن الخطيب أن بضاعته في الشعر مزجاة،وإن كان أعلم الناس بنقده،وأشدهم تيقظاً لمواقعه الحسنة،وأضدادها،وكتابته مرتفعة عن نمط شعره،وقد توفي مقتولاً صبيحة يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمائة،وذلك تاريخ خلع سلطانه[2].

---

(١) المصدر السابق،مج:٠٢،ص:٣٧٤ .

(٢) المصدر السابق،مج:٠٢،ص:٥٠٥ .

وكان آخر ما ذكره ابن الخطيب في ترجمته تاريخ مولده فقد ولد برندة ظهر يـوم الإثـنين الحادي والعشرين من ربيع الأول المبارك من عام ستين وستمائة.

١٤-محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهري

وفي معرض حديثه عن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهري أشـار إلى أنـه من أهل قرطبة،ووصف حالـه بالإشـارة إلى أنـه كـان أديبـاً بارعـاً محسناً،وشـاعراً حلـو الكلام،مليح التندير،مبرزاً في نظم الطريقة الهزلية بلسان عوام الأندلس ،الملقب بالزجل.
وقد ذكر ابن الخطيب في ختام ترجمته أنه جرت عليه محنة كبيرة بابن حمدين،وذلك بسبب شكاسة أخلاق كان موصوفاً بها،وحدة شقي بسببها،وقد توفي بقرطبة لليلـة بقيـت مـن رمضان سنة خمس وخمسين وخمس مائة،والأمير بن سعد يحاصر قرطبة[1].

وبشأن ابن قزمان الزهري أضاف محقق كتاب(الإحاطة في أخبار غرناطة)الأستاذ محمد عبد الله عنان ملحقاً علق فيه على ترجمة محمـد بـن عيسـى بـن عبـد الملـك بـن قزمـان الزهري،أبي بكر(الواردة في صفحة٤٩٤-٥٠٥).

جاء فيها: «نقل ابن الخطيب في بداية هذه الترجمة ما وصفه به ابن عبد الملك المراكشي في قوله:(كان أديبـاً بارعاً،محسناً،شـاعراً،حلو الكلام،مليـح التنـدير،مبرزاً في نظـم الطريقـة الهزلية،بلسان عوام الأندلس الملقب بالزجل).

ثم علق على ذلك بقوله: «وهذه الطريقة بديعـة،يتحكم فيهـا ألقـاب البديع،وتنفسـح لكثير مما يضيق سلوكه على الشاعر.وبلغ فيها أبو بكر مبلغـاً،حجره الله عـن سـواه،فهو آيتها المعجزة،وحجتها البالغة،وفارسها العلم،والمبتدى فيها والمتمم»[2].

وهذا كلام لا غبار عليـه،إذا ذكرنـا أن اسـم صـاحب الترجمـة،هو بالفعـل اسـم ابـن قزمان،أمير الزجل الأندلسي المشهور،وأن تاريخ وفاته الذي يقدمه إلينا ابن الخطيب هو بالفعل التاريخ الصحيح.ولكن ابن الخطيب يورد لنا بعد ذلك في وصفه فقرة مـن كـلام

---

(١) المصدر السابق،مج:٠٢،ص:٥٨١ .

(٢) كتاب الصلة -القاهرة،ج:٠١،ص:٥٤٠

صاحب«القلائد»،وفيها أنه اتصل بالمتوكل ابن الأفطس،وحظي لديه.وهنا يتغير الاتجاه،ويبدأ الخطأ،ويغدو ابن الخطيب،فيما يقدمه إلينا من نظمه ونثره-وهو ما لا يحتوي على أية مقطوعة من الزجل-وهو يقدم إلينا في الواقع ترجمة شخص آخر من بني قزمان هو عم إمام الزجل،واسمه الحقيقي هو أبو بكر،محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان القرطبي.

وقد أورد لنا ابن بشكوال في«الصلة»ترجمة المذكور في أسطر قلائل،ووصفه بأنه كان(من أهل العلم والذكاء والفهم،وكانت عنده دراية،ورواية ولغة،وأدب وافر).ثم قال إنه توفي في سنة:٥٠٨هـ[١].

وذكره الفتح في كتاب«القلائد»،ووصفه بالوزير الكاتب،وأنه كتب للمتوكل ابن الأفطس،أمير بطليوس المتوفى سنة:٤٨٨هـ،وحظي لديه،وأضاف إلى ذلك أنه اتصل في أواخر عمره بالقاضي ابن حمدين المتغلب على قرطبة،وخدمه ثم لقي بعد ذلك على يده شر الهوان،والأذى لحدة كانت في طبعه.

وهذه الفقرة الأخيرة ،لا يمكن نسبتها إلى ابن قزمان الأكبر لأن ابن حمدين لم يحكم قرطبة إلا في سنة:٥٣٩هـ،على إثر انهيار سلطان المرابطين في الأندلس.

وإذن فهي تتعلق بحياة ابن قزمان الأصغر،وهو أمير الزجل[٢].

وقد أوضح لنا هذه التفرقة بين ابن قزمان الأكبر(العم)،وابن أخيه ابن قزمان الأصغر(أمير الزجل)ابن سعيد الأندلسي في كتابه«المغرب في حلى المغرب»،فيمن ذكره من بيت بني قزمان،فترجم لنا أولاً لأبي بكر محمد الأكبر ابن عبد الملك بن عيسى بن قزمان القرطبي،وأشار في ذلك إلى ما ذكره عنه ابن بسام في«الذخيرة»من خدمته للمتوكل

---

(١) قلائد العقيان ، ص:١٨٧

(٢) المغرب في حلى المغرب -القاهرة -ج:١،ص:٩٩و١٠٠ .

صاحب بطليوس،ولكنه وقع بعد ذلك في نفس الخطأ الذي وقع فيه الفتح في«القلائد»من ذكر اتصاله بابن حمدين[1].

ثم ترجم بعد ذلك لأبي بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان الأصغر(ج:٠١،ص:١٠٠).ثم عاد فترجمه مرة أخرى[2] .ووصفه في الترجمتين بأنه«إمام الزجالين بالأندلس».وأورد له في الترجمة الثانية عدداً من مقطوعاته الزجلية الشهيرة.

ومن الواضح أن رواية ابن سعيد،وقد كتب كتابه«المغرب»حول منتصف القرن السابع الهجري،وتوفي سنة:٦٧٣هـ،وكان بذلك أقرب إلى عصر ابن قزمان من ابن عبد الملك،وابن الخطيب،هي أقربق إلى التحقيق والثقة.

وأخيراً فقد أشار ابن خلدون في مقدمته،في الفصل الذي عقده عن«الموشحات والأزجال بالأندلس»إلى ابن قزمان،ووصفه بأنه كان إمام الزجالين على الإطلاق،وذكر أنه كان لعهد الملثمين،أي المرابطين(المقدمة بولاق-ص:٥٢٤).وهذا تأييد آخر لرواية ابن سعيد،لأن عهد المرابطين بالأندلس كان بين سنتي:٤٨٤،و٥٥٠هـ،وقد توفي ابن قزمان،أمير الزجل حينما تقدم في سنة:٥٥٥هـ»[3].

١٥-محمد بن غالب الرصافي

أما محمد بن غالب الرصافي فذكر أنه بأبي عبد الله،بلنسي الأصل،سكن غرناطة مدة،ثم مالقة،ونقل ابن الالخطيب ما وصفه به الأستاذ،ويقصد بالأستاذ أبو جعفر بن الزبير صاحب كتاب:«صلة الصلة»،الذي ذكر أنه كان فحلاً من فحول الشعراء،ورئيساً في الأدباء،عفيفاً،ساكناً،وقوراً،ذا سمت وعقل،وقال القاضي كان شاعراً مَجيداً،رقيق

---

(١)المصدر السابق: ج:٠١،ص:١٦٧ -١٧١

(٢)ابن الخطيب:الإحاطة،مج:٠٢،ص:٥٨١ -٥٨٢ .

(٣) المصدر نفسه،مج:٠٢،ص:٥١٥ .

الغزل،سلس الطبع،بارع التشبيهات،بديع الاستعارات،نبيل المقاصد،والأغراض،كاتباً بليغاً،ديناً،وقوراً،عفيفاً،متفقهاً،عالي الهمة،حسن الخلق،والخُلُق،والسمت تام العقل.

أشار إلى بعض أخبار عقله وسكونه،وذهب إلى أن شعره لا نهاية فوفه رونقاً،ومائية،وحلاوة،وطلاوة،ورقة ديباجة،وتمكن ألفاظ،وتأصل معنى،وقد كانت وفاته بمالقة يوم الثلاثاء لإحدى عشرة بقيت من رمضان سنة اثنين،وسبعين،وخمسمائة،وقبره مشهور بها[1]

١٦-محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي

وأشار عند حديثه عن محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي إلى أنه كان لبيباً لوذعياً،جامعاً لخصال من خط بارع وكتابة،ونظم،وشطرنج،إلى نادر حار،وخاطر ذكي،وجُرأة،وقد توجه إلى العدوة،وارتسم بها طبيباً،وتولى النظر إلى المارستان بفاس في ربيع الثاني من عام أربعة،وخمسين وسبعمائة،وقد ولد بمالقة عام ثلاثة وسبع مائة،وكانت وفاته في أواسط عام سبعة وخمسين وسبعمائة[2].

١٧-محمد بن خميس الحجري

لقد اهتم ابن الخطيب بشكل كبير بالشعراء المفلقين الذين كانوا محل اهتمام آنذاك ،وهذا مما يلقي وجهاً من الضياء على ثقافة ذلك العصر،حيث إننا نلفيه لدى ترجمته لمحمد بن خميس بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحجري حجر ذي رعين التلمساني يورد الكثير من أشعاره التي ربما قد لا تتوفر في أي مصدر آخر باستثناء«الإحاطة»..ويصف شعره بأنه بديع،وحاله بأنه نسيج وحده زهداً،وانقباضاً،وأدباً،وهمة،حسن الشيبة،جميل الهيبة،سليم الصدر،قليل التصنع،بعيداً عن الريا،والهوادة عاملاً على السياحة،والعزلة عالماً بالمعارف القديمة،مضطلعاً بتفاريق النحل،قائماً على صناعة العربية والأصلين،طبقةُ وقت في الشعر،وفحل الأوان في النظم المطول،أقدر الناس على اجتلاب الغريب،ومزج الجزالة بالسلاسة،ووضع الألفاظ البيانية

---

(١)المصدر السابق،مج:٠٢،ص:٥١٦ .

مواضعها،شديد الانتقاء والارجاء،منافساً في الطريقة منافسة كبيرة.كتب بتلمسان عن ملوكها من بني زيان،ثم فرعنهم،وقد أوجس منهم خيفة لبعض ما يجري بأبواب الملوك.وبعد ذلك بمدة قدم غرناطة،فاعتز الوزير ابن الحكيم لتلقيه،ومتَّ إليه بالوسيلة العلمية،واجتذبه بخطبة التلميذ،واستفزه بتأنيسه،وبره،وأقعده للإقراء بجواره.وكان يروم الرحلة،وينوي السفر،والقضاء يثبطه[1].

وقد توفي يوم مقتل صاحبه الوزير أبي عبد الله بن الحكيم،وقتل مطعوناً يوم عيد الفطر عام ثمانية وسبعمائة.

١٨-محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكشي

ورصد ابن الخطيب سيرة كل من محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكشي،ومحمد بن علي بن الحسن بن راجح الحسني،فالمليكشي يكنى بأبي عبد الله،وذكر عند حديثه عن حاله بأنه كان فاضلاً،متخلقاً،أديباً،شاعراً،صوفياً،جميل العشرة،حسن الخلق،كريم العهد،طيب النفس،كتب عن الأمراء بإفريقية،ونال حُظوة،ثم شرّق وحجّ،ولقي جلة،ووصل الأندلس عام ثمانية عشر وسبعمائة،فلقي بغرناطة حفاية،وانسحبت بها عليه جراية،ثم انصرف إلى وطنه،وناله به اعتقال،وبعد ذلك تخلص من النكبة،وأقام به يزجي وقته إلى آخر مهره.

وأشار إلى ما ذُكر به في«الإكليل الزاهر»،فهو كاتب الخلافة،ومشعشع الأدب المزرى بالسلافة،كان بطل مجال،ورب روية وارتجال،قدم على هذه البلاد،وقد نبا به وطنه،وضاق ببعض الحوادث عطنه،فتلوم بها تلوم النسيم بين الخمائل،وحلّ بها محل الطيف من الوشاح الجائل،ولبث مدة إقامته تحت جراية واسعة،ومبرة يانعة،ثم آثر قطره،فولى وجهه شطره،واستقبله دهره بالإنابة،وقلده خُطة الكتابة،واستقامت حاله،وحطت رحاله،وله

(١)المصدر السابق،مج:٢٠،ص:٥٦٣ .

شعر أنيق،وتصوف وتحقيق،ورحلته إلى الحجاز سببها في الخبر وثيق،ونسبتها في الصالحات عريق[1].

وبالنسبة إلى وفاته فقد نقل ابن الخطيب ما ذكره شيخه أبو بكر حينما أشار على لسانه إلى أنه في عام أربعين،وسبعمائة توفي بتونس صاحبنا الحاج الفاضل المتصوف الكاتب أبو عبد الله محمد بن علي المليكشي الشهير بابن عمر،صدر في الطلبة والكتاب،شهير ذو تواضع،وإيثار،وقبول حسن.

١٩-محمد بن علي بن الحسن بن راجح الحسني

ومحمد بن علي بن الحسن بن راجح الحسني هو كذلك من تونسويكنى بأبي عبد الله ،وحينما تطرق ابن الخطيب لحاله وصفه بالرجل الفاضل،صاحب الرواء والأبهة،مطفف في مكيال الإطراء،جموح في إيجاب الحقوق،مترام إلى أقصى آماد التوغل،سخي اللسان بالثناء ثرثاره،فكه مطبوع حسن الخلق[2]،وقد كانت وفاته يوم الخميس الثالث لشعبان عام خمسة وستين وسبعمائة،وقد ناهز السبعين سنة،ودفن بالروضة بباب إلبيرة.

ومن بين الذين ترجم لهم ابن الخطيب في هذا المجلد نذكر:محمد بن أحمد بن محمد الأشعري،ومحمد بن فتح بن علي الأنصاري،ومحمد بن أحمد بن علي بن الزيات الكلاعي،ومحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف بن محمد بن عامر بن سعد الخير بن عياش(ابن الحاج البلفيقي)،ومحمد بن عبد الله بن منظور القيسي،ومحمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني(ابن عسكر)،ومحمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن سعد الأشعري المالقي،ومحمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم بن علي الغساني البرجي الغرناطي.

---

(١)المصدر السابق،مج:٠٢،ص:٥٦٤ .

(٢)المصدر السابق،مج:٠٢،ص:٥٧١ .

٢٠-محمد بن علي بن عمر العبدري

وكان آخر من ترجم له في المجلد الثاني محمد بن علي بن عمر العبدري،وهومن أهل تونس،شاطبي الأصل،ويكنى أبا عبد الله،ووصف حاله بأنه كان فاضلاً من أبناء النعم،وأخلاف العافية،وقد ولي أبوه الحجابة بتونس عن سلطانها برهة،ثم عدا عليه الدهر،واضطر ولده هذا إلى اللحاق بالمشرق،وحج،وآب إلى البلاد،وكان ظريف النزعة،حلو الضريبة،كثير الانطباع،يكتب،ويشعر،ويكلف بالأدب.

و اقتبس ابن الخطيب ما جرى ذكره به في«الإكليل»،حيث وُصف بأنه غذي نعمة هامية،وقريع رتبة سامية،صرفت إلى سلفه الوجوه،ولم يبق بإفريقية إلا من يخافه،ويرجوه،وبلغ هو مدة ذلك الشرف الغاية من الترف،ثم قلب الظهر له ظهر المجن،واشتد به الخمار عند فراغ الدن... [1]، كما انتقى ابن الخطيب نماذج من أشعاره الجيدة.

والحق أن التراجم التي حواها المجلد الثاني من كتاب«الإحاطة»تميط الثام عن جملة من التفاصيل،والقضايا،والحقائق الأدبية،والتاريخية،التي تحمل جملة من الدلالات،والأبعاد،وتكتسي أهمية بالغة،فضلاً عما حواه هذا المجلد من نماذج مختارة لمقطوعات شعرية،ونثرية،ورسائل هامة التي دبجها ابن الخطيب بلسان سلطانه،وجملة من الرسائل التي أرسلت إليه،و من بين الرسائل،والقطع النثرية التي وردت في المجلد الثاني :

-رسالة في مناقب الحلم والكظم من مآزق الجهاد الأكبر لابن الخطيب.

-رسالة في مخاطبة الجمهور في باب التحريض على الجهاد صادرة عن السلطان الغني بالله،بقلم ابن الخطيب،وهي المعروفة ب«حمل الجمهور على السنن المشهور».

---

(١) المصدر السابق،مج:٠٢،ص:٥٧٨ .

-رسالة عن السلطان الغني بالله بقلم ابن الخطيب في شرح أحداث الثورة التي أطاحت بملك الغني بالله،وتمكنه بعد ذلك من استرداد ملكه.

-رسالة بقلم ابن الخطيب في الحث على الجهاد بمناسبة محاولة استرداد ثغر الجزيرة الخضراء.

-ما نُقش على قبر السلطان محمد بن الأحمر الكبير(محمد بن يوسف بن نصر)نثراً،ونظماً.

- رسالة المعتمد بن عباد إلى ولده الرشيد عقب موقعة الزلاقة.

-رسالة لأبي البركات بن الحجاج إلى ابن الخطيب عن كتبه،وأحواله.

-رسالة إلى ابن الخطيب عن تقلده رئاسة ديوان الإنشاء.

-رسالة من ابن الخطيب إلى قاشي الجماعة محمد الفشتالي.

-رسالة الفشتالي في الرد على ابن الخطيب.

-رسالة ابن الخطيب إلى السلطان أبي عنان في طلب الشفاعة في شأن قاضي الجماعة أبي عبد الله المقري الكبير.

-قطعة في الحكم لابن جبير.

-رسالة من ابن شبرين إلى الحكم بن مسعود شاهد المواريث يداعبه فيها.

-رسالة من ابن الخطيب إلى أبي بكر بن الحكيم.

-رسالة من ابن زمرك إلى ابن الخطيب.

-رسالة من محمد بن أحمد الإستجي الحميري إلى أبي الوليد إسماعيل بن قترى الإيادي يمنحه فيها إجازته العلمية.

-رسالة ابن الجنان في الرد على أبي المطرف بن عميرة حين عتب عليه أن جعل الحاء المهملة قاعدة السجع في وثيقة البيعة الخاصة بالواثق بن هود.

-رسالة أدبية لمحمد بن داود الحميري تتخللعها بعض المقطوعات الشعرية.

-رسالة طويلة لأبي عبد الله بن أبي الخصال موجهة إلى أبي بكر بن عبد العزيز والي بلنسية.

-نص المرسوم الصادر من محمد بن الأحمر الكبير بالجرايات اللازمة لابن مهيب اللخمي.

-رسالة لمحمد بن عبد الله بن داود الغافقي يتحدث فيها عن زيارته لإشبيلية النصرانية إلى صديقين من مرسية.

-رسالة لأبي عبد الله بن الحكيم اللخمي على لسان السلطان محمد بن محمد ابن الأحمر(الفقيه)عن منازلة قيجاطة،وفتحها سنة:٦٩٥هـــــــ.

-قطعة من رسالة أبي عبد الله بن عياش التجيبي البرشاني في وصف نزول الخليفة الناصر الموحدي على ثغر المهدية،واسترجاعه من أيدي الملثمين.

-مقامة لابن قزمان الزهري الكبير في استهلال رمضان.

-نص كتاب البيعة بولاية العهد الذي أصدره أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لولده علي بن يوسف من إنشاء كاتبه أبي بكر بن القصيرة.

-مقامة خيالية مغربة لابن خميس الحجري،ملحقة بقصيدته«عجباً أيذوق طعم وصالها»أوردها ابن الخطيب ليدلل على أن نظم ابن خميس يشف على نثره.

الفصل الرابع

التاريخي والأدبي

في المجلد الثالث من كتاب الإحاطة

يتميز المجلد الثالث من كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة)عن سابقيه بكون تراجمه تتسم بالإيجاز،حيث نلاحظ أن أغلبها جاءت مقتضبة،وموجزة،وهذا ما أشار إليه المحقق الأستاذ محمد عبد الله عنان في المقدمة بقوله:«يختلف هذا المجلد الثالث من(الإحاطة)عن سابقيه في عدة أمور أولها توخي الإيجاز في كثير من التراجم.ويبدو ذلك من مقارنة عدد التراجم التي يحتويها هذا المجلد،بما يحتويه منها كل من المجلدين الأول والثاني.فبينما يحتوي المجلد الأول على ست وتسعين ترجمة،ويحتوي المجلد الثاني على اثنين وثمانين ترجمة،إذا بالمجلد الثالث يحتوي على مائة وأربع وتسعين ترجمة.وفي اعتقادنا أن ذلك يرجع بالأخص إلى سببين،الأول توخي ابن الخطيب الإيجاز في كثير من التراجم الملوكية،والخلافية الأندلسية،مثل تراجم عبد الرحمن بن معاوية(الداخل)،والمطرف بن عبد الله بن محمد،وعبد الرحمن الناصر،والخليفة المرتضى بالله وغيرهم،وذلك لأنه تناول أخبارهم مفصلة في كتابه(إعمال الأعلام).هذا بينما يفيض ابن الخطيب إفاضة ظاهرة في المجلدين الأول والثاني في تراجم سلاطين الدولة النصرية،ولاسيما سلطانه محمد الغني بالله الذي تشغل ترجمته،وما يتبعها من رسائل ثمانين صفحة من المجلد الثاني.

والسبب الثاني هو تصرف ناسخ مخطوط المكتبة الزيدانية،بالاختصار المخل في كثير من تراجم النصف الثاني من هذا المخطوط،وحذفه معظم أبواب(المشيخة)،ومعظم القصائد،والرسائل النثرية الملحقة بكثير من التراجم،أو الاقتصار على اليسير منها»[1].

وقد اعتمد المحقق في مراجعته لهذا المجلد الثالث على أصلين مخطوطين:

---

(١)ابن الخطيب:الإحاطة في أخبار غرناطة،مج: ٣،المقدمة،ص:٤.

الأول:مخطـــوط(المكتبـــة الزيدانيـــة)،المحفـــوظ بمكتبـــة ديـــر ســـان لـــورنزو بالإسكوريال،برقم:١٦٨٨الغزيري،ورقم:١٦٧٣ديرنبور.

الثاني:مخطوط جامع الزيتونة بتونس،المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية التونسية،الجزآن الثاني والثالث،ويحملان رقمي:٨١٣٥و٨١٣٦.

و بالإضافة إلى هذين الأصـلين المخطوطين،اعتمـد الباحـث محمـد عبـد الله عنـان في مراجعته،وتحقيقه على مجموعة من المراجع،والموسـوعات الأدبية،والتاريخيـة،مثل: (نفـح الطيـب)،و(أزهـار الريـاض)للمقـري،و(الـذيل والتكملـة)للقاضـي ابـن عبـد الملـك المراكشي،و(صلة الصلة)لأبي جعفر بن الزبير،و(جذوة الاقتباس)لابن القاضـي،وغيرها من المصادر الأخرى[1].

أولاً:محتوى المجلد الثالث:

يبدأ المجلد الثالث من«الإحاطة»بترجمة محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي،وهو من أهل سبتة،وقد استقصى ابـن الخطيـب أخباره،ووصـفه بأنـه مـن أهـل الظرف،والبراعة،والطبع المعين،والذكاء،رئيس سبتة،وابن رؤسائها،وقد يمم وجهه شـطر غرناطة بعد خلعه،وانصرافه عن بلده،تحت رعي حسن الروا،مألفاً للظرفاء،واشـتهر بهـا أدبه،ونظّر في الطب،ودون فيه،كما برع كذلك في التوشيح.

وقد جرى ذكره في«الإكليل»بأنه فرع تأود من الرئاسة في دوحـة،وتردد بـين غـدوة في المجد وروحة،نشأ والرئاسة العزفية،تعلة وتنهلة،والدهر يسير أمله الأقصى،ويسهله حتـى اتسقت أسباب سعده،وانتهت إليه رئاسة سلفه مـن بعـده.فألقـت إليـه رحالها،وحطـت ومتعته بقربها بعدما شطت.ثم كلح له الـدهر بعـدما تبسـم،وعاد زعزعاً،واسـتقر بهـذه البلاد[2].

وقد أورد ابن الخطيب نماذج من شعره.

---

(١) المصدر السابق،مج: ٣،ص:٣.

(٢) المصدر السابق،مج: ٣،ص:١١ وما بعدها.

وبعده تحدث عن محمد المكودي،فذكر أنه من أهل فاس،ويكنى بأبي عبد الله،وهو وفق ما وصف في«الإكليل»شاعر لا يتعاطى ميدانه،«ومرعى بيان،ورف عضله،وأينع سعدانه،يدعو الكلام فيهطع لداعيه،ويسعى في اجتلاب المعاني فتنجح مساعيه،غير أنه أفرط في الإنهماك،وهوى إلى السمكة من أوج السماك.وقدم على هذه البلاد مُفلتاً من رهق تلمسان حين الحصار،صفر اليمين،واليسار من اليسار،ملئ هوى أنحى على طريفه،وتلاده،وأخرجه من بلاده،ولما جدّ به البين،وحلّ هذه البلاد بحال تقبحها العين،والسيف بهزته لا بحسن بزتة،دعوته إلى مجلس أعاره البدر هالته،وخلع عليه الأصيل غلالته،وروض تفتح كمامه،وهما عليه غمامه،وكأس أنس تدور،فتتلقى نجومها البدور.فلما ذهبت المؤانسة بخجله،وتذكر هواه،ويوم نواه،حتى خفنا حلول أجله،جذبنا للمؤانسة زمامه،واستقينا منها غمامه،فأمتع وأحسب،ونظر ونسب،وتكلم في المسائل،وحضر بطُرف الأبيات،وعيون الرسائل،حتى نشر الصباح رايته،وأطلع النهار آيته.

ومما أنشدنا ونسب لنفسه:

غَرامِي فِيك جَلَّ عَنِ القِياسِ	وَقد أَسقَيتَنِيهِ بِكُلِ كَأسِ
ولَا أَنسى هَواكَ ولَوْ جَفَانِي	عَلَيْك أقَارِبي طُرا ونَاس
و لا أَدرِي لنفْسِي من كَمالٍ سِوى	أني لعَهدِكَ غيرُ نَاس»[1].

(١) المصدر السابق،مج: ٣،ص:١٧ -١٨.

ثانياً: موجز ترجمة طائفة من الشخصيات التاريخية والأدبية في المجلد الثالث

تحت عنوان: (المقرئون والعلماء- الأصليون منهم) قدم ابن الخطيب ترجمات مستفيضة لعدد من العلماء،والشعراء في مقدمتهم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزي الكلبي.

١-محمد بن أحمد بن يوسف بن جُزي الكلبي

وهو من أهل غرناطة،وكان على طريقة مثلى من العكوف على العلم،والاقتصاد على الاقتيات من حُر النشب،والاشتغال بالنظر،والتقييد والتدوين، فقيهاً حافظاً قائماً على التدريس مشاركاً في فنون من العربية،والفقه،والأصول،والقراءات،والحديث،والأدب،حفظة للتفسير مستوعباً للأقوال،جمّاعة للكتب،ملوكي الخزانة،حسن المجلس،ممتع المحاضرة،قريب الغور،صحيح الباطن،تقدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنه،فاتفق على فضله،وجرى على سنن أصالته.

وتحدث ابن الخطيب عن مشيخته فقد قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير،وأخذ عنه العربية والفقه،والحديث،والقرآن،كما قرأ على الأستاذ المقرئ الراوية المكثر أبي عبد الله بن الكماد[1].

وأشار ابن الخطيب إلى بعض تآليفه،ومنها كتاب: (وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم)،وكتاب (الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار)،وكتاب (القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية)،و(التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والنبلية)،وكتاب (تقريب الوصول إلى علم الأصول)،وكتاب(النور المبين في قواعد عقائد الدين)،وكتاب(المختصر البارع في قراءة نافع)،وكتاب(أصول القراء الستة غير

(١) المصدر السابق،مج: ٣،ص: ٢١.

نـــافع)،وكتـــاب(الفوائـــد العامـــة في لحـــن العامـــة)،وغيرهـــا مـــن التـــآليف في التفسير،والقراءات،كما ان له فهرسة كبيرة اشتملت على جملة من أهل المشرق والمغرب.

وقدم ابن الخطيب نماذج من أشعاره،وقد فُقـد،وهو يشـحذ الناس،ويحرضـهم،ويثبت بصائرهم،يوم الكائنة بطريف،ضحوة يوم الإثنين السابع لجمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعمائة.

وتوقف بعده مع سيرة كل من محمد بن محمد بن أحمد بن فتوح بن شـقرال اللخمي،ومحمـد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذي النون التغلبي،ومحمد بـن محمـد بـن محمـد بـن بيـبش العبدري،ومحمد بن محمد النّمري الضرير،ومحمد بن عبد الولي الرعيني.

٢-محمد بن أحمد بن علي الخولاني

وأما محمد بن أحمد بن علي الخـولاني الـذي ذكـر في ترجمتـه أنـه أسـتاذ الجماعـة،وعلم الصناعة،وسيبويه العصر،وآخر الطبقة من أهل هـذا الفن،وركـز علـى أخلاقه،وخلالـه الفاضلة،وأشـاد بهـا فـذكر أنـه كـان «فاضلاً،تقياً،منقبضـاً،عاكفاً علـى العلم،ملازمـاً للتدريس،إمام الأئمة مـن غـير مـدافع،مبرزاً أمـام أعـلام البصـريين مـن النحاة،منتشـر الذكر،بعيد الصيت،عظيم الشهرة،مستبحر الحفظ،يتفجر بالعربية تفجر البحر،ويسترسـل استريال القطر،قد خالطت دمه ولحمه لا يشكل عليه منها مُشكل،ولا يعوزه توجيـه،ولا تشذ عنه حجة،جدد بالأندلس ما كان قد درس من لسـان العـرب،من لـدن وفـاة علـي الشـلوبين،مقيم السـوق علـى عهـده،وكانت لـه مشـاركة في غـير صـناعة العربيـة مـن قراءات،وفقه،وعروض،وتفسير،وتقدم خطيباً بالجامع الأعظم،وقعد للتـدريس بالمدرسـة النصرية،وقل في الأندلس من لم يأخذ عنه من الطلبة.واستعمل في السفارة إلى العدوة مع مثلـــه مـــن الفقهاء،فكانـــت لـــه حيـــث حـــل الشـــهرة،وعليه الازدحـــام والغاشية،وخرّج،ودرب،وأقرأ،وأجاز،لا يأخـذ علـى ذلـك أجراً،وخصوصـاً فيمـا دون البدايـــة،إلا الجرايـــة المعروفة،مقتصـــداً في أحوالـــه،وقوراً،مفرط الطول،نحيفاً،ســـريع

الخطو،قليـل الالتفـات والتعريج،متوسـط الزي،متبـذلاً في معالجـة مـا يتملكـه بخـارج البلد،قليل الدهاء،والتصنع،غريب النزعة،جامعاً بين الحرص والقناعة»[1].

وقد قرأ بسبتة على يد الشيخ الإمام أبي إسحق الغـافقي،ولا زمـه لمـدة طويلة،وأخـذ عنه،إضافة إلى الإمام الصالح أبي عبد الله بـن حُريـث،والمقرئ الشـريف الفاضـل أبـي العباس الحسني،وكانت وفاته بغرناطة ليلة الإثنين الثـاني عشـر مـن رجـب عـام أربعـة وخمسين وسبعمائة.

كما عرض ابن الخطيب جملة من الحقائق التي تتصل بالعديد من الشخصيات،وتقصى أخبــار مجموعــة مــن العلماء،ووصــف أحــوالهم،وتعرض لتصــانيفهم ممــن لــديهم مؤلفات،وذكر محنهم ممن تعرضوا لمحن،ومن بـين الشخصـيات الـتي تـرجم لهـا في المجلـد الثالث نذكر:

٣-محمد بن علي البلنسي:

ذكـر حاله،وأشـار إلى أنـه طالـب هش،حسـن اللقـاء،عفيف النشـأة،مكب علـى العلم،حريص على استفادته،مع زمانة أصـابت يمنـى يديـه،كما وصـفه بأنـه قـائم علـى العربية،والبيان،وحافظ متقن على نزعة عربية.

وقد انتفـع بشـيخ الجماعـة أبـي عبـد الله بـن الفخار،ولازمـه،وألف كتابـاً في تفسـير القرآن،متعدد الأسفار،واستدرك على السهيلي في أعلام القرآن كتاباً نبيلاً رفعه على يدي السلطان[2].

٤-محمد بن سعد بن محمد بن لُب بن حسن بن حسن بـن عبـد الـرحمن بـن بقي:

تطرق في البدء لأوليته،ووصف حاله مؤكداً على أنه رجل فاضل،حسن الخلق،جميـل العشـرة،كريم الصـحبة،مبذول المشـاركة،معروف الـذكاء والعفة،مبسـوط الكنـف مـع الانقباض،فكـه مـع الحشـمة، تسـع الطوائـف أكنـاف خلقـه،ويعم المتضـادين رحـب

(١)المصدر السابق،مج: ٣،ص:٣٥ -٣٦.

ذرعه،طالب محصل،حصيف العقل،حسن المشاركة في فنون من فقه،وقراءات،ونحو،وغير ذلك.وقد تكلك للناس بجامع الربض ثم بمسجد البكري،فانثال عليه المتعلم،والمستفيد،والسامع لإجادة بيانه،وحسن تفهيمه.

وفيما يتصل بمشيخته فقد ذكر ابن الخطيب أنه قرأ القرآن بجرف نافع على أبيه،وعلى الشيخ الخطيب المكتب أبي عبد الله بن طرفة،والخطيب أبي عبد الله بن عامور،وقرأ العربية على إمام الجماعة الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار،وجود عليه القرآن بالقراءات السبع،وقرأ على الأستاذ أبي سعيد بن لب(١).

٥-محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي:

أثنى عليه ابن الخطيب ثناء كبيراً،وأشار إلى أنه من أهل غرناطة،ويكني بأبي حيان،ويلقب من الألقاب المشرقية بأثير الدين،وقد كان نسيج وحده في ثقوب الذهن،وصحة الإدراك والحفظ،والاضطلاع بعلم العربية،والتفسير،وطريق الرواية،وذهب ابن الخطيب إلى القول أنه إمام النحاة في زمانه غير مدافع،كانت نشأته ببلدة غرناطة،مشاراً إليه في التبريز بميدان الإدراك،وتغيير السوابق في مضمار التحصيل،ونالته نُبُوة لحق بسببها بالمشرق،واستقر بمصر،فنال ما شاء من عز وشهرة،وتأثل وبر و حظوة،وأضحى لمن حل بساحته من المغاربة ملجأ وعدة،وكان شديد البسط مهيباً،جهورياً مع الدعابة والغزل،وطرح السمت،شاعراً مُكثراً،مليح الحديث،لا يُمل وإن طال،وأسن جداً،وانتفع به(٢).

وذكر طائفة من مشائخه حينما تحدث عن مشيخته نذكر من بينهم:بن الزبير،وعلي بن جعفر الرعيني الطباع،والخطيب الصالح ولي الله أبي الحسن فضل بن محمد بن علي بن إبراهيم بن فضيلة المعافري،كما روى عن القاضي المحدث أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص الفهري،والكتب أبي سهل اليسر بن عبد الله بن محمد بن خلف

(١) المصدر السابق،مج: ٣،ص:٤٠.

(٢) المصدر السابق،مج: ٣،ص:٤٣،وما بعدها.

بن اليسر القشيري،والأستاذ أبي الحسن بن الصائغ،والأديب الكاتب أبي محمد عبد الله بن هارون الطائي بتونس،وعلى المسند صفي الدين أبي محمد عبد الوهاب بن حسن بن إسماعيل بن مظفر بن الفرات الحسني بالإسكندرية،والمسند الأصولي وجيه الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران الأنصاري بالثغر،والمحدث نجيب الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمذاني بالقاهرة،وغيرهم من كبار العلماء.

أما تواليفه فقد ذكر أنها كثيرة منها شرحه كتاب«تسهيل الفوائد»لابن مالك،وكتاب في تفسير الكتاب العزيز أسماه«البحر المحيط»،كما ألف كتاباً في نحو اللسان التركي.

٦-محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغساني:

أشار ابن الخطيب في حديثه عن حاله إلى فضله،وعلمه،ودينه،وأثنى عليه،ووصف سيرته بأنه طلق الوجه،وحسن السير،وكثير الحياء،لاتلقاه إلا مبتسماً في حسن سمت،وفضل هوى،وجميل وقار،وهو كثير الخشوع،وكان له تحقق بضبط القراءات،والقيام عليها،والعناية بعلم العربية،إضافة إلى مشاركته في الفنون السنية،والعلوم الدينية،وقد انتصب للإقراء والتفسير،وكان رجلاً صالحاً مبارك النية،حسن التعليم،وقد تخرج على يديه جمع وافر من الطلبة،وأخذ عمن لقي من العلماء،وأقام مدة بسبتة مكباً على قراءة القرآن الكريم والعربية،وبعد العودة من تجواله لزم التصدر للإقراء[1].

وقد ذكر أنه أخذ العربية عن الشيخ أبي الحسن بن أبي العيش،وبغرناطة عن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير،والعدل أبي الحسن بن مستقور،وببلش عن الأستاذ أبي عبد الله بن الكماد،والخطيب أبي جعفر بن الزيات،وبمالقة عن الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار،والشيخ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري،وبالجزيرة عن خطيبها أبي العباس بن خميس،وبسبتة عن الأستاذ أبي إسحق الغافقي،والخطيب أبي عبد الله بن

---

(١) المصدر السابق،مج: ٣،ص:٩٦.

رُشيد،والإمام الصالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن حريث،والقاضي أبي عبد الله القرطبي،والزاهد أبي عبد الله بن معلى،والشيخ الخطيب أبو عبد الله الغماري.وبمكناسة عن القاضي وارياش،وبفاس من الحاج الخطيب،والأستاذ أبي عبد الله بن أجروم الصنهاجي،والحاج أبي القاسم بن رجا بن محمد بن علي،وغيرهم[1].

٧-محمد بن علي بن محمد العبدري:

وصفه بملاحة الشكل،وحسن الشيبة،وذكر أنه من أهل مالقة،ويكنى بأبي عبد الله،ويعرف باليتيم،كان رشيق النظم والنثر،غزلا مع الصون،كثير الدعابة من غير إفحاش،غزير الأدب،حسن الصوت،رائق الخط،معسول الألفاظ،ممتع المجالسة،طيب العشرة،أدب الصبيان مدة،وعقد الشروط أخرى،وكان يقرأ كتب الحديث،والتفسير،والرقائق للعامة بالمسجد الأعظم بأعذب نغمة،وأمثل طريقة،مذ أزيد من ثلاثين سنة لم يخل منها وقتاً إلا ليليتن.

ومما وصف به في«التاج المحلى»أنه بلغ الغاية في الوقار والترتيب،وللشباب لم ينصل خضابه،ولا شلت للشيب عضابه،ونفسه بالمحاسن كلفة،وشأنه كله هوى،ومحبة[2].

٨-محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري:

أسهب ابن الخطيب في ترجمته له،وتتبع مسيرته،وتوقف في الأخير مع محنته،فهو السبتي الدار،والغرناطي الاستيطان،والمعروف بالتلمساني،وصفه ابن الخطيب أدق وصف من شتى الجوانب،وجاء في رصده لحاله أنه«طرف في الخير والسلامة،معرق في بيت الصون والفضيلة،معم مخول في العدالة،قديم الطلب والاستعمال،معروف الحق،مليح البسط،حلو الفكاهة،خفيف إلى هيعة الدعابة،على سمت ووقار،عزل،لوذعي،مع

---

(١)المصدر السابق،مج: ٣،ص:٩٧.

(٢)المصدر السابق،مج: ٣،ص:٩٨.

استرجاع وامتساك،مترف،عريق في الحضارة،مؤثر للراحة،قليل التجلد،نافر عن الكد،متصل الاستعمال،عريض السعادة في باب الولاية،محمول على كتد المبرة،جار على سنن شيوخ الطلبة،والمقتاتين من الأرزاق القذرة،أولي الخصوصية والضبط،من التظاهر بالجاه على الكفاية.قدم على الأندلس ثمانية عشر وسبعمائة،فمهد كنف القبول والاستعمال،فولي الحسبة بغرناطة،ثم قلد تنفيذ الأرزاق،وهي الخطة الشرعية،والولاية المجدية،فاتصلت بها ولايته.وناب عني في الغرض والجواب بمجلس السلطان،حميدُ المنأى في ذلك كله،يقوم على كتاب الله حفظاً وتجويداً،طيب النغمة،راوياً محدثاً،إخبارياً،مرتاحاً للأدب،ضارباً فيه بسهم،يقوم على كتب السيرة النبوية،فذاً في ذلك.قرأه بالمسجد الجامع للجمهور عند لحاقه بغرناطة،معرباً به عن نفسه،منبهاً على مكانه،فزعموا أن رجلاً فاضت نفسه،وجداً لشجو نغمته ،وحسن إلقائه،وقرأ التراويح بمسجد قصر السلطان إماماً به،واتسم بمجلسه بالسلامة والخير،فلم تؤثر عنه في أحد وقيعة،ولابدرت له في الحمل على أحد بنت شفة»[1].

ومن المشائخ الذين ذكرهم ابن الخطيب،واستفاد منهم محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري والده،والأمير الصالح أبو حاتم أحمد بن الأمير أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد العزفي،والمقري أبو القاسم بن الطيب،وإمام الفريضة أبو عبد الله محمد بن محمد بن حُريث،والوزير العابد أبو القاسم محمد بن محمد بن سهل بن مالك،والأستاذ الحسابي أبو إسحق البرغواطي،والقاضي الأعدل أبو عبد الله بن برطال،والكاتب الناسك أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري،والأستاذ المعمر أبو عبد الله بن الخضار،والخطيب المحدث أبو عبد الله بن رشيد،والخطيب الأديب أبو عبد الله الغماري،والشيخ الأديب أبو الحكم مالك بن المرحل،والخطيب أبو الحسن فضل بن فضيلة،والأستاذ الخاتمة أبو جعفر بن الزبير،والوزير المعمر أبو محمد بن سماك،والشيخ

---

(١) المصدر السابق،مج: ٣،ص: ٢٠٠ -٢٠١.

الصالح أبي محمد الحلاسي،والقاضي أبو العباس بن الغماز،والشيخ أبو القاسم الحضري اللبيدي،وقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد،وغيرهم.

وقد نالته المحنة بجري الأمور الاشتغالية،وتبعاتها،وقد ولد عام ستة وسبعين وستمائة،وتوفي في شهر محرم من أربعة وستين وسبعمائة.

٩-محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري:

افتتح ابن الخطيب حديثه عنه باقتباس بعض ما جاء في«عائد الصلة»بأنه المثل السائر في عمران أوقاته كلها بالعبادة،وصبره على المجاهدة،وقد قطع عمره في التبتل والتهجد لا يفتر لسانه عن ذكر الله،والصلاة على نبيه،صلى الله عليه وسلم.

وقد أقام عمره مستوعباً ضروب الخير،وأنواع القرب من صون،وأذان،وذكر،ونسخ وقراءة،وملازمة خلوة،ذا حظ من الفصاحة،وجرأة على الوعظ،وذكر أنه ولي الخطابة بالمسجد الجامع من بلده،ونُقل إلى الخطابة بجامع غرناطة في نبوة عرضت له بسبب ذنابي ذرية طرقوا الكدر إلى سربه،ثم عاد إلى بلده متين ظهر الحظوة،وثيق أساس المبرة.

وقد قرأ ببلدة مالقة على الخطيب أبي محمد بن عبد العظيم بن الشيخ،وأبي عبد الله بن لُب،وأبي جعفر الحرار،وأبي عبد الله بن الحلو،والخطيب أبي عبد الله بن الأعور.

وتطرق ابن الخطيب لمحنته فأشار إلى أنه ابتلي بعد السبعين من عمره بفقد بصره، فظهر منه من الصبر،والشكر،والرضاء بقضاء الله ما يظهر من مثله.

كما تطرق ابن الخطيب لشهرته،فذكر أن الله جعل له في قلوب كثير من الخلق الملوك فمن دونهم من تعظيمه،ما لاشيء فوقه،واستشهد بما كتبه الشيخ المعمر الحجة(أبو علي ناصر الدين الوشدالي)حينما كتب إليه من بجاية.

وأبدى ابن الخطيب رأيه في شعره فذكر أنه شعر منحط لا يصلح للكتب،ولا للرواية،وقد ألف كتاباً سماه«إعلان الحجة في بيان رسوم المحجة»،وقد توفي يوم الجمعة الرابع والعشرين لشوال عام خمسة وثلاثين وسبعمائة،وكانت جنازته مشهودة تزاحم

الناس على نعشه،وتناولوه تمزيقاً على عادتهم من ارتكاب القحة الباردة في مسلاخ حُسن الظن[1].

١٠- موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان:

وهو الأمير التلمساني المشهور المعروف بأبي حمو الزياني،وقد أكد ابن الخطيب في حديثه عن حاله على الإجماع على حزمه،ونجاحه في ضم أطراف ملكه،واضطلاعه بأعباء ملك وطنه،وصبره لدولة قومه،وطلوعه بسعادة قبيله.

وقد ركز ابن الخطيب في ترجمته له على أخلاقه،وذكر أنه عاقل، حازم،حصيف،ثابت الجأش،وقور مهيب،جماعة للمال،مباشر للأمور،هاجر للذات،يقظ،متشمر.

وحينما تطرق ابن الخطيب إلى أدبه،وشعره اقتبس ما جاء في كتابه:«واسطة السلوك في سياسة الملوك»،وكانت ولادته بمدينة غرناطة في أول عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة[2].

١١-محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي (ابن بطوطة)

قدم ابن الخطيب ترجمة موجزة للرحالة الشهير ابن بطوطة اقتصر فيها على ذكر حاله،حيث جاء فيها:«من خط شيخنا أبي البركات،قال هذا رجل لديه مشاركة يسيرة في الطلب،رحل من بلاده إلى بلاد المشرق يوم الخميس الثاني من رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة،فدخل بلاد مصر،والشام،والعراق،وعراق العجم،وبلاد الهند،والسند،والصين،وبلاد اليمن.

وحج عام ستة وعشرين وسبعمائة.ولقي من الملوك والمشائخ عالماً،وجاور بمكة.واستقر عند ملك الهند،فحظي لديه،وولاه القضاء،وأفاده مالاً جسيماً.وكانت رحلته

(١)المصدر السابق،مج: ٣،ص:٢٤٠-٢٤١.

(٢) المصدر السابق،مج: ٣،ص:٢٨٧.

على رسم الصوفية زياً وسجية،ثم قفل إلى بلاد المغرب،ودخل جزيرة الأندلس،فحكى بها أحوال المشرق،ما استفاد من أهله،فكُذب،وقال لقيته بغرناطة،وبتنا معه ببستان أبي القاسم بن عاصم بقرية نبلة،وحدثنا في تلك الليلة،وفي اليوم قبلها عن البلاد المشرقية،وغيرها،فأخبر أنه دخل الكنيسة العُظمى بالقسطنطينية العظمى،وهي على قدر مدينة مسقفة كلها،وفيها اثني عشر ألف أسقف،قلت،وأحاديثه في الغرابة أبعد من هذا.وانتقل إلى العدوة،فدخل بلاد السودان،ثم تعرف أن ملك المغرب استدعاه،فلحق ببابه،وأمر بتدوين رحلته»[1].

١٢-مالك بن عبد الرحمن بن الفرج بن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرج

أما مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرج بن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرج فقد ذكر في الترجمة التي عقدها عنه ما جاء في قول الأستاذ أبو جعفر بن الزبير الذي أحاط إحاطة شاملة به،فقد جاء في شهادته عنه أنه«شاعر رقيق مطبوع،متقدم،سريع البديهة،رشيق الأغراض،ذاكر للأدب واللغة،تحرف مدة بصناعة التوثيق ببلده،وولي القضاء مرات بجهات غرناطة وغيرها.وكان حسن الكتابة إذا طتب،والشعر أغلب عليه،وذكره ابن خلاد،وابن عبد الملك.فأما ابن عبد الملك فلم يستوف له ما استوفى لغيره.وأما ابن خلاد فقصر به،إذ قال كانت نشأته بمالقة بلده،وقرارة مولده في ناسها،ووسط أجناسها،لم يتميز بحسب،ولم يتقدم في ميدان نسب،وإنما أنهضه أدبه،وشعره،وعوضه بالظهور من الخمول نظمه،ونثره،فطلع في جبين زمانه غرة مُنيرة،ونصع في سلك فصحاء أوانه درة خطيرة،وحاز من جيله رتبة التقديم،وامتاز في رعيله بإدراك كل معنى وسيم،والإنصاف فيه ما ثبت لي في بعض التقييدات،وهو الشيخ المبين المعمر الفقيه شاعر المغرب،وأديب صُقعه،وحامل الراية،المعلم بالشهرة،المثل في الإكثار،الجامع بين سهولة اللفظ،وسلاسة المعنى،وإفادة التوليد،وإحكام الاختراع،وانقياد القريحة،واسترسال الطبع،والنفاذ في الأغراض،استعان على ذلك بالعلم بالمقاصد

(١)المصدر السابق،مج: ٣،ص:٢٧٣.

اللســانية،لغة وبيانــاً وعربية،وعروضــاً،وحفظاً واضــطلاعاً إلى نفــوذ الذهن،وشــدة الإدراك،وقوة العرضة،والتبريز في ميـدان اللوذعيـة، والقحـة والمجانة،المؤيـد ذلـك بخفـة الروح،وذكاء الطبع،وحرارة النادرة،وحلاوة الدعابة،يقوم على الأغربة والأخبار،ويشارك في الفقه،ويتقدم في حفظ اللغة،ويقوم على الأغربة،والأخبار،ويُشارك في الفقه،ويتقدم في حفظ اللغة،ويقوم على الفرائض،وتولى القضاء،وكتب عن الأمراء،وخدم واسترفد،وكان مقصوداً من رواة العلم والشعر،وطلاب المُلح،ومتلمسي الفوائد،لسـعة الذرع،وانفسـاح المعرفة،وعلو السن،وطيب المجالسـة،مهيباً مخطـوب السـلامة،مرهوباً علـى الأغـراض في شدقه شفرته،وناره،فلا يتعـرض لـه أحـد بنقـد،أو أشـار إلى قناتـه بغمـز،إلا ونـاط بـه آبدة،تركته في المثلات،ولذلك بخس وزنه،واقتحم حماه،وساءت بمحاسنه القالـة رحمـه الله وتجاوز عنه»[1].

ومن مشائخه بمالقة ابن عسكر،وأبو بكر عبد الرحمن بن علي بن دحمان،وأبو عمرو بن سالم،وأبو نعيم رضوان بن خالد.

وقد أشار ابن الخطيب إلى أن تآليفه كثيرة،ومتعددة،منها شعره،والذي دون منـه أنـواع من بينه مختاره الذي سماه «الجوالات»،ومنه الصدور والمطالع،وله العشريات،والنبويات على حروف المعجم،والتزام افتتاح بيوتها بحرف الروي،وسماها«الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى».وعشرياته الزهدية،وأرجوزته المسماة«سلك المنخل لمالـك بـن المرحـــل»نظـــم فيهـــا منخـــل أبـــي القاســـم بـــن المغربي،وقصـــيدة طويلـــة أسماها«الواضحة»،وأرجوزة مسـماة«اللؤلـؤ والمرجـان»،والموطـأة لمالـك،والأرجوزة في العروض،وكتابه المسمى«بالري بالحصا»[2].

وتحدث ابن الخطيب عن دخوله غرناطة،واستشهد حينما تطرق لشـعره بمـا قالـه فيـه القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك بأنه كان مُكثراً من النظم،مجيداً،سريع البديهة،مستغرق

---

(١)المصدر السابق،مج: ٣،ص:٣٠٤-٣٠٥.

(٢)المصدر السابق،مج: ٣،ص:٣٠٧.

الفكرة في قرضه، لايفتر عنه حيناً من ليل أو نهار،وقد اشتهر نظمه،وذاع شعره فكلفت بـــه ألســـنة الخاصة،والعامة،وصـــار رأس مـــال المســـتمعين،والمغنين،وهجير الصادرين،والواردين،ووسيلة المكدين،وطراز أوراد المؤذنين،وبطايقة البطالين.

أما نثره فيرى ابن الخطيب أنه قد فُضل عليه نظمه وذلك من باب الكثرة،وليس من باب الإجادة،وقد استشهد ابن الخطيب على براعته في الكتابة النثرية،وإجادته فيها بما كتبه إلى الشيخين الفقيهين الأديبين البليغين أبي بكر بن يوسف بن الفخار،وأبي القاسم خلف بن عبد العزيز الفيتوري.

وختم بذكر وفاته في التاسع عشر من رجب عـام تسعة،وتسـعين وسـتمائة،وقد دفـن بمقبرة فاس.

١٣-الأمير نصر بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد بن محمد بن خميس بـن عقيل الخزرجي الأنصاري

ولعل أهم ترجمة جاءت في قسم الملوك والأمراء ترجمته للأمير نصر بـن محمـد بـن يوسف بن نصر بن أحمد بن محمد بن خميس بن عقيل الخزرجي الأنصاري أمير المسـلمين بالأندلس بعـد أبيه،وجده،وأخيـه،يكنى أبـا الجيوش،وصـف حالـه مقتبسـاً مـا دبجـه في كتابه«طُرفة العصر في أخبار الملوك من بني نصر»،حيث جاء فيه:«كان فتـى يمـلأ العيـون حسناً،وتمام صورة،دمث الأخلاق،لين العريكـة،عفيفاً،مجبولاً علـى طلـب الهدنـة،وحب الخير،مغمد السيف،قليل الشر،نافراً للبطر،وإراقة الـدماء،محباً في العلم،وأهله،آخـذاً مـن صناعة التعديل بحظ رغيب،يخط التقاويم الصحيحة،ويصنع الآلات الطريفة بيده،اختص في ذلك الشيخ الإمـام أبـا عبـد الله بـن الرقام،وحيـد عصـره،فجاء واحـد دهـره ظرفـاً وإحكاماً،وكان حسن العهد،كثير الوفاء،حملـه الوفـاء علـى اللجـاج في وزيـره المطلـوب بعزله،على الاستهداف للخلع.

تقدم يوم خلع أخيـه،وهو يـوم عيـد الفطـر مـن عـام ثمانيـة وسبعمائة،وسـنه ثـلاث وعشرون سنة،فكان من تمام الخُلُق،وجمال الصورة،والتأنق في ملـوكي اللبـاس، آيـة مـن آيات الله خالقه،واقتدى برسوم أبيه،وأخيه،وأجرى الألقاب،والعوائد لأول دولته،وكانت

أيامه كما شاء الله أيام نحس مستمر شملت المسلمين فيها الأزمة،وأحاط بهم الذعر،كلب العدو،وكان فتى أي فتى لو ساعده الجد»[١].

وسلط ابن الخطيب الضوء على وزراء دولته،وقضاته،وكتابه،ومن كان على عهده من الملوك،وتوقف مع بعض الأحداث التي سادت في أيامه.

١- وزراء دولته:

ذكر ابن الخطيب أنه وزر له مقيم أمره،ومحكم التدربير على أخيه أبو بكر عتيق بن محمد بن المول،وأشار إلى أن بيت بني مول بقرطبة بيت له ذكر وأصالة،ولما تغلب عليها ابن هود اختفى بها أبوه أياماً عدة،ولما تملكها السلطان الغالب بالله تلك البرهة خرج إليه،وصحبه إلى غرناطة،وبذلك اتصلت قرباه بعقده على بنت للرئيس أبي جعفر المعروف بالعجلب ابن عم السلطان،واشتد عضده.ثم تأكدت القربى بعقد مول أخي هذا الوزير على بنت الرئيس أبي الوليد أخت الرئيس أبي سعيد،منجب هؤلاء الملوك الكرام،فقام بأمره،واضطلع بأعباء سلطانه،إلى أن كان من تغلب أهل الدولة عليه،وإخافة سلطانه منه،ما أوجب صرفه إلى المغرب في غرض الرسالة،وأشير عليه في طريقه بإقامته بالمغرب،فكان صرفاً حسناً. وذكر ابن الخطيب أن محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج تولى الوزارة،وهو المسير لخلعه،واجتثات أصله،وفرعه،وقد كان خباً داهية،أعلم الناس بأخبار الروم،وسيرهم،وآثارهم،فحدثت بين السلطان،وبين أهل حضرته الوحشة بسببه.

وقد أقر على خطة القضاء بحضرته قاضي أخيه الشيخ الفقية أبا جعفر القرشي المنبز بابن فركون،وكان كاتبه أبا الحسن علي بن محمد بن سليمان بن الجياب[٢].

٢- من كان على عهده من الملوك:

ركز ابن الخطيب في حديثه عن الملوك على عهده على ثلاثة أقطار(المغرب،وتلمسان،وتونس،وملوك النصارى بقشتالة).

---

(١) المصدر السابق،مج: ٣،ص:٣٣٤،وما بعدها.

(٢) المصدر السابق،مج: ٣،ص:٣٣٥.

بالمغرب كان السلطان (أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق)،بعد أن تصير الأمر إليه بعد وفاة أخيه السلطان أبي ثابت عامر بأحواز طنجة،في صفر عام ثمانية وسبع مائة،ويذكر أنه في عهد دولته عادت سبتة إلى الإيالة المرينية،ثم توفي بتازى في مستهل رجب من عام عشرة وسبعمائة،وتولى الملك بعده عم أبيه السلطان الجليل الكبير،خدن العافية،وولي السلامة،وممهد الدولة أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق.واستمرت ولايته إلى تمام أيام هذا الأمير،وكثيراً من أيام من بعده.

وفي تلمسان كان الأمير(أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن)،سلطان بني عبد الواد،الذي يصفه ابن الخطيب بمذلل الصقع،والمثل السائر في الحزم،والتيقظ،وصلابة الوجه،زعموا،وإحكام القحة،والإغراب في خبث السيرة،وقد استمرت ولايته إلى عام ثمانية عشر وسبعمائة إلى أن سطا به ولد عبد الرحمن أبو تشفين.

وبتونس كان الأمير الخليفة أبو عبد الله محمد بن الواثق يحيى بن المستنصر محمد بن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص.وبعد وفاته في ربيع الآخر عام تسع وسبع مائة. ولى الأمير قريبه الأمير أبو بكر بن عبد الرحمن بن الأمير أبي زكريا بن الأمير أبي إسحق بن الأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص، ونهض إليه من بجاية قريبه السلطان أبو البقاء خالد بن الأمير أبي زكريا بن الأمير أبي إسحق بن الأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص،فالتقيا بأرض تونس،فهُزم أبو بكر،ونجا بنفسه،فدخل بستاناً لبعض أهل الخدمة مختفياً فيه،فسُعي به إلى أبي البقاء فجيء به إليه،فأمر بعض القرابة بقتله صبراً،وتم الأمر لأبي البقاء،وكان ذلك في يوم رابع جمادى الأولى منه،إلى أن وفد الشيخ المعظم أبو يحيى زكريا الشهير باللحياني،قافلاً من بلاد المشرق،وهو كبير آل أبي حفص نسباً وقدراً،فأقام بإطرابلس،وأنفذ إلى تونس خاصته الشيخ الفقيه أبا عبد الله المردودي محارباً لأبي البقاء،وطالباً للأمر،فتم الأمر وخلع أبو البقاء تاسع جمادى الأولى عام أحد عشر وسبعمائة،وتم الأمر للشيخ أبي يحيى،واعتقل أبو البقاء،فلم يزل معتقلاً إلى أن توفي

في شوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة،ودفن المعروفة لهم بالزلاج،وقد أيام الأمير(أبو يحيى)اتصلت إلى أن انقرضت مدة الأمير(أبو الجيوش).

أما ملوك النصارى بقشتالة فمنهم هرانده بن شانجه بن ألهنشه بن هرانده بن شانجه،وقد نازل على عهده الجزيرة الخضراء ثم أقلع عنها عن ضريبة،وشروط،ثم نازل بعد ذلك في أخريات أيامه حصن القذاف،وأدركه ألم الموت بظاهره،فاحتمل من المحلة إلى جيان،وبقيت المحلة مُنيخة على الحصن،إلى أن تُملك بعد موت الطاغية بأيام ثلاثة،كتموا فيها موته،ولسبب هلاكه حكاية ظريفة تضمنتها«طُرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر»،وقد قام بعده بأمر النصرانية ولده ألنشه،واستمرت أيامه إلى عام خمسين وسبعمائة[1].

٣- بعض الأحداث في أيامه:

أشار ابن الخطيب إلى بعض الأحداث التي وقعت في أيامه،فقد نازل أول أمره طاغية قشتالة الجزيرة الخضراء في الحادي والعشرين من عام تسعة وسبعمائة،وأقام عليها إلى أخريات شعبان من العام المذكور،ثم أقلع عنها بعد ظهوره على الجبل،وفوز قداحه به.

وكذلك نازل صاحب برجلونة مدينة ألمرية غرة ربيع الأول من هذا العام،وأخذ بمخنقها،وتفرقت الظبا على الخراش،ووقعت على جيش المسلمين الناهد إليه وقيعة كبيرة،واستمرت إلى أخريات شعبان،وبعدها نفس الله الحصر،وفرج الكرب.

ويشير ابن الخطيب إلى أنه ما كاد أهل الأندلس يستنشقون ريح العافية حتى نشأ نجم الفتنة،ونشأت ريح الخلاف،واستفسد وزير الدولة ضمائر أهلها،واستهدف إلى رعيتها بإيثار النصارى،والصاغية إلى العدو،وأظهر الرئيس ابن عم الأب صاحب مالقة أبو سعيد فرج بن إسماعيل،صنو الغالب بالله ابن نصر الامتساك بما كان بيده،والدعاء لنفسه،وقدم ولده الدائل إلى طلب الملك،وثار أهل غرناطة،يوم الخامس والعشرين لرمضان من العام،وأعلن منهم من أعلن بالخلاف،ثم خانهم التدبير،وخبطوا العشواء،ونزل

---

(١) المصدر السابق،مج: ٣،ص:٣٣٧ وما بعدها.

الحشم،فلاذ الناس منهم بديارهم،وبرز السلطان إلى باب القلعة،متقدماً بالعفة عن الناس،وفر الحاسرون عن القناع،فلحقوا بالسلطان أبي الوليد بمالقة،فاستنهضوه إلى الحركة،وقصد الحضرة،فأجابهم،وتحرك،وأطاعته الحصون بطريقه،واحتل خارج غرناطة صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين لشوال منه،وقد ابتدره الناس من صائح،ومشير بثوبه،ومتطارح بنفسه،ودخل البلد من ناحية ربض البيازين،واستقر بالقصبة،وفي ظهر يوم السبت التاسع والعشرين من الشعر نزل الحمراء دار الملك،وانفصل السلطان المترجم بهم موفى له شرط عقده من انتقاله إلى وادي آش مستبداً بها،وتعيين مال مخصوص،وقد رحل ليلة الثلاثاء لذي قعدة من العام،واستمرت الحال بين حرب ومهادنة،وبسبب ذلك جرت أمور صعبة إلى حين وفاته[1].

وختم ابن الخطيب ترجمته لسيرة الأمير نصر بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد بن محمد بن خميس بن عقيل الخزرجي الأنصاري بذكر مولده،ووفاته كان مولده في رمضان عام ستة وثمانين،وست مائة،وتوفي ليلة الأربعاد سادس ذي القعدة من عام اثنين وعشرين وسبعمائة بوادي آش،ودفن بجامع القصبة منها،ثم نقل في أوائل ذي الحجة منه إلى الحضرة،فكان وصوله يوم الخميس السادس منه،وبرز إليه السلطان،والجمع الكثير من الناس،ووضع سريره بالمصلى العيدي،ودفن بمقبرة سلفه بالسبيكة.

١٤- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية أمير المؤمنين الناصر لدين الله

ومن الملوك والأمراء والأعيان والوزراء ذكر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية أمير المؤمنين الناصر لدين الله،وقد وصفه بادئ ذي بدء بالخليفة الممتع،المجدود،المظفر البعيد الذكر الشهير الصيت،ووصف حاله أدق وصف فقال: «كان أبيض،أشهل،حسن الوجه،عظيم الجسم،قصير الساقين،أول من تسمى أمير المؤمنين،ولي الخلافة،فعلا جده،وبعد صيته،وتوطأ ملكه،وكأن خلافته

---

(١) المصدر السابق،مج: ٣،ص:٣٣٩ وما بعدها.

كانت شمساً نافية للظلمات،فبايعه أجداده،وأعمامه،وأهل بيته،على حداثة السن،وجدة العمر،فجدد الخلافة،وأحيا الدعوة،وزين الملك،ووطد الدولة،وأجرى الله له من السعد ما يعظم عنه الوصف،ويجل عنه الذكر،وهيأ له استنزال الثوار،والمنافقين،واجتثاث جراثيمهم.

بنوه:أحد عشر،منهم الحكم الخليفة بعده،والنذر،وعبد الله،وعبد الجبار.

حجابه:بدر مولاه،وموسى بن حُدير.

قضاته:جملة منهم أسلم بن عبد العزيز،وأحمد بن بقي،ومنذر بن سعيد البوطي.

نقش خاتمه:عبد الرحمن بقضاء الله راض.

أمه:أم ولد تُسمى مُزنة،وبويع له في ربيع الأول من سنة تسع وتسعين ومائتين»[1].

وسرد ابن الخطيب قصة دخوله إلبيرة،وذكر أنه على عهده توفي ابن حفصون،وجرت عليه هزيمة الخندق في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة،وطال عمره،فملك نيفاً وخمسين سنة،وتوفي في أول رمضان من سنة خمسين وثلاثمائة.

١٥-نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح بن نصر بن إبرهيم بن نصر الفهري

ومن الأعيان والوزراء ذكر ابن الخطيب نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح بن نصر بن إبرهيم بن نصر الفهري،ووصف حاله بأنه نسيج وحده في الخير والعفاف،ولين العريكة،ودماثة الأخلاق،إلى بعد الهمة،وجمال الأبهة،وضخامة التجند،واستجادة المركب،والعدة،وارتباط العبادة.استعان على ذلك بالنعمة العريضة بن مُنادية إليه بميراث،ومكتسب من جراء المتغلب على الدولة صهره ابن المحروق معياشة لبنته.ونمت حال هذا الشهم النجد،وشمخت رُتبته حتى خُطب للوزارة في أخريات أيامه،وعاق عن تمام المراد به،إلحاح السقم على بدنه،وملازمة الضنا لجثمانه،فمضى لسبيله،عزيز الفقد عند الخاصة ذائع الثنا،نقي العرض،صدراً في الولاة،وعلماً في القُواد الحماة.وقد توفي

(١) المصدر السابق،مج: ٣،ص:٤٦٥.

(٢) المصدر السابق،مج: ٣،ص:٣٤٣ وما بعدها.

بغرناطة ليلة الجمعة الثامن والعشرين لجمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وسبعمائة. وكانت جنازته آخذة نهاية الاحتفال، ركب إليها السلطان، ووقف بإزاء لحده إلى أن وُوري، تنويهاً بقدره، وإشادة ببقاء الحرمة على خلفه، وحمل سريره الجملة من فرسانه، وأبناء نعمته[1].

١٦-الصميل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شمر بن ذي الجوشن الضبابي الكلبي

ومن بينهم كذلك ذكر الصميل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شمر بن ذي الجوشن الضبابي الكلبي، وأشار إلى انه من أشراف عرب الكوفة، وفي حديثه عن أوليته ذكر أن جده أحد قتلة الحسين بن علي، والذي قدم برأسه على يزيد بن معاوية، ولما قام المختار ثائراً بالحسين فرعنه شمر، ولحق بالشام فأقام بها في عز ومنعة، ولما خرج كلثوم بن عياض غازياً إلى المغرب كان الصُميل ممن ضرب عليه البعث في أشراف أهل الشام، ودخل الأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري.

وقد كان شجاعاً نجداً، جواداً، كريماً، إلا أنه كان رجلاً أمياً لا يقرأ، ولا يكتب، وكان له في قلب الدول، وتدبير الحروب أخبار مشهورة، وأشار ابن الخطيب إلى بعضها كما كان مظفر الحروب، سديد الرأي، شهير الموقف، عظيم الصبر، وأوقع باليمانية وقائع كثيرة، منها وقيعة شقندة، ولم يكن بالأندلس مثلها أثخن فيها القتل باليمانية، وكان أبياً للضيم، محامياً عن العشيرة. وروى ابن الخطيب أنه كلّم أبا الخطار الأمير في رجل من قومه، انتصر به فأفجمه، ورد عليه، فأمر به فتعتع، ومالت عمامته، فلما خرج قال له بعض من على باب الأمير يا أبا الجوشن ما بال عمامتك مائلة، فقال إن كان لي قوم فسيقيمونها وخرج ليلته، فأفسد ملكه

(١)المصدر السابق، مج: ٣، ص:٣٤٨.

١٧- عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني

ومن بين الترجمات المهمة التي نلفيها في المجلد الثالث ترجمة عبد الله بن محمد بـن عبـد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني،وهو يكنى بأبي محمد،ووصـفه بحسـن الشـكل،وبأنه جيد الفهم،يغطى منه رماد السكون جمرة حركة،منقبض عن الناس،قليل البشاشة،حسـن الخط،وسط النظم،كتـب عـن الأمـراء بالمغرب،وأنشدهم،واقتضـى خلعهم،وصـكوكهم بالإقطاع والإحسان،ثم لما كانت الفتنة،كتب عن سلطان وطنه،معزز الخطة بالقيادة،وقـد قرأ على قاضي الجماعة الشيخ الأستاذ الخطيب أبي القاسـم الحسني،والأسـتاذ الخطيـب أبي سعيد فرج بن لب التغلبي،واستظهر بعض المبادئ في العربية،واستجيز له من أدركه ميلاده من أهل المشرق،والمغرب.

ولاحظ أن شعره مترفع عن الوسط إلى الإجادة بما يكفله عذر الحداثة[1].

واستشهد بنص من نثره أجابه به،وختم بذكر مولده الذي كان بحضرة غرناطة يوم السبت سابع عشر صفر عام ثلاثة وأربعين،وسبعمائة.

١٨-عبد الرحمن بن أسباط،الكاتب المنجب،كاتب أمير المسلمين يوسـف بـن تاشفين

قدم ابن الخطيب متابعة وافية لمسيرة عبد الرحمن بن أسباط،الكاتب المنجب،كاتب أمير المسـلمين يوسـف بـن تاشفين،ووصـفه أدق وصـف،بقوله:«لحـق بـه بالعدوة،فاتصـل بخدمته،وأغراه بالأندلس،إذ ألقى إليه أمورها على صـورتها،حتى كـان مـا فـرغ الله عـز وجل من استيلائه على ممالكها،وخلعه لرؤسائها،وكان عبد الرحمن قبل اتصاله به مقدوراً عليه في رزقه،يتحرف بالنسخ،ولم يكن حسن الخط،ولا مُعرب اللفظ،إلى أن تسير للكتابة في باب الديوان بألمرية،ورأى خلال ذلك في نومه شخصاً يوقظه،ويقول له قم يا صاحب ربع الدنيا،وقص رؤياه على صـاحب لـه بمثواه،فبشـرهفطلب مـن ذلـك الحـين السـمو بنفسه،فأجاز البحر،وتعلق بحاشية الحرة العليا زينب،فاستكتبه.فلما توفيت الحرة أقره أمير

---

(١) المصدر السابق،مج:٠٣،ص:٤٣٥ -٤٣٦.

المسـلمين كاتباً،فنـال مـا شـاء،مما ترتمـي إليـه الهمـم جاهاً،ومالاً،وشـهرة،وكان رجـلاً حصيفاً،سكوناً،عاقلاً ،مجدي الجاه،حسن الوساطة،شهير المكانة.

توفي فجأة بمدينة سبتة في عام سبعة وثمانين وأربعمائة،وتقلدالكتابة بعده أبـو بكـر بـن القصيرة»[1].

١٩-عبد الأعلى بن موسى بن نُصير مولى لخم

أورده في الصفحات الأخيرة من المجلد الثالث،وقال في حديثه عن أوليته إن والده هـو المنسوب إليه فتح الأندلس،ومحله من الدين،والشهرة،وعظم الصيت معروف،وذكـر أنـه كان أميراً على سنن أبيه في الفضل والدين«وهو الذي باشر فتح غرناطة،ومالقة،واستحق الذكر لذلك.قال الرازي:وكان موسى بن نصير،قد أخرج ابنه عبد الأعلى فيمن رتبه من الرجـال إلى إلبيرة،وتـدمير لفتحها،ومضـى إلى إلـبيرة ففتحها،وضـم بهـا إلى غرناطـة اليهود،مستظهراً بهم على النصر،ثم مضى إلى كورة ريه ففتحها»[2].

٢٠-عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو

ذكره بعد عبد الأعلى بن موسى بن نُصير مولى لخم،وقال إن أوليته معروفة،وقد فسـد بين أبيه،وجده أمير المسلمين بما أوجب انتباذه إلى سكنى مدينـة سجلماسـة،وتحدث عـن حالـه باستفاضـة فـذكر أنـه مـن«أهـل الخير،والعفاف،والصـيانة،دمث الخلق،وحسـن المداراة،يألف أهل الفضل،خاطب للرتبة بكل جهد وحيلة،وسد عنه باب الأطماع،حـذر من كان له الأمر بالأندلس من لدن وصوله،كي لا تختلف أحوال هذا الـوطن في صـرف وجـوه أهلـه إلى غـزو عـدو الملـة،ومحولي القبلة،وإعراضـهم عـن الإغمـاض في الفتنـة المسـلمة،وربما يميـت عـنهم الحركـات،والهموم،فثقفوا مـن فيهـا علـيهم،إلى أن تـبرأ ساحتهم،ويظن به السكون،فلما دالـت الدولـة،وكانت للأخابـث الكرة،واسـتقرت بيـد الرئيس الغادر الكرة،وكان ما تقدم الإلماع به من عمل السلطان أبي سـالم ملـك المغـرب

(١) المصدر السابق،مج:٠٣،ص:٥٢٣.

(٢) المصدر السابق،مج:٠٣،ص:٥٢٩.

على إجازة السلطان ولي ملك الأندلس،المزعج عنها بعلة البغي،ذهب الدائل الأخرق إلى المقارضة،فعندما استقر السلطان أبو عبد السلطان بجبل الفتح،حاول إجازة الأمير عبد الحليم إلى تلمسان بعد مفاوضة.فكان ذلك في أخريات ذي القعدة،وقد قُضي الأمر في السلطان أبي سالم،وانحلت العقدة،وانتكثت المريرة،وولي الناس الرجل المعتوه.وفد إلى تلمسان من لم يرض محله من الإدالة،ولا قويت نفسه على العوض،ولا صابرت غض المخافة،وحرك ذلك من عزمه،وفد أنجده السلطان مستدعيه بما في طوقة،ولما اتصل خبره بالقائم بالأمر بفاس،ومعمل التدبير على سلطانه.أعمل النظر فيهم زعموا بتسليم الأمر...

وقد سلك مسلكاً حسناً في الناس،وفسح الآمال،وأجمل اللقاء،وتحمل الجفاء،واستفز الخاصة بجميل التأتي،وأخذ العفو،والتظاهر بإقامة رسوم الديانة،وحارب البلد المحصور في يوم السبت الثالث عشر لشهر الله المحرم المذكور،كانت الملاقاة التي برز فيها وزير الملك،ومدير رحاه بمن اشتملت عليه البلدة من الروم،والجند الرحل،واستكثر من آلات الظهور،وعدد التهويل،فكانت بين الفريقين حرب مرة تولى كبرها الناشئة فأرسلت على القوم حواصب النبل غارت لها الخيل واقشعرت الوجوه... »[1].

كما نجد في هذا المجلد الثالث تراجم لعدد من الوزراء،والأعيان،والعلماء،ورجال التفكير،والأدب،والمحدثين،والفقهاء،والزهاد،والصوفية،والملوك،والأمراء،والكتاب، والشعراء،ومن بينهم نذكر:محمد بن أحمد الرقوطي المرسي،ومحمد بن حكم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامي،ومحمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي،ومحمد بن إبراهيم بن مفرج الأوسي،ومحمد بن محمد البدوي،ومحمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري،ووموسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الهنتاتي،ومقاتل بن عطية البرزالي،وصفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عيسى بن إدريس التجيبي،وعبد الله بن الجبير بن عثمان بن عيسى بن الجبير اليحصبي،وعبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن

---

(١) المصدر السابق،مج: ٣،ص:٥٣١ -٥٣٢.

جزي،وعبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن مرداس السلمي،وعبد الحق بن محمد بن عطية بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي،وعبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري،وعبد الملك بن سعيد بن خلف العنسي،وعبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد العزيز بن يست،وعبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الرحمن الغساني.

كما يشتمل المجلد الثالث على عدد هام من الرسائل والقطع النثرية المتنوعة،والمتعدد الأغراض،ومن بين الرسائل والقطع النثرية التي حواها **المجلد الثالث نذكر:**

-رسالة خاطب بها محمد بن محمد البدوي ابن الخطيب.

-رسالة كتب بها محمد بن علي بن محمد العبدري إلى ابن الخطيب رداً على ما طلبه منه أن يثبت له شيئاً من شعره.

-رسالة يرحب فيها ابن مرزوق العجيسي بمقدم ابن الخطيب إلى فاس.

-رسالة كتب بها ابن الخطيب إلى ابن مرزوق يرسم فيها دستوراً لخدمة الملوك.

-رسالة كتب بها محمد بن هاني السبتي إلى القاضي الشريف أبي القاسم الحسني.

-رسالة يخاطب بها ابن الخطيب محمد بن القاسم الأنصاري على إثر توليه منصب الحسبة.

-رسالة لأبي القاسم بن خلصون يستعرض فيها نظريات الغزالي ثم نظريات ابن رشد.

-رسالة كتب بها مالك بن المرحل إلى أبي بكر بن يوسف الفخار وأبي القاسم خلف بن عبد العزيز الفيتوري.

-ما كتبه منصور بن علي الزواوي إلى ابن الخطيب عن مشيخته.

-ما كتب نثراً على قبر السلطان نصر بن محمد بن محمد بن يوسف.

-ما كتبه صفوان بن إدريس التيجيبي في تهنئة القاضي أبي القاسم بن بقي.

-نبذة مما كتبه أبو الطيب الرندي(صالح بن يزيد بن شريف النفزي)في كتابه: «روضة الأنس».

-ما كتب نثراً على قبر الرئيس أبي محمد بن إشقيلولة.
-ما كتبه عبد الله بن إبراهيم الأزدي (ابن المرابع)في وصف جولته للبحث عن أضحية لعيد الأضحى.
-رسالة بعث بها عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الخطيب إلى والده لسان الدين بالمنكب.
-رسالة ابن رضوان النجاري إلى ابن الخطيب رداً على رسالته التي بعث بها إليه من سلا.
-رسالة لعبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري (ابن الفصال)يخاطب بها الكتاب
-رسالة ابن الخطيب في التحكيم بين الرسالتين.
-رسالة ابن الخطيب في الترحيب بابن خلدون حينما وصل إلى حضرة غرناطة.
-رسالة منه إليه يخاطبه في شأن جاريته هند صبيحة الابتناء بها.
-رسالة يخاطب بها عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربي لابن الخطيب،وهي آخر رسالة مدرجة في المجلد الثالث من كتاب: «الإحاطة في أخبار غرناطة».

٢١-عبد العظيم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني

وكان آخر من ترجم له ابن الخطيب في المجلد الثالث من كتاب«الإحاطة في أخبار غرناطة»هو عبد العظيم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني،وهو جلياني من أهل وادي آش،وتردد إلى غرناطة،يكنى أبا محمد،وأبا الفضل،تجول ببلاد المشرق سائحاً،وحج ونزل القاهرة،وكان أديباً بارعاً حكيماً ناظماً ناثراً.

وذكر ابن الخطيب أن له مصنفات منها«جامع أنماط السائل في العروض والخطب والرسائل»،وأشار إلى أنه روى عن أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الرحيم الخطيب بضريح الخليل. (١)

(١)المصدر السابق،مج: ٣،ص:٥٧٧ -٥٧٨.

الفصل الخامس

التاريخي والأدبي

في المجلد الرابع من كتاب الإحاطة

ينقسم المجلد الرابع والأخير من كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة)إلى قسمين رئيسين،حيث يضم «بقية السفر العاشر من(الإحاطة) ابتداءً من ترجمة(عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد الحضرمي)،الواردة في اللوحة٢٧٦إسكوريال.وينتهي هذا السفر في اللوحة٣٣٧إسكوريال بترجمة(علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري).محتوياً على أربع وخمسين ترجمة.

ويتلوه السفر الحادي عشر في اللوحة٣٣٨إسكوريال مبتدئاً بترجمة(عمر بن علي بن غفرون الكلبي).ومنتهياً في اللوحة٤١٥إسكوريال بترجمة(يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري)المعروف بابن الصرفي،ومحتوياً على خمس وستين ترجمة.ثم يتلوه السفر الثاني عشر،والأخير في اللوحة٤٢٠إسكوريال،مبتدئاً بترجمة(يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الهذلي)،ومنتهياً في اللوحة٤٢٤بترجمة(يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطي)،ومحتوياً على ثمان تراجم فقط،وهو بذلك يعتبر أصغر أسفار«الإحاطة».وبه يختم كتابه«الإحاطة»بعبارة (كمل كتاب الإحاطة)،في بداية اللوحة٤٢٥إسكوريال محتوياً في مجلداته الأربعة على أربعمائة،وثلاث،وتسعين ترجمة،وعلى عشرات الوثائق التاريخية،والرسائل والظهائر السلطانية،الأندلسية،والمغربية،ومئات القطع من مختار المنظوم والمنثور»[1]

أما القسم الثاني فنجد فيه ترجمة ابن الخطيب لنفسه.

---

(١)ابن الخطيب:الإحاطة في أخبار غرناطة،مج: ٤،المقدمة،ص: ٣.

وقد رجع المحقق محمد عبد الله عنان في تحقيقه لهذا المجلد الرابع إلى مجموعة من المخطوطات ذكرها في مقدمته:

«أولاً:مخطوط«المكتبة الزيدية»المحفوظ بمكتبة دير سان لورنزو بالإسكوريال برقم:١٦٨٨ الغريزي،ورقم:١٦٧٣ ديرنبور.

ثانياً:مخطوط جامع الزيتونة بتونس،المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية التونسية،الجزء الثالث،ويحمل رقم:٨١٣٦.

ثالثاً:مخطوط السفر الثالث من كتاب«نفاضة الجراب في علالة الاغتراب»المحفوظة بخزانة الرباط العامة برقم:٢٥٦ك(المكتبة الكتانية).

رابعاً:مخطوط كتاب«ريحانة الكتاب»المحفوظ بمكتبة الإسكوريال برقم:١٨٢٥ الغزيري،وكذلك مخطوط«الريحانة»المحفوظ بالخزانة الملكية بالرباط برقم:٢١٩٥»[1].

كما اعتمد في المراجعة،والتحقيق إلى جانب هذه الأصول المخطوطة على مجموعة من المراجع الجامعة مثل: «نفح الطيب»،و«أزهار الرياض»للمقري،و«الذيل والتكملة»للقاضي ابن عبد الملك المراكشي،و«جذوة الاقتباس»لابن القاضي،و«التعريف بابن خلدون»،و«صبح الأعشى»لأبي العباس القلقشندي،وغيرها.

ويذكر الباحث محمد عبد الله عنان أن المجلد الرابع،والأخير من كتاب«الإحاطة»يتميز بأمرين،«الأول بالاستيعاب والتبسط في التراجم الواردة به،حيث تشغل تراجمه المائة سبع وعشرون مائة وخمسين لوحة مزدوجة من المخطوط،أي ثلاثمائة صفحة حاشدة منه،وهو ما لم يتوفر في المجلد الثالث،والثاني باحتوائه على عدد كبير من التراجم الهامة سواء من رجال التفكير والأدب،أو من رجال التاريخ.

ويمكننا أن نذكر من رجال الصنف الأول،عبد المهيمن الحضرمي،وعبد الحق بن سبعين العكي،وابن الباذش الأنصاري،والإمام ابن حزم القرطبي(علي بن أحمد بن سعيد)،وابن

(١)المصدر السابق،مج: ٤،ص: ٤.

الجياب (علي بن محمد بن سليمان الأنصاري)،والقاضي عياض بن موسى اليحصبي،وأبو الربيع بن سالم(سليمان بن موسى)،ويحيى بن هذيل التجيبي.

ومن رجال الصنف الثاني،عمر بن حفصون،وعلي بن حمود الحسني،وعلي بن يوسف بن تاشفين،وسوار بن حمدون بن عبده،وسليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر،وسليمان بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام،ويحيى بن علي بن غانية الصحراوي،ويوسف بن تاشفين،ويوسف بن عبد المؤمن بن علي،ويوسف بن يعقوب بن عبد الحق،وعدة من أمراء بني نصر ملوك غرناطة،منهم السلطان يوسف أبو الحجاج،وولده محمد الغني بالله.وقد خص ابن الخطيب هذه المجموعة من رجال التاريخ الأندلسي والمغربي بتراجم قوية،تغلب عليها الصبغة التاريخية النقدية.وضمنها كثيراً من الوقائع والوثائق،التي يجد فيها المؤرخ مادة غزيرة»[1].

أولاً:محتوى المجلد الرابع:

يحدثنا ابن الخطيب في الترجمة الأولى من المجلد الرابع عن عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد الحضرمي،حيث يذكر في البدء أنه يكنى بأبي محمد،ويصفه بشيخنا الرئيس صاحب القلم الأعلى بالمغرب،ويشير في رصده لحاله أنه كان خاتمة الصدور،ذاتاً وسلفاً،وتربية،وجلالة،له القدح المغلى في علم العربية،والمشاركة الحسنة في الأصلين،والإمامة في الحديث،والتبريز في الأدب،والتاريخ واللغة،والعروض والمُماسة في غير ذلك.

وتحدث عن نشأته،وأخلاقه فقال:«نشأ فارس الحلبة،وعروس الوليمة،وصدر المجلس،وبيت القصيد،إلى طيب الأبوة،وقدم الأصالة،وفضل الطُعمة،ووفور الجاه،والإغراق في النعمة،كثير الاجتهاد والملازمة،والتفنُن والمطالعة،مقصور الأوقات على الإفادة والاستفادة،إلى أن دعته الدولة المرينية بالمغرب إلى كتابة الإنشاء،فاشتملت

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٤ -٥.

(٢)المصدر السابق،مج: ٤،ص:١١.

عليه اشتمالاً،لم يفضُل عنه من أوقاته،ما يلتمس فيه ما لديه،واستمرت حاله،موصوفاً بالنزاهة والصدق،رفيه الرُتبة،مشيد الحظوة،مشاركاً للضيف فاضلاً.مختصر الطعمة،والحلية،يغلب عليه ضجر يكاد يُخل به،متصل الاجتهاد،والتقييد،لا يفتر له قلم،إلى أن مضى بسبيله»[1].

وتطرق ابن الخطيب إلى ما جرى به ذكره في«الإكليل الزاهر»الذي هو من تأليفه،حيث ذهب فيه إلى أنه تاج المفرق،وفجر المغرب على المشرق،وكرر الحديث عن نشأته مشيراً إلى أنه نشأ بسبتة بين علم يفيده،وفخر يشيده،وطهارة يلتحف مطارفها،ورئاسة يتفيأ وارفها،وأبوه قطب مدارها،ومقام حجها،واعتمارها،وذكر أنه اشتهر اشتهار الصباح إذا تجلى،تنافست فيه همم الملوك الأخاير،واستأثرت به الدول على عادتها في الاستئثار بالذخائر.

وسرد لدى حديثه عن مشيخته أسماء الكثير من الشيوخ الذين قرأ عنهم من بينهم:الأستاذ الإمام (أبو إسحق الغافقي المديوني)،والأمير الصالح(أبو حاتم العزفي)،و(أبو عبد الله محمد بن عمر بن الدراج التلمساني)،و(أبو فارس عبد الرحمن بن إبراهيم الجزيري).

وفي غرناطة قرأ على الشيخ العلاّمة أبي جعفر بن الزبير،وروى عن الوزير الراوية أبي محمد عبد الله المرادي ابن المؤذن،وعلى الأستاذ أبي بكر القللوسي،كما أخذ عن الشيخ الوزير أبي الوليد الحضرمي القرطبي،وبمالقة قرأ عن الولي أبي عبد الله الطنجالي،وببلش عن الخطيب الصالح أبي جعفر الزيات،والعلاّمة أبي الحسن بن أبي الربيع،وابن خميس النحوي وغيرهم.

ورأى أن شعره متخل عن محله من العلم والشهرة،وإن كان داخلاً تحت طور الإجادة،،وختم بذكر مولده بسبتة في عام ستة وسبعين وستمائة،أما وفاته فكانت بتونس في الثاني عشر لشوال من عام تسعة وأربعين وسبعمائة في وقيعة الطاعون العام،بعد أن

إصابته بنبوة من مخدومه السلطان أبي الحسن،وكانت جنازته مشهورة،ودفن بالزلاج من جبانات خارج تونس[1].

وتحدث بعده عن عبد المهيمن بن محمد الأشجمي البلذوذي،فذكر أنه كان شاعراً مُكثراً،سهل الشعر،سريعه،وكثيراً ما يستجدي به،وكان على مذهب أبي محمد علي بن حزم الفقيه الظاهري،وقد دخل الأندلس،وجال فيها،بعد دخوله مراكش،وأصله من بلذوذ.

وقدم ابن الخطيب نموذجاً من شعره،مما جاء فيه قوله:

أما عَلَى ذِي شَرك	فِي صَيْدِنَا مِنْ دَرَكِ
تَصِيدُنَا لَوَاحِظٌ	ومَا لَهَا من حَرَكِ
والبَدرُ إن غَابَ فَمَنْ	يَجَلُو ظَلامَ الحَلكِ
قَد تَابَ القَلبُ فَما	يَدرِي إِن لم تُدرِك[2].

وختم بذكر وفاته في عام سبعة وتسعين وستمائة بفاس.

أما عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملزوزي فقد أشار إلى أنه كان« شاعراً مكثراً سيال القريحة،منحط الطبقة،متجنداً،عظيم الكفاية والجرأة،جسوراً على الأمر،علق بخدمة الملوك من آل عبد الحق وأبنائهم،ووقف أشعاره عليهم،وأكثر النظم في وقائعهم،وحروبهم،وخلط المعرب باللسان الزناتي في مخاطباتهم،فعرف بهم،ونال عريضاً من دنياهم،وجماً من تقريبهم،واحتل بظاهر غرناطة في جُملة السلطان،أمير المسلمين أبي يعقوب،وأمير المسلمين أبيه،واستحق الذكر بذلك»[3].

---

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:١٨.

(٢)المصدر السابق،مج:٤،ص:١٩.

(٣)المصدر السابق،مج: ٤،ص:٢١.

وذكر من شعره أرجوزته التي نظمها بالخضراء في سنة أربع،وثمانين وستمائة،ورفعها إلى السلطان أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق،وسماها«نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك»،وقدم نماذج من شعره،من ذلك قوله:

دَعَانِي يَوماً والسَما قَد ارتَدت بالسَحَائِبِ والغَيْثُ يَبَكِي بِالدُمعِ السَّوَاكِبِ

كَأنهُ عَاشِقٌ صدَّ عَنهُ حَبِيبُهُ فَفَاضَت دُمُوعُهُ عَليْهِ وَكَثُر نَحِيبُهُ

وَلَم يُرَق لَهُ مَدمَعٌ كَأنهُ لم يَبق لَهُ فِيهِ مطمَعُ

فَكان الوَعدُ حَسْرَتُهُ والبَرْقُ لَوْعَتَه وزَفْرَتُه

إضافة إلى قوله:

أعلمتَ بَعدَكَ زَفَرتِي وأَنِينِي وصَبَابَتِي يَوم النَّوى وشُجونِ

أودعتُ إذ ودَّعتُ وَجْاً في الحَشا ما إِن تَزال سِهَامُهُ تُصمِينِ

وَرَقِيبُ شَوقِك حَاضِرٌ مترقِّبٌ إن رمتُ صَبراً بالأَسلا يُغرِينِ

وقد توفي خنقاً بسجن فاس بسعاية سُعيت به في وسط عام سبعة وتسعين وستمائة.

ومن الشخصيات التاريخية البارزة التي ترجم لها ابن الخطيب مع بداية المجلد شخصية عمر ين حفصون بن عمر بن جعفر الإسلامي بن كسمسم بن دميان بنفرغلوش بن أذفونش،كبير الثوار،ومنازع الخلفاء بالأندلس.

تطرق ابن الخطيب في البدء لأوليته وحاله ،وذكر أن أصله من رندة مشيراً إلى ما قاله صاحب التاريخ،وهو من كورة تاكُرُنا،وجده جعفر إسلاكي،وقد يمم وجهه شطر رندة لأمر دار عليه بها في أيام الحكم بن هشام.

وأشار إلى ما عرف به منذ صغره حيث ظهر له من شراسته،وعتوه ما لم يعدم معه أبواه هرباً عن مواضعهما فزالا عن وطنهما،ومما يُذكر أنه لم يُمسك من حين كان عن أحد ممن

ناظره،ولاسكت عن أقبح ما يمكن من السب لمن عاتبه،وأنه قتل أحد جيرانه على سبب يسير دافعه عنه،فتغرب لذلك عن الموضع زماناً.

وفي سياق سرده لسيرته استشهد ابن الخطيب بما ذكره ابن القوطية من أن عامل ريه،«عاقبه في جناية،وفر إلى العدوة،وصار يتهرب عند خياط كان من أهل ريه،فبينما هو جالس في حانوته يوماً جاءه شخص بثوب يقطعه فقام إليه الخياط،وسأل ذلك الشخص الخياط عن عمر،فقال له هو رجل من جيراني،فقال الشيخ متى عهدك بريه؟فقال له منذ أربعين يوماً،فقال له أتعرف جبلاً يقال له ببشتر،فقال:أنا ساكن عند أهله،فقال أله حركة،قال لا،قال الشيخ قد أذن ذلك،ثم قال،تعرف فيما يجاوره رجلاً يقال له عمر بن حفصون،ففزع من قوله،فأحد الشيخ النظر فيه،وقال:يا منحوس تحارب الفقر بالإبرة،إرجع إلى بلدك فأنت صاحب بني أمية،وستملك ملكاً عظيماً فقام من فوره،وأخذ خبزه في كُمه،ورجع إلى الأندلس.فداخل الرجال حتى ضبط الجبل المذكور،وانضوى إليه كل من يتوقع التهمة على نفسه،أو تشهره إلى الانتزاء بطبعه،وضم إلى القلعة كل من كان حولها من العجم والمولدين.ثم تملك حصن أوطة،وميجش،ثن تملك قمارش،وأجدونة.ثم اتسع نظره حتى تملك كورة ريه،والخضراء،وإلبيرة،إلى بسطة،وأُبدة،وبياسة،وقبرة،إلى حصن بُلى المطل على قرطبة.وأشرق الخلافة بريقها،وقطع الزمان من استكانة إلى عهد،وكشف الوجه في ختر،وتشمير الساعد عن حرب،وحسر اللثام عن أيد وبسطة،وشد الحزام على جهد،وصبر،ونازله الخلائف،والقواد،فلم يحل بطائل،وأصابته جراحات مثخنة في الوقائع،وأصبحت فتنته سمر الركاب،وحديث الرفاق،شدة أسر،وثقل وطأة،وسعة ذرع،واتصال حبل،وطول إملاء،استغرق بها السنين،وطوى الأعمار،وأورث ذلك ولده بعده،وعند الله جزاء وحساب،وإن امتد المآب لا إله إلا هو»[1].

---

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٩٣ وما بعدها.

كما عرج ابن الخطيب على دخوله غرناطة،وإلبيرة ،وسرد كيف وقعت الهزيمة عليه،وختم عرضه بذكر وفاته ببشتر في سنة ست وثلاثمائة بعد مرض شمل النفخ به جسده،وتشقق جلده،وانتقل أمره إلى ولده جعفر،ثم إلى ولده سليمان،ثم إلى ولده حفص.

ومن بين التراجم التي أسهب فيها ابن الخطيب،والتي تكتسي أهمية بالغة،ترجمة أستاذه علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن حسن الأنصاري،المعروف بابن الجياب،الذي يصفه بشيخنا،ورئيسنا العلاّمة البليغ،وهو من أهل غرناطة،وقد ركز ابن الخطيب على حاله،ووصفه أدق وصف كونه خامره،وعاش معه،وتتلمذ على يديه،فبين جهوده،ومنجزاته،وخلاله،وعلاقته به،وتأثره بخصاله،حيث جاء في وصف حاله«كان رحمه الله على ما كان عليه من التفنن،والإمامة في البلاغة،والأخذ بأطراف الطلب،والاستيلاء على غاية الأدب،صاحب مجاهدة،وملازمة عبادة على طريقة مثلى من الانقباض،والنزاهة،وإيثار التقشف،محباً في أهل الخير والصلاح،منحاشاً إليهم،مُنافراً عن أضدادهم،شيخ طلبة الأندلس،رواية وتحقيقاً،ومشاركة في كثير العلوم،قائماً على العربية،واللغة،إماماً في الفرائض،والحساب،متبحراً في الأدب،والتاريخ،مشاركاً في علم التصوف،فذاً في المسائل الأدبية البيانية،حامل راية المنظوم،والمنثور،والإكثار من ذلك،والاقتدار عليه،جلداً على الخدمة،مغتبطاً بالولاية،محافظاً على الرتبة،مراقباً لوظائف الأبواب السلطانية،متوقد الذهن،ذلق الجوانب،مشغوفاً بالأنس،والمفاوضة في الأدب،محسناً للنادرة الظريفة،مليح الدعابة،غزير الحفظ،غيوراً على الخُطة،كثير النشاط إلى المذاكرة،مع استغراق الكلف،وعلو السن.طال به المرض حتى أذهب جواهر بدنه،وعلى ذلك فما اختل تميزه،ولا تغير إدراكه.

بعثت إليه باكور رمان،فقال لي من الغد،نعم بالهدنة زمانك،يعني نعمت الهدية رمانك.فعجب الناس من اجتماع نفسه،وحضور فكره،وهو شيخي الذي نشأت بين يديه،وتأدبت به،وورثت خطته عن رضى منه،كتب عن الدول النصرية نحواً من خمسين سنة،أو ما ينيف عليها،متين الجاه،رفيع المكانة،بعيد الصيت،وسفر إلى الملوك،واشتهر

بالخير،والحمل على أهل الظلم،وجرى ذكره في التاج بما نصه: (صدر الصدور الجلة،وعلم أعلام هذه الملة،وشيخ الكتابة وبنيها،وهاصر أفنان البدائع،وجانيها،اعتمدته الرئاسة فنأى بها على حبل ذراعه،واستعانت به السياسة فدارت أفلاكها على قطب من شباه يراعه،فتفيأ للعناية ظلاً ظليلاً،وتعاقبت الدول،فلم تر به بديلاً،من ندب على علوه متواضع،وحبر لثدي المعارف راضع،لا تمر مذاكرة في فن إلا وله فيه التبريز،و لاتعرض من جواهر الكلام على محاكاة الأفهام،إلا وكلامه الإبريز،حتى أصبح الدهر راوياً لإحسانه،وناطقاً بلسانه،وغرب ذكره وشرق،فأشام،وأعرق،وتجاوز البحر الأخضر،والخليج الأزرق إلى نفس هذبت الآداب شمائلها،وجادت الرياض خمائلها،ومراقبة لربه،واستباق لروح الله من مهبه،ودين لا يُعجم عوده،ولا تخلف وعوده،وكل ما ظهر علينا بنيه من شارة تجلى بها العين،أو إشارة كما سبك اللجين،فهي إليه منسوبة،وفي حسناته محسوبة،فإنما هي أنفس راضها بآدابه،وأعلقها بأهدابه،وهذب طباعها،كالشمس تلقى على النجوم شعاعها،والصور الجميلة تترك في الأجسام الصقيلة انطباعها،وما عسى أن أقول في إمام الأئمة،ونور الدياجي المدلهمة،والمثل السائر في بعد الصيت،وعلو الهمة) »[1].

وقدم ابن الخطيب متابعة شاملة لمسيرته التعليمية،فذكر الكثير من المشائخ الذين تتلمذ عليهم ،ومن بينهم نذكر:الشيخ الفقيه الخطيب الصالح الصوفي المحقق صاحب الكرامات،والمقامات نسيج وحده-كما وصفه-أبو الحسن فضل بن محمد بن علي بن فضيلة المعافري،والشيخ الفقيه الأستاذ العالم العلم الكبير خاتمة المسندين بالمغرب أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي،والشيخ الفقيه الخطيب الأستاذ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الخشني البلوطي،والشيخ الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن عياش الخزرجي القرطبي،والشيخ أبو محمد عبد الله بن علي الغساني السعدي الخطيب الصالح،والشيح أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن مستقور

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:١٢٥ وما بعدها.

الطائي،والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد العنسي،والشيخ الفقيه الخطيب المحدث الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشد،والشيخ الخطيب أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري الكحيلي، والشيخ الخطيب الأستاذ الصالح أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد الأموي الباهلي، والشيخ الوزير الحسيب أبو عبد الله محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري،والشيخ الخطيب الأستاذ النظار أبو القاسم بن الشّاط،والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن مالك بن المرحل،والشيخ المبارك أبو محمد عبد المولى الخولاني،وأبو العباس الغماز قاضي الجماعة بتونس،وأبو عبد الله بن صالح الكناني خطيب بجاية،والشريف أبو علي الحسن بن طاهر بن أبي الشرف بن رفيع الحسني،وسواهم من كبار العلماء.

وفيما يتعلق بشعره،أشار ابن الخطيب إلى أن شعره كثير ومدون،وقال إنه قد قام بجمعه،وتدوينه،ويشتمل على أغراض متعددة من المُعشرات النبويات،والقصائد السلطانيات،والإخوانيات،والمقطوعات الأدبيات،والألغاز والأحجيات[1].

وذكر أن نثره سلطانيات مطولات،عرضت بما تخللها من الأحوال متونها،وقلت لمكان الاستعجال والبديهة عيونها.وختم بالإشارة إلى مولده الذي كان بمدينة غرناطة في جمادى الآخرة من عام ثلاثة وسبعين وستمائة،ووفاته ليلة يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة،ودفن بباب إلبيرة،وكانت جنازته نهاية الاحتفال حضرها السلطان فمن دونه.

ثانياً :موجز ترجمة طائفة من الشخصيات التاريخية والأدبية في ا لمجلد الرابع

كما يحدثنا ابن الخطيب في هذا المجلد عن مجموعة من الأعلام من رجال الفكر،والأدب،والتاريخ،نورد فيما يلي ملخصاً عن أهم الشخصيات التي توقف معها في القسم الأول الخاص بالشخصيات،ثم نقدم عرضاً عن ترجمته لشخصه في القسم الثاني من المجلد الرابع من كتاب:«الإحاطة».

---

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:١٢٧ وما بعدها.

١-عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن فتح بن سبعين العكي

ذكر أنه مُرسي،رَقُوطي الأصل،أي نسبة إلى بلدة رقوطة الأندلسية الصغيرة التي تقع بالشمال الغربي لمرسية على مقربة من نهر شقور،وقد سكن بآخرة مكة،ويكنى بأبي محمد،ويُعرف بابن سبعين.

وقد استشهد ابن الخطيب لدى حديثه عن حاله بما أورده ابن عبد الملك الذي أشار إلى أنه« درس العربية،والأدب بالأندلس عند جماعة من شيوخها ثم انتقل إلى سبتة،وانتحل التصوف،بإشارة بعض أصحابه،وعكف برهة على مطالعة كتبه،وتعرض بعد لإسماعها،والتكلم على بعض معانيها،فمالت إليه العامة،وغشيت محله،ثم فضل سبتة،وتجول في بلاد المغرب منقطعاً إلى طريقة التصوف،داعياً إليها،محرضاً عليها،ثم رحل إلى المشرق،وحج حججاً ،وشاع ذكره،وعظم صيته هنالك،وكثر أتباعه على مذهبه،الذي يدعو إليه من التصوف نحلة ارتسموا بها من غير تحصيل لها،وصنف في ذلك أوضاعاً كثيرة،تلقوها منه،وتقلدوها عنه،وبثُوها في البلاد شرقاً وغرباً،ولا يخلو أحد منها بطائل،وهي إلى وساوس المخبُولين،وهذيان الممروضين أقرب منها إلى منازع أهل العلم،ولفظه غير ما بلد وصقع،لما كان يُرمى من بلايا الله أعلم بحقيقتها،وهو المطلع على سريرته فيها،وكان حسن الأخلاق،صبوراً على الأذى،آية في الإيثار،أبدع الناس خطاً»[1].

كما اقتبس ابن الخطيب ما ورد في كتاب«عُنوان الدراية فيمن عُرف من العُلماء في المائة السابعة ببجاية» الذي ذكر أن له علم،وحكمة،ومعرفة،ونباهة،وبلاغة،وفصاحة،كما أشار إلى رحيله إلى العدوة،وسكنه بجاية مدة،ولقائه بعدد من الأصحاب،الذين أخذوا عنه،وانتفعوا به في فنون خاصة له،وصفها بقوله«مشاركة في معقول العلوم ومنقولها،ووجاهة لسان،وطلاقة قلم،وفهم جنان»ووصفه ب آخر الفضلاء،وذكر أن له

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٣٢.

أتباع كثيرة من الفقراء،ومن عامة الناس،وله موضوعات كثيرة موجودة بأيدي الناس،وله فيها ألغاز،وإشارات بحروف أبي جاد،وله تسميات ظاهرة كالأسامي المعهودة،وله شعر في التحقيق،وفي مراقي أهل الطريق،وكتابته مستحسنة في طريقة الأدباء،وله من الفضل،والمزية،ملازمته لبيت الله الحرام،والتزامه الاعتمار على الدوام،وحجته مع الحجاج في كل عام،وأشار إلى أنها مزية لا يُعرف قدرها،ولا يُرام،ولقد مشى به للمغاربة بحظ في الحرم الشريف،لم يكن لهم في غير مدته،وكان أصحاب مكة شرفها الله يهتدون بأفعاله،ويعتمدون على مقاله[1].

ويضيف أن«أغراض الناس في هذا الرجل متباينة،بعيدة عن الاعتدال،فمنهم المُوهن المُكفر،ومنهم المقلد المعظم،وحصل لطرفي هذين الاعتقادين من الشهرة،والذياع ما لم يقع لغيره.والذي يقرب من الحق،أنه كان من أبناء الأصالة ببلده،ووُلي أبوه خطة المدينة،وبيته نبيه،ونشأ ترفاً مُبجلاً،في ظل جاه،وعز ونعمة،لم تفارق معها نفسه البلد،ثم قرأ ،وشذا ،ونظر في العلوم العقلية،وأخذ التحقيق عن أبي إسحق بن دهاق،وبرع في طريقته الشوذية،وتجرد واشتهر،وعظُم أتباعه،وكان وسيماً جميلاً،ملوكي البزة،عزيز النفس،قليل التصنع،يتولى خدمته الكثير من الفقراء السفارة.أولي العبا والدقاقيس،ويحفون به في السكك،فلا يعدم ناقداً،ولا يفقد متحاملاً.ولما توفرت دواعي النقد عليه من الفقهاء زياً،وانتباذاً،ونحلة،وصُحبة واصطلاحاً،كثر عليه التأويل،ووُجهت لألفاظه المعاريض،وفُليت موضوعاته،وتعاورته الوحشة،ولقيه فحول من منتابي تلك النحلة،قصُر أكثرهم عن مداه في الإدراك،والاضطلاع،والخوض في بحار تلك الأغراض،وساءت منه لهم في النلاطفة السيرة،فانصرفوا عنه مكظومين يُندرون في الآفاق عليه من سوء القيلة،ما لاشيء فوقه.ورحل إلى المشرق،وجرت بينه،وبين الكثير من أعلامه خطوب.ثم نزل مكة شرفها الله تعالى،واختارها قراراً،وتلمذ له أميرها،فبلغ من التعظيم الغاية.وعاقه الخوف

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٣٣.

من أمير المدينة المعظمة النبوية عن القدوم عليها إلى أن توفي،فعظم عليه الحمل لأجل ذلك،وقبُحت الأحدوثة.

أما اضطلاعه،فمن وقف على(البُد)من كتبه،رأى سعة ذرعه،وانفساح مدى نظره،لما اضطلع به من الآراء،والأوضاع،والأسماء،والوقوف على الأقوال،والتعمق في الفلسفة،والقيام على مذاهب المتكلمين،بما يقضي منه العجب.ولما وردت على سبتة المسائل الصقلية،وكانت جملة من المسائل الحِكمية،وجهها علماء الروم تبكيتاً للمسلمين انتُدب إلى الجواب عنها،على فتى من سنه،وبديهة من فكرته.وحدثني شيخنا أبو البركات،قال حدثني أشياخنا من أهل المشرق أن الأمير أبا عبد الله بن هود،سالم طاغية النصارى،فنكث عهده،ولم يف بشرطه،فاضطره ذلك إلى مخاطبته إلى القومس الأعظم برومة،فوكل أبا طالب بن سبعين،أخا أبي محمد،المُتكلم عنه،والاستظهار بالعقود بين يديه.قال فلما بلغ باب ذلك الشخص المذكور رومة،وهو بلد لا تصل إليه المسلمون،ونظر إلى ما بيده،وسُئل عن نفسه،كلم ذلك القس من دنا منه محله من علمائهم بكلام،تُرجم لأبي طالب بما معناه،اعلموا أن أخا هذا ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه»[1].

وبعد أن تحدث عن دعواه،توقف مع تواليفه،وأشار إلى أنها كثيرة إلى درجة أنها تشذ عن الإحصاء،منها كتابه المسمى بالبُد«بُد العارف»،وكتاب الدَّرج،وكتاب الصفر،والأجوبة اليمنية،والكل والإحاطة،وأما رسائله في الأذكار،كالنورية في ترتيب السلوك،وفي الوصايا والعقائد فكثير،ويشمل على ما يشهد بتعظيم النبوة،وإيثار الورع.

وختم بذكر وفاته التي كانت بمكة يوم الخميس التاسع لشوال من عام تسعة،وستين،وستمائة.

٢-علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن علي بن عبيد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٣٤ وما بعدها.

وهو أول ملوك بني هاشم بالأندلس،ويكنى بأبي الحسن،ويلقب من الألقاب السلطانية بالناصر لدين الله.

وصف حاله بأنه كان شهماً لبيباً،جرىء اللقاء،باطش السيف،شديد السطوة،أسمر،أعين،نحيف الجسم،طويل القامة،حاد الذهن،من أولي الحزم والعزم.

وتحدث عن خلافته بقوله:«ذكروا أن هشام بن الحكم،لما ضُيق به الحجر،كتب إليه في السر بعهد ولايته،وأهله للأخذ بثاره،فكان كذلك،وأجاز البحر من سبتة،مظهراً القيام بنصر هشام عندما خُلع،فانحاش إليه كثير من الناس،وقصد قرطبة،وبرز إليه الخليفة سيلمان خالع هشام،ومغتاله،فظهر عليه علي بن حمود،وهزمه،ودخل قرطبة،فقتل سليمان،وبحث عن هشام،وقد فات فيه الأمر،وتسمى بأمير المؤمنين.وأنِس به أهل قرطبة،لقهره من كان لنظره من البرابرة،وإمضاء الأحكام عليهم،قال المؤرخ فبرقت للعدل يومئذ بارقة،لم تكد تقد حتى خبت،وكان الأغلب عليه السخاء،والشجاعة»[1].

وذكر أن مقتله كان في سنة ثمان،وأربعمائة،حينما قتل من قبل صقالبته بموضع أمنه،في حمام قصره،وكانوا ثلاثة من أغمار صبيان قصره،منهم نُجح وصاحباه،وقد سدوا باب الحمام عليه،وتسللوا،ولم يحس أحد بهم،وقد دفن بسبتة،وبني عليه مسجد هو الآن بسوق الكتان،وقُبض من قاتليه على صبيين عُذبا بأنواع العذاب،ثم قُتلا،وصُلبا.

٣-علي بن يوسف بن تاشفين بن تومرت

وهو الذي تولى إمارة المسلمين بعد أبيه،ويكنى بأبي الحسن،تصير إليه الملك بالعهد من أبيه عام سبعة،وتسعين،وأربعمائة،وولي أمره يوم وفاته يوم الإثنين مستهل محرم عام خمسمائة.

أكد ابن الخطيب في وصف حاله على أنه كان«ملكاً عظيماً،عالي الهمة،رفيع القدر،فسيح المعرفة،شهير الحلم،عظيم السياسة،أنفذ الحق،واستظهر بالأزكياء،ووالى الغزو،وسد الثغور،إلى أن دهمه من أمر

---

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٥٦.

(٢) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٥٨.

الدولـة الموحديـة مـا دهمـه،وكل شـيء إلى مـدى،فأمهل السـرح،وحالف الإدبار،وجـاز إلى الأندلس،وغزا فيها بنفسه،ودخل غرناطة،وباشرها»[1].

واستشهد بما ذكره ابن عذارى عنه،وعن ظهور الموحدين في أيامه في قوله:«تقدم الأمير أبو الحسن لذلك فاستعان بالله،واستنجده،وسأله حسن الكفاية فيما قلده،فوجـده ملكـاً مؤسساً،وجُنداً مُجنداً،وسلطاناً قاهراً،ومالاً وافراً،فاقتفى أثر أبيه،وسلك سبيله،في عضد الحق،وإنصاف المظلوم،وأمن الخائف،وقمع المظالم،وسد الثغور،ونكاية العـدو،فلم يعـدم التوفيق في أعماله،والتسديد في حسن أفعاله...

وفي سنة أربع عشـرة وخمسـمائة كـان ابتـداء أمـر الثـائر علـى الدولـة الجالـب للفـتن الجمة،الجار لها منذ ثلاثين سـنة،حتى أقفـر المعمور،وأصـار الضـياء كالديجور،محمـد بـن تومرت السوسي الملقب بالمهدي،قلت،وأخباره عجيبة،وما زال أمره في ظهور،وأمر هـذه الدولـة في تبار،وإدبـار،إلى أن محـا رسـومها،وقطع دابرها،والملـك لله،يـؤتي الملـك مـن يشاء،وينزع الملك ممن يشاء،سبحانه»[2].

وأشار إلى دخوله غرناطة فقد قدم غرناطة مرات مع أبيه،وفي سـنة خمـس وخمسـمائة تلوَّم بها ريثما تلاحقت حشوده،وتأهبت مطوعته،وجنوده،فافتتح مدينة طلبيرة عنـوة،ثم عبر البحر عام أحد عشر وخمسمائة،فغزى قولمرية.

وختم بذكر وفاته في سنة سبع وثلاثين وخمسمائة،لسبع خلـون مـن رجـب،ولم يُشـهر موته إلا لخمس خلون من شوال.

٤-عثمان بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن محيو

ينتمي إلى بني مرين،يكنى بأبي سعيد،شيخ الغزاة بجزيرة الأندلس على عهده.

ذكر ابـن الخطيـب في حديثـه عـن حالـه أنـه كـان«رجـل وقتـه جلالـة وأصـالة،ودهاء وشهرة،وبسـالة،مرمى لاختيـار عتاقة،وفراهة،واحـد الـزمن أبهـة،ورواء،وخُلُقاً ورجاحة،أيداً،عظيم الكراديس،طوالاً،عريض المنكب،أقنى الأنف،تقع العـين منـه علـى

---

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٥٨ وما بعدها.

أسد عيص،وفحل هجمة،بعيد الصيت،ذائع الشهرة،مُنجب الولد،يحمي السرح،ويزين الدست،لحق بتلمسان مع زوج أمه،وعمه،موسى بن رحوا،عندما فروا من الجبل بأحواز ورغة،شاباً كما اجتمع،وأجاز البحر منها،وخدم مُرتزقاً بها.ثم عاد إلى العدوة برضاً من عمه السلطان بها،ثم فر عنه،ولحق بالأندلس،واستقر بها،ووُلي خطة الشياخة العامة،وهي ما هي،من سمو الهضبة،وورود الرزق،وانفساح الإقطاع،فشارك،وتبنك النعيم،وأقبل ما استظهر به على ما وراء مدينة سبتة،عند انتظامها في الإيالة النصرية.فشن الغارة،ودعا إلى نفسه،وخلا فطلب النزال،فغلبت غارته أحواز وادي سبو.ثم رجع أدراجه إلى الأندلس،وذمر السلطان أبا الوليد،مُنفق حظوته على طلب الملك،ففازت به قداحه،واستولى على الجم من ريق دنياه،وسل الكثير من ماله ،وذخيرته في أبواب من العبادة،والاسترضاء،والاستهداء،ولما توفي تضاعف لطف محله من ولده،إلى أن ساء ما بينه،وبين مدبر أمره ابن المحروق،ونفر عنه،مُؤاخذاً بألقيات،كانت سلماً إلى تجنيه،يحسب أن الافتقار إليه،يُعبد له كل وعث،فاغتنم المذكور نُفرته،واستبصر في الانتباذ عنه،مطيعاً دواعي الخور،والرهبة من شؤوب حاله،وأجلى الأمير عن رحيله،وولده إلى ساحل ألمرية مُوادعاً،مُزمعاً الرحيل عن الأندلس،وارتاد الجهات،وراسل الملوك بالعدوة،فكل صم عن ندايه،وسُد السبيل إليه،فداخل قوماً من مشيخة حصن أندرش حاضرة وطن الجباية،فاستولى عليه،وانتقل إليه بجُملته،وراسل الطاغية،فتحرك إلى منازلة حصن وبرة من الحصون التاكرونية،ففازت به قداحه،واستُدعي عم السلطان،وهو الرئيس أبو عبد الله بن فرج بن نصر من تلمسان،فدعا إليه،وشملت الفتنة،وكانت بينه،وبين جيش الحضرة وقائع،تناصف فيها القوم خطتي المساجلة إلى أن نفذ صبره،وماله،وسمت فتنته الدولة،واقتضت مسالمته المصلحة،فعُوهد على التخلي عن الحصن،وصُرف أميره غلى مُتبوئه الأقصى،وانتقاله إلى مدينة وادي آش،ليكون سكنه بها،تحت جرايات مُقدرة،وذلك في شهر رمضان ثمانية وعشرين وسبعمائة،وعلى تفية ذلك،عدا على مناوئه أميره،ففتك

به،واستقدم الشيخ أبا سعيد فأعاده إلى محله،واستمرت على ذلك حياته إلى مدة حياته،إلى أن تُوفي في أخريات أيامه»[1].

وكانت وفاته يوم الأحد ثاني ذي حجة من عام ثلاثين وسبعمائة عن سن عالية تنيف على الثمانين سنة،ونُقل إلى غرناطة،فووري بها،وبنيت عليه بناية ضخمة،وصار أمره إلى ولده.

٥-فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر

يصفه ابن الخطيب بالرئيس الجليل،وذكر أن حقه أن يفرد له باب في الأمراء.

تحدث في البدء عن أوليته،وأشار إلى أن والده كان صنو أمير المسلمين الغالب بالله أبي عبد الله،وآثره بمدينة مالقة،وما يرجع إليها،عند تصير الملك إليه،أو بعده،وقد كان دونه في السن،واستمرت أيامه بها إلى أن توفي،وتصير أمره إلى الرئيس أبي محمد بن أشقيلولة،وقد تخللت ذلك مجموعة من الفتن.

وأكد في رصده لحاله أنه«نسيج وحده في الحزم،والجزالة،وفخامة الأحوال،مما يرجع إلى الفتية.ناغى السلطان ابن عمه في اقتناء العقار،وتخليد الآثار،فيما يرجع إلى الفلاحة،والاعتمار،والازدياد،والاستكثار،وأربى عليه بإنشاء المراكب الكبار،فعظمت غلاته،وضاقت المسارح عن سائمته،وغُصت الأهراء بحبوبه،وسالم الخرج دخل ماله،فبذ الملوك جدة ويساراً،تقتحم العين منه ظاهراً ساذجاً،غفلاً من الزينة،والتصنع،في طيه ظرف،وذكاء،وحنكة،وحلاوة،جهورياً،مرسل عنان النادرة،باذلاً النصفة،مهيب السطا،خصيب المائدة،شهير الجلالة،بعيد الصيت،ولي مالقة عام سبعة وسبعين وستمائة،فعانى بها الشدة،والليان،حتى رسخت بها قدمه،وطالت لأهلها صحبته،وعظم بها قراره،وعساكره،وأينعت غرسانه،ونمت متاجره،وتبنكت النعيم حاشيته،وأُضيفت إليه الجزيرة الخضراء،فاتسعت العمالة،وانفسحت الخُطة،إلى أن كان من تغلبه على مدينة

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٧٨ وما بعدها.

سبتة،واستلائه عليها،مما وقع الإلماع به في موضعه من هذا الكتاب،في شهر شوال عام خمسة وسبعمائة،فساس رعيتها،وتملك جبالها،وشن الغارة على ما وراءها،وتملك القصر المضاف لها،ولم يزل نظره عليها،إلى أواخر ذي القعدة من عام ثمانية وسبعمائة،فصُرف عنها،وجُهل قدره،وأوغر صدره،وأُوعز للولاة بالتضييق على حاشيته،فدعا بمالقة إلى نفسه في شهر شعبان من عام أحد عشر وسبعمائة،وقدم لطلب الملك ولده إسماعيل،وسماه السلطان،ورتب له الألقاب،ودون الدواوين،فنزع إليه الجند،وانضافت إلى عمالته الحصون،ثم وقعت المهادنة،وأعقبتها المُفاتنة،وكان من أمره ما وقع التنبيه على عيون منه في ذكر ولده»[1].

وتطرق إلى نكبته،وقدم متابعة تاريخية لها فذكر أنه لما«استأصلت القطيعة مُحتجنه الراكد في مغابن الخزائن من لدن عام سبعة وسبعين وستمائة،واستنفدت عتاده المطاولة،نظر لنفسه فوجه كاتبه الوزير أبا عبد الله بن عيسى،وعاقده على الخروج له عن مالقة،مُتعوضاً عنها بمدينة سلا عن عمل ملك المغرب،وتم ذلك في شهر رمضان من عام ثلاثة عشر،وسبعمائة،وذاع خبره،وضاقت بأولياء انتزائه السبل،إذ تحققوا بإخفاق المسعى،وسقوط العشي بهم على سرحان من سلطانهم الراغبين عنه،فدخلوا ولده،المقدم الأمر أبا الوليد،واتفق أمرهم على خلعه،ومعالجة الأمر قبل تمامه في...من شهر رمضان ركب الرئيس،رحمه الله،في نفر من مماليكه المروقة إلى بعض بساتينه،فلما قضى وطره،وهم بالخروج عنه اعترضه القوم عند بابه،فالتفوا به،وأشعروه غرضهم فيه،وجاءوا به إلى بعض القصور بظاهر البلد،فجعلوه به تحت رقبة،وقد بادر ولده القصبة،فاستولى عليها من غير ممانعة،لعدم استرابة ثقاته به،إلا ما كان من خائن يتولى القيام ببعض أبوابها هم بسده،فطاح لحينه،وتم لولده الاستبداد بالأمر،واستولى على النصب،والذخيرة،وباقي

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٢٤٢ وما بعدها.

المال،ونُقل الرئيس إلى معقل قرطبة،فلما خلص الأمر لولده،انتقل إلى معقل شلوبانية،فلم يزل به لا يبرح عن باب قصره مرفها عليه إلى أن قضى نحبه»[1].

وكان ذلك في الرابع عشر لشهر ربيع الأول من عام عشرين،وسبعمائة،بشلوبانية،وجيء بجنازته محمولاً على رؤوس صدور الدولة،ووجوه رجالها،وتم دفنه بمقبر السبيكة،وكان ولده أمير المسلمين واقفاً بإزاء لحده مظهر الاكتراث لفقده،وقد نقش على قبره في الرخام البديع ما نصه:

«هذا قبر علم الأعلام،وعماد دين الإسلام،جواد الأجواد،أسد الآساد،حامي الثغور،وممهد البلاد،المجاهد في ذات الله حق الجهاد،شمس الملك وبدره،وعين الزمان وصدره،الكريم الأخلاق،الطاهر الذات،والأعراق،الذي سار ذكره في الآفاق،وخلد من فضائله ما تتحلى به ظهور المنابر،وبطون الأوراق،كبير الإمامة النصرية،وعظيم الدولة الغالبية،فرع الملك وأصله،ومن وسع الأنام عدله،وفضله،مخلد الفخر الباقي على الأعصار،والعمل الصالح الذي يُنال به الحُسنى،وعُقبى الدار،بسلالته الطاهرة الكريمة المآثر والآثار،الإمام الرضي ناصر دين المختار،المنتخب من آل نصر،ونعم النسب الكريم في الأنصار،الهمام الأكبر،الأشهر،المقدم،المرحوم،الأطهر، أبو سعيد ابن الإمام علي،ناصر دين الأيمان،وقاهر عبدة الصلبان،صنو الإمام الغالب بالله،ومجهز الجيوش في سبيل الله،سهام العدا،وغمام الندى،وضرغام الحروب،ذي البأس المرهوب،والجود المسكوب،بطل الأبطال،ومناخ الآمال،المجاهد،الظاهر،المقدس،المرحوم أبي الوليد بن نصر،قدّس الله مضجعه،ورقاه إلى الرفيق الأعلى،ورفعه،كان رضي الله عنه،وحيد عصره،وفريد دهره،علت في سماء المعالي رتبه،وكرُم من أمير

---

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٢٤٣ وما بعدها.

المسلمين صهره،ونسبه،فلا يُزاحم مكانه،و لا يُداني منصبه.نفذت أحكامه في الشرق والغرب،ومضت أوامره في العجم والعرب،إلى أن استأثر الله به،فكانت وفاته ليلة الخميس الرابع عشر لشهر ربيع الأول من عام عشرين،وسبعمائة،وكان مولده يوم الجمعة الثامن لشهر رمضان المعظم من عام ست وأربعين،وستمائة،فسبحان الله الملك الحق،الباقي بعد فناء الخلق »[1].

٦-الفتح بن علي بن أحمد بن عبيد الله الكاتب(المشهور)

ينتمي إلى قرية تعرف بصخرة الواد،وهي من قرى قلعة يحصب،يكنى بأبي نصر،ويعرف بابن خاقان.

ويذهب ابن الخطيب في وصف حاله إلى أنه كان آية من آيات البلاغة،ولا يدرك شأوه عذب الألفاظ ناصعها،أصيل المعاني وثيقها،لعوباً بأطراف الكلام،مُعجزاً في باب الحلى،والصفات.ويشير إلى أنه كان مجازفاً،مقدوراً عليه،لا يمل من المعاقرة،والقصف،حتى هان قدره،وابتذلت نفسه،وساء ذكره،ولم يدع بلداً من بلاد الأندلس إلا دخله،مُسترفداً أميره،وواغلاً على عليته.

وأورد ما قيل عنه في«الصلة»:«وكان معاصراً للكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال،إلا أن بطالته أخلدت به عن مرتبته.وقال ابن عبد الملك:دخل يوماً إلى مجلس قضاء أبي الفضل عياض مخمراً،فتنسم بعض حاضري المجلس رائحة الخمر،فأعلم القاضي بذلك،فاستثبت وحده حداً تاماً،وبعث إليه بعد أن أقام عليه الحد،بثمانية دنانير،وعمامة.فقال الفتح حينئذ لبعض أصحابه عزمت على إسقاط اسم القاضي أبي الفضل من كتابي الموسوم ب«قلائد العقيان»،قال:فقلت لا تفعل وهي نصيحة،فقال:وكيف ذلك،فقلت له:قصتك معه من الجائز أن تنسى،وأنت تريد أن تتركها

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٢٤٥.

مؤرخة،إذ كل من ينظر في كتابك يجدك قد ذكرت فيه من هو مثله ،ودونه في العلم والصيت،فيسل عن ذلك فيقال له:اتفق معك كيت وكيت،فيتوارث العلم عن الأكابر الأصاغر.قال فتبين له ذلك،وعلم صحته،وأقر اسمه.

وحدثني بعض الشيوخ أن سبب حقده على ابن باجة أبي بكر آخر فلاسفة الإسلام بجزيرة الأندلس ما كان من إزرائه به،وتكذيبه إياه في مجلس إقرائه،إذ جعل يكثر ذكر ما وصله به أمراء الأندلس،ويذكر الفخر بذلك،ووصف حليا،وكانت تبدو من أنفه فضلة خضراء اللون،زعموا،فقال له،فمن تلك الجواهر إذاً الزمردة التي على شاربك فثلبه في كتابه،بما هو معروف في الكتاب،وعلى ذلك أبو نصر نسيج وحده،غفر الله له»[1].

وعن مشيخته ذكر ابن الخطيب أنه روى عن أبي بكر بن سليمان بن القصيرة،وابن عيسى بن اللبانة،وأبي جعفر بن سعدون الكاتب،وأبي الحسن بن سراح،وأبي خالد بن مستقور،وأبي الطيب بن زرقون،وأبي عبد الله بن خلصة الكاتب،وأبي عبد الرحمن بن طاهر،وأبي عامر بن سرور،وأبي محمد بن عبدون،وأبي الوليد بن حجاج،وابن دريد الكاتب.

أما مصنفاته فشهيرة منها: «قلائد العقيان»،و«مطمح الأنفس»،و«المطمح»،ورأى أن شعره وسط،وكتابته فائقة.

وأشار إلى وفاته التي كانت ليلة الأحد بمراكش لثمان بقين من محرم من عام تسع وعشرين وخمسمائة،حيث وجد قتيلاً ببيت من بيوت فندق لبيب أحد فنادقها،وقد ذُبح،وعُبث به،وما شُعر به إلا بعد ثلاث ليال من مقتله.

٧- سهل بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي

افتتح ابن الخطيب حديثه عنه بالشهادة التي كتبها أبو جعفر بن مسعدة، الذي تحدث عنه قائلاً: «كان رأس الفقهاء،وخطيب الخطباء البلغاء،وخاتمة رجال الأندلس،تفنن في

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٢٤٩ وما بعدها.

ضروب من العلم،وبالجملة فحاله ووصفه في أقطار الدنيا،لا يُجمله أحد،فحدث عن البحر ولا حرج،ضنَّ الزمان أن يسمح برجل حاز الكمال مثله»[1].

وفي حديثه عن حاله أورد ما ذكره ابن عبد الملك عنه،حيث وصفه بأنه كان«من أعيان مصره،وأفضل أهل عصره،تفنُّناً في العلوم،وبراعة في المنثور، والمنظوم،محدِّثاً ضابطاً،عدلاً ثقة ثبتاً،حافظاً للقرآن العظيم،مجوداً له،متقناً في العربية،وافر النصيب من الفقه،وأصوله،كاتباً مُجيداً للنظم في معرب الكلام، وهزله،ظريف الدعابة،مليح التندير.له في ذلك أخبار مُستظرفة متناقلة ذا جدة،ويسار،متين الدين،تام الفضل،واسع المعروف،عميم الإحسان،تصدق عن القرب من وفاته بجملة كبيرة من ماله،ورباعه،وله وفادة على مراكش»[2].

وبالنسبة لمشيخته أشار ابن الخطيب إلى أنه قد روى ببلده عن خاله أبي عبد الله بن عروس،وخال أمه أبي بكر يحيى بن محمد بن عروس،وأبي جعفر بن حكم،وأبي الحسن بن كوثر،وأبي خالد بن رفاعة،وأبي محمد عبد المنعم بن الفرس،وبمالقة عن أبي زيد السهيلي،وأبي عبد الله بن الفخار،وبمرسية عن أبي عبد الله بن حُميد،وأبي القاسم بن حُبيش،وبإشبيلية عن أبي بكر بن الجد،وأبي عبد الله بن زرقون،وأبوي عبد الله العباس بن مضاء،والجراوي الشاعر،وأبي الوليد بن رشد. قرأ عليهم،وسمع،وأجازوا له ،وأجاز له عبد الحق بن الخراط نزيل بجاية،ومن أهل المشرق جماعة منهم إسماعيل بن علي بن إبراهيم الجراوي،وبركات بن إبراهيم الخُشُوعي أبو طاهر،،وعبد الرحمن بن سلامة بن علي القضاعي،وغيرهم.

وممن روى عنه:الطوسي،وابن سعيد القزاز،وأبو الحسن العنسي،وأبو عبد الله بن أبي بكر البري،وابن الجنان،وأبو محمد عبد الرحمن بن طلحية،وأبو محمد بن هارون،وأبو

---

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٢٧٧.

(٢) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٢٧٧ وما بعدها.

القاسم بن نبيل،وأبو يعقوب بن إبراهيم بن عقاب،وأبو جعفر الطباع،وأبو الحجاج بن حكم،وأبو الحسن الرعيني،وأبو علي بن الناظر،وغيرهم[1].

وتحدث ابن الخطيب عن محنته،حيث امتحن بالتغريب عن وطنه،وأسكن بمرسية مدة طويلة،إلى أن هلك بالمرية الأمير أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود آخر جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستمائة.

وعن تواليفه فقد صنف في العربية كتاباً مُفيداً،رتب الكلام فيه على أبواب كتاب سيبويه،وله تعاليق جليلة على كتاب المُستصفى في أصول الفقه،وديوان شعر كبير.

وقد ولد عام تسعة وخمسين وخمسمائة،وتوفي بغرناطة في منتصف ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وستمائة،وذهب ابن الأبار إلى أن وفاته كانت سنة أربعين،وستمائة،ويؤكد ابن الخطيب أن هذه الرواية غير صحيحة،وقد دفن بمقبرة شقستر،ووصفه ابن عبد الملك بأنه كان كريم النفس،فاضل الطبع،نزيه الهمة،حصيف الرأي،شريف الطباع،وجيهاً،مبروراً، معظماً عند الخاصة،والعامة[2].

٨- يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي هو أمير المسلمين بالأندلس(أبو الحجاج).

وقد أسهب ابن الخطيب في الحديث عن هذا الأمير في المجلد الرابع مقارنة مع بقية الشخصيات،حيث تحدث في ترجمته له عن:حاله وصفته،ووزراء دولته،وكتابه،وقضاته،ورئيس الغزاة ويعسوب الجند الغربي،من كان على عهده من الملوك،ووفاته.

---

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٢٧٨.

(٢) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٢٨٦.

أولاً: حاله وصفته:

قدم فيها ابن الخطيب وصفاً دقيقاً له،محيطاً بشتى الجوانب في شخصيته،حيث جاء فيها: «كان أبيض أزهر،أيّداً،برّاق الثنايا،أنجل،رجل الشعر أسوده،كثّ اللحية،تقع العين منه على بدر التمام،يفضل الناس بحسن المرأى،وجمال الهيئة،كما يفضلهم مقاماً ورتبة،عذب اللسان،وافر العقل،عظيم الهيبة،إلى ثقوب الذهن،وبُعد الغُور،والتفطن للمعاريض،والتبريز في كثير من الصنائع العملية،مائلاً إلى الهدنة،مُزجياً للأمور،كلِفاً بالمباني والأثواب،جمّاعة للحُلي والذخيرة،مستميلاً لمعاصريه من الملوك.تولى الملك بعد أخيه بوادي السقائين من ظاهر الخضراء،ضحوة يوم الأربعاء الثالث عشر من ذي الحجة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة،وسنُّه إذ ذاك خمسة عشر عاماً،وثمانية أشهر،واستقل بالملك،واضطلع بالأعباء،وتملأ الهدنة ما شاء.وعظُم مرانه لمباشرة الألقاب،ومطالعة الرسم،فجاء نسيج وحده،ثم عانى شدائد العدو،فكرُم يوم الوقيعة العظمى بظاهر طريف موقعه،وحُمد بعد في منازلة الطاغية عند الجثوم على الجزيرة صبره،وأجاز البحر في شأنها،فأفلت من مكيدة العدو التي تخطاها أجله،وأوهن حبلها سعده،ولما نفذ فيها القدر،وأشفت الأندلس،سدد الله أمور المسلمين بها على يده،وراخى مخنق الشدة بسعيه،فعرفت الملوك رجاحته،وأثنت على قصده إلى حين وفاته.

أمه:أم ولد تُسمى بهارا،طرفٌ في الخير،والصون،والرجاحة.

ولده:كان له ثلاثة من الولد،كبيرهم محمد أمير المسلمين من بعده،وتلوه أخوه إسماعيل المستقر في كنفِهِ،محجوراً عليه التصرف إلى أعمال التدبير،وثالثهم اسمه قيس،شقيق إسماعيل»[1].

---

(١) المصدر السابق،مج:٠٤،ص:٣١٨ وما بعدها.

ثانياً :وزراء دولته :

قدم ابن الخطيب عرضا متميزاً عن وزراء دولته منذ بداية عهده بالحكم،إلى آخر أيامه،وجاء في عرضه قوله:«تولى وزارته لأول أمره،كبير الأكره،ونبيه الدهاقين من منتجعي المدر بحضرته،أبو إسحاق بن عبد البر،لحيلة طمع نشأت لمقيمي الدولة فيما بيده،سداً لحال بها على عوز طريقه إلى حضرته إلى ثالث شهر المحرم من العام.وأنِف الخاصة والنبهاء رئاسته،فطلبوا من السلطان إعاضته،فعدل عنه إلى خاصة دولتهم الحاجب أبي النعيم رضوان مظنة التسديد،ومحط الإنفات،فاتصل نظره مستبداً عليه في تنفيذ الأمور،وتقديم الولاة والعمال،وجواب المخاطبات،وتدبير الرعايا،وقوْد الجيوش،ثم نكبه،وأحاط به مكروهاً،مجهول السبب ليلة الأحد الثاني والعشرين لرجب عام أربعين وسبعمائة.

وتولى الوزارة بعده ابن عمة أبيه القائد أبو الحسن علي بن مول بن يحيى بن مول الأمي،ابن عم وزير أخيه،رجل جهوري حازم،مؤثر للغلظة على الشفقة،ولم ينشب أن كف كف استبداده،فانكدر نجم سعادتهم،والتأثث حاله.ولزمته شكاية سدكت فاستنقذته.وأقام لرسم الوزارة كاتبه شيخنا نسيج وحده أبا الحسن بن الجياب إلى أخريات شوال عام تسعة،وأربعين،وسبعمائة،وهلك رحمه الله فأجرى لي الرسم،وعصب لي تلك المثابة،مُضاعف الجراية،معززة بولاية القيادة»[1]

ثالثاً :كتابه وقضاته :

ذكر ابن الخطيب أن الكتابة في عهده تولاها كاتب أخيه،وأبيه شيخنا المذكور،ويقصد به أبو الحسن بن الجياب،وتقلد لسان الدين بن الخطيب كتابة سره،مثناة بمزيد قربه،مظفرة برسم وزارته كما عبر عن ذلك حينما تحدث عن نفسه.

---

(١) المصدر السابق،مج:٠٤،ص:٣١٩ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق،مج:٠٤،ص:٣٢٠.

وتولى أحكام القضاء قاضي أخيه الصدر البقية أبو عبد الله محمد بن محيى بن بكر إلى غاية يوم الوقيعة،أي وقيعة طريف الكبرى،والتي فقد في مصافه،وتحت لوائه.

كما تولى القضاء الفقيه المفتي أبو عبد الله محمد بن عياش ،وهو من أهل مالقة،ولم يستمر طويلاً،سوى بعض الأيام،وطلب الإعفاء،فتولى القضاء مكانه الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن برطال،وهو من أهل مالقة،فأجرى الأحكام إلى غاية الرابع من شهر ربيع الآخر عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة،وجاء عوضاً عنه الفقيه الشريف أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني السبتي المولد،والمنشأ،وبعده تولى القضاء الشيخ أبو البركات بن الحاج،ثم أعيد من جديد الشريف الفاضل أبو القاسم إلى يوم وفاته[1].

وتحدث ابن الخطيب عن رئيس الغزاة،ويعسوب الجند الغربي فقال:«تولى ذلك لأول الأمر الشيخ أبو ثابت عامر بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق،قريع دهره في النكراء،والدهاء،المسلم له في الرتبة،عناقة،ورأياً،وثباتاً،إلى أن نكبه،وقبض عليه،وعلى إخوته يوم السبت التاسع،والعشرين من ربيع الأول عام أحد وأربعين وسبعمائة،وأقام شيخنا ورئيساً دائلهم،وابن عمهم،المتلقف لكرة عزهم يحيى بن عمر بن رحو،ولي ذلك بنفسه،ونديمه،ومبرز خصاله إلى تمام مدته»[2].

رابعاً :من كان على عهده من الملوك :

قدم ابن الخطيب متابعة وافية عمن كان على عهده من الملوك،وتطرق في البدء إلى فاس،ثم تلمسان،ثم تونس،ثم ملوك النصارى بقشتالة،حيث جاء في حديثه عنها:«وأولاً بفاس دار الملك بالمغرب،السلطان المتناهي الجلالة،أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق.وجاز على عهده إلى الأندلس إثر صلاة الجمعة تاسع عشر صفر،من عام أحد وأربعين وسبعمائة،بعد أن أوقع بأسطول الروم المستدعى من أقطارهم، وقيعة كبيرة شهيرة،استولى فيها من المتاع،والسلاح،والأجفان، على ما قدم به العهد،واستقر بالخضراء في جيوش وافرة،وكان جوازه في مائة وأربعين جفناً غزوياً...،وكان هذا السلطان ،رحمه

---

(١) المصدر السابق،مج: ٤،ص:٣٢١.

الله،ممن دوخ الأقطار،وجاهد الكفار،ووطيء بالأساطيل خدود البحار،والتمس ما عند الله من الثواب،وأعلق يده من نسخ كتابه بأوثق الأسباب، إلى أن استوثق الأمر لولده أمير المؤمنين بالمغرب،وما إليه،فارس المكنى بأبي عنان،الملقب بالمتوكل على الله،فقام بالأمر أحمد قيام،وجرت بين هذا السلطان،وبينه المخاطبات،والمراسلات،وسفرني إليه لأول الأمر معزياً بأبيه،ومهنئاً بما صار إليه من ملكه،واستصحبت إليه كتاباً من إنشائي...

وبمدينة تلمسان:عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان،يكنى أبا تاشفين،وقد تقدم ذكره،وهو الذي انقضى ملك بني زيان على يده.تولى الملك عام ثمانية عشر كما تقدم،وتهنأه إلى أن تأكدت الوحشة بينه،وبين السلطان ملك المغرب،فتحرك لمنازلته،وأخذ بكظمه،وحصره سنين ثلاثاً،واقتحم عليه ملعب البلدة ليلة سبع وعشرين من رمضان عام سبعة وثلاثين وسبعمائة،وفي غرة شوال منها دخل البلد من أقطار عنوة،ووقف هو،وكبير ولده برحبة قصره،قد نزعا لام الحرب المانعة من عمل السلاح،استعجالاً للمنية،ورغبة في الإجهاز،وقاما مقام الثبات،والصبر، والاستجماع،إلى أن كُوثرا،وأثخنا،وعاجلتهما منية العز قبل شد الوِثاق،وإمكان الشمات،واستولى على الملك ملك المغرب...

ثم نشأت لهم بارقة،لم تكد تفد حتى خبت،عندما جرت على السلطان أبي الحسن الهزيمة بالقيروان،وانبت عن أرضه،وصرفت البيعة في الأقطار إلى ولده،وارتحل إلى طلب منصور ابن أخيه،المنتزى بمدينة فاس،فدخلوا تلمسان،وقبضوا على القائم بأمرها،وقدموا على أنفسهم عثمان بن يحيى بن عبد الرحمن بن يغمراسن المتقدم الذكر في رسم عثمان، وذلك في الثامن والعشرين لجمادى الآخرة من عام تسعة وأربعين وسبعمائة،واستمرت أيامه أثناء الفتنة،وارتاش،وأقام رسم الإمرة،وجدد ملك قومه.واستمرت حاله إلى أن أوقع بهم ملك المغرب،أمير المسلمين أبو عنان الوقيعة المصطلمة التي خضدت الشوكة،واستأصلت الشأفة،وتحصل عثمان في قبضته.ثم ألحقت النكبة به أخاه،فكانت سبيلهما في القتل صبرا ،وعبرة،وذلك في وسط ربيع الأول من عام التاريخ.

وبتونس:الأمير أبو يحيى أبو بكر بن الأمير أبي زكريا بن الأمير أبي إسحاق بن الأمير أبي زكريا إلى أن هلك.وولى الأمر ولده عمر ثم ولده أحمد،ثم عاد الأمر إلى عمر.ثم استولى ملك المغرب السلطان أبو الحسن على ملكهم.ثم ضم نشرُهم بعد نكبته،وخروجه عن وطنهم على أبي إسحاق بن أبي بكر.

ومن ملوك النصارى بقشتالة:ألفنش بن هرندة بن دون جانجه بن ألفنش المستولي على قرطبة،ابن هرندة المستولي على إشبيلية.إلى عدد جم.وكان طاغية مرهوباً،وملكاً مجدوداً.هبت له الريح،وعظمت به إلى المسلمين النكاية.وتملك الخضراء بعد أن أوقع بالمسلمين الوقيعة الكبرى بطريف.ثم نازل جبل الفتح،وكاد يستولي على هذه الجزيرة،لولا أن الله تداركها بجميل صنعه،وخفي لطفه،لا إله إلا هو،فهلك بظاهرة في محلته حتف أنفه ليلة عاشوراء من عام أحد وخمسين وسبعمائة،فتنفس المخنق،وانجلت الغمة،وانسدل الستر،كنت منفرداً بالسلطان رحمه الله،وقد غلب اليأس،وتوقعت الفضيحة،أونسه بعجائب الفرج بعد الشدة،وأقوى بصيرته في التماس لطف الله،وهو يرى الفرج بعيداً،ويتوقع من الأمر عظيماً،وورد الخبر بمهلكه،فاستحالت الحال إلى ضدها، من السرور والاستبشار...

وببرجلونة: السلطان بطره المتقدم ذكره في اسم أخيه.

ومن الأحداث في أيامه الوقيعة الكبرى بظاهر طريف يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى،من عام أحد وأربعين وسبعمائة،وما اتصل بذلك من منازلة الطاغية ألهنشه،قلعة يحصب الماسة الجوار من حضرته،واستيلائه عليها،وعلى باغة،ثم منازلة الجزيرة الخضراء عشرين شهراً،أوجف خلالها بجيوش المسلمين من أهل العدوتين إلى أرضه.ثم استقر منازلاً إياها إلى أن فاز بها قِداحه،والأمر لله العلي الكبير،في قصص يطول ذكره،تضمن ذلك(طرفة العصر)من تأليفنا،ثم تهنأ السلم،والتحف جناح العافية،والإمنة برهة»[1].

---

(١) المصدر السابق،مج:٠٤،ص:٣٢١ وما بعدها.

خامساً :وفاته :

ختم ابن الخطيب متابعته لمسيرة الأمير يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي،بسرد حادثة وفاته فذكر أن الأمير يوسف«ما استكمل أيام حياته،وبلغ مداه،أتم ما كان شباباً،واعتدالاً وحسناً،وفخامة،وعزاً حتى أتاه أمر الله من حيث لا يحتسب،وهجم عليه يوم عيد الفطر من عام خمسة،وخمسين وسبعمائة في الركعة الأخيرة رجل من عِداد الممرورين،رمى بنفسه عليه،وطعنه بخنجر كان قد أعده،وأغرى بعلاجه،وصاح،وقُطعت الصلاة،وقُبض عليه،واستُفهم،فتكلم بكلام مُخلط،واحتُمل إلى منزله،على فوت لم يستقر به،إلا وقضى رحمه الله،ورضي عنه،وأُخرج ذلك الخبيث للناس،وقُتل،وأُحرق بالنار،مبالغة في التشفي،ودفن السلطان عشية اليوم في مقبرة قصره لصق والده،وولي أمره ابنه أبو عبد الله محمد،وبولغ في احتفال قبره،بما أشف على من تقدمه،وكتب عليه ما نصه:

(هذا قبر السلطان الشهيد،الذي كرمت أحسابه،وأعراقه،وحاز الكمال خلقُه،وأخلاقُه،وتحدث بفضله،وحلمه،شام المعمور،وعراقُه صاحب الآثار السنية،والأيام الهنية،والأخلاق الرضية،والسير المرضية،الإمام الأعلى،والشهاب الأجلى،حُسام الملة،علم الملوك الجلة،الذي ظهرت عليه عناية ربه،وصنع الله له في سلمه،وحربه،قطب الرجاحة،والوقار،وسلالة سيد الأنصار،حامي حمى الإسلام برأيه،ورايته،المستولى في ميدان الفخر على غايته،الذي صحبته عناية الله، في بداية أمره،وغايته،أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ابن السلطان الكبير الإمام الشهير،أسد دين الله،الذي أذعنت الأعداء لقهره،ووقفت الليالي،والأيام عند بيته،وأمره.رافع ظلال العدل في الآفاق حامي حمى السنة بالسمر الطوال،والبيض الرقاق،مخلد صحف الذكر الخالد،والعز الباق،الشهيد السعيد المقدس أبي الوليد ابن الهمام الأعلى

الطاهر النسب،والذات،ذي العز البعيد الغايات،والفخر الواضح الآيات،كبير الخلافة النصرية،وعماد الدولة الغالبية المقدس المرحوم أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن نصر،تغمده الله برحمة من عنده،وجعله في الجنة جاراً لسعد بن عُبادة جده،وجازى عن الإسلام والمسلمين حميد سعيه،وكريم قصده.قام بأمر المسلمين أحمد القيام،ومهد لهم الأمن من ظهور الأيام،و جلى لهم وجه العناية مشرق القسام،وبذل فيهم من تواضعه وفضله،كل واضح الأحكام.إلى أن قضى الله بحضور أجله،على خير عمله،وختم له بالسعادة،وساق إليه على حين إكمال شهر الصوم هدية الشهادة، وقبضه خاشعاً ساجداً مُنيباً إلى الله ضارعاً،مستغفراً لذنبه،مطمئناً في الحالة التي أقرب ما يكون العبد فيها من ربه.على يد شقي قيضه الله لسعادته،وجعله سبباً لنفوذ سابق مشيئته ،وإرادته،خفي مكانه لخمول قدره.وتم بسببه أمر الله لحقارة أمره.وتمكن له عند الاشتغال بعبادة الله ما أضمره من غدره،وذلك في السجدة الأخيرة من صلاة العيد،غرة شوال من عام خمسة وخمسين وسبعمائة.نفعه الله بالشهادة التي كرم منها الزمان،والمكان،ووضح منها على قبول رضوان الله البيان،وحشره مع سلفه الأنصار،الذين عز بهم الإيمان،وحصل لهم من النار الأمان.وكانت ولايته الملك في غرة اليوم الرابع عشر لذي الحجة من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة.ومولده في الثامن والعشرين لربيع الآخر عام ثمانية عشر وسبعمائة.فسبحان من انفرد بالبقاء المحض،وحتم الفناء على أهل الأرض، ثم يجمعهم إلى يوم الجزاء،والعرض،لا إله إلا هو) »[1].

---

(١) المصدر السابق،مج:٠٤،ص:٣٣٣ وما بعدها.

٩-يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عُقبة بن نافع الفهري

تحدث ابن الخطيب في البدء عن أوليته،ثم سلط الضوء على حاله،وذهب إلى أنه كان«شريفاً جليلاً،حازماً عاقلاً،اجتمع عليه أهل الأندلس من أجل أنه قُرشي،بعد موت أميرهم ثوابة بن سلامة،ورضي به الخيار من مُضر،واليمن،فدانت له الأندلس،تسع سنين،وتسعة أشهر،وكان آخر الأمراء بالأندلس،وعنه انتقل سلطانها إلى بني أمية.وأشرك الصميل بن حاتم في أمره،فتركت لذلك نسبة الأمر له،وكانت الحرب التي لم بالمشرق،والمغرب أشد جلاداً،ولا أصبر رجالاً منها،واعتزلها يوسف تحرفاً،وقام بأمرها الصُميل،وانهزم اليمانيون،واستلحموا ملحمة عظيمة،واستوسق الأمر ليوسف،وغزا جليقية،فعظم في عُدوها أثره.ولما تم له الأمر طرقه ما تقدم به الإلماع،من عبور صقر بني أمية عبد الرحمن الداخل في خبر طويل.والتقى بظاهر قرطبة سنة ثمان وثلاثين ومائة في ذي الحجة.وانهزم يوسف بن عبد الرحمن،والصميل،ولحقا بإلبيرة،وأتبعهما عبد الرحمن بن معاوية فنازله،وقد تحصن بمعقل إلبيرة حصن غرناطة،وترددت بينهما الرسل في طلب المهادنة،والبقاء على الصلح.وتخلى يوسف عن الدعوة،واستقر سكناه بقرطبة. وذلك في صفر سنة تسع وثلاثين ومائة،وأقيل معه في عسكره إلى قرطبة.و ذُكر أنه تمثل عند دخوله عسكر عبد الرحمن ببيت جرور بن إبنة النعمان:

فبيْنَا نسُوسُ الأمرَ والأمرُ أَمْرُنَا   إذا نحنُ فيهم سُوقةٌ نَتَنصَفُ
فَتباً لدُنيَا لا يدُومُ نَعِيمُها   تُقلِّبُ ساعاتٍ بنَا وتَصرِّفُ

واستقر بقرطبة دهراً،ثم بدا له في الخلاف،ولحق بأحواز طليطلة،وأعاد عهد الفتنة،فاغتاله مملوكان له،وقتلاه رحمه الله،في سنة اثنتين وأربعين ومائة.وأخبار يوسف بن عبد الرحمن معروفة،وهو محسوب من الأمراء الأصلاء بغرناطة،إذ كانت له قبل الإمارة بها ضياع يتردد إليها»[1].

---

(١) المصدر السابق،مج:٠٤،ص:٣٣٩ وما بعدها.

١٠-يحيى بن علي بن غانية الصحراوي،الأمير أبو زكريا

تحدث ابن الخطيب باستفاضة عن أخبار عزمه،وأكد على أنه كان بطلاً شهماً حازماً،كثير الدهاء،والإقدام،والمعرفة بالحروب،مجمعاً على تقدمه،وقد كانت نشأته في صحبة الأمير بقرطبة محمد بن الحاج اللمتوني،وتوفي بعد وصوله إلى غرناطة وإقامته بها لمدة شهرين،وذلك عصر يوم الجمعة الرابع عشر من شعبان عام ثلاثة،وأربعين،وخمسمائة،وتم دفنه بداخل القصبة في المسجد الصغير المتصب بقصر باديس بن حبوس مجاوراً له في مدفنه.

١١-يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن منصور بن مصالة بن أمية بن وايامي الصنهاجي ثم اللمتوني يكنى أبا يعقوب،ويُلقب بأمير المسلمين.

تحدث ابن الخطيب في البدء عن أوليته،فقدم صورة وافية عن بدايته حيث جاء في حديثه عن أوليته: «ذكروا أن يحيى بن إبراهيم بن توقورت حج،وهو كبير قبيل الصحراويين في عشر الأربعين،وأربعمائة،واجتاز على القيروان،وهي موفورة بالعلماء،وتعرّف بالفقيه أبي عمران الفاسي،ورغب إليه أن ينظر له في طلب من يستصحبه،ليعلّم قومه،ويفقههم،فخاطب له فقيهاً من فقهاء المغرب الأقصى اسمه واجاج،واختار له واجاج عبد الله بن ياسين القائم بدولتهم،البادي نظم نشرهم،فانقادوا له انقياداً كبيراً،وتناسل الناس،فضخم العدد،وغزا معهم قبائل الصحراء.قم التأثت حاله معهم،فصرفوه،وانتبهوا كتبه،لجأ إلى أمير لمتونة يحيى بن عمر بن تلايكان اللمتوني،فقبله،وأعاد حاله،وثابت طاعته،فأمضى القتل على من اختلف عليه،وكان يحيى بن عمر يمتثل أمر عبد الله امتثالاً عظيماً.ثم خرج بهم إلى سجلماسة،فتملكوها،وتملكوا الجبل.ثم ظهروا على المغرب،ثم قُتل الأمير يحيى بن عمر،فقدَّم عبد الله أخاه أبا بكر بن عمر بدرعة،ونهد به،فتملك جبال المصامدة،واحتل بأغمات،وريكة،واستوطنها.ولعبد الله أخبار غريبة،وشذوذ في الأحكام الله أعلم بصحتها،وقتل عبد الله بن ياسين برغواطة.ولم يزل الأمير أبو بكر بن عمر حتى أخذ ثاره،وأثخن القتل فيهم،وقدَّم ابن عمه يوسف بن تاشفين بن إبراهيم على عسكر كبير،فيهم أشياخ لمتونة،وقبائل البرابرة،والمصامدة،واجتاز

على بلاد المغرب،فدانت له.وطرق الأمير أبا بكر خبر من قومه من الصحراء انزعج له،فولى يوسف بن تاشفين على مملكة المغرب،وترك معه الثلث من بمتونة،إخوانه،وأوصاه،وطلق زوجته زينب،وأمره بتزوجها،لما بلاه من يُمنها.فبنى يوسف مدينة مراكش،وحصَّنها،وتحبب إلى الناس،واستكثر من الجنود،والقوة،وجبى الأموال،واستبد بالأمر.ورجع الأمير أبو بكر من الصحراء سنة خمس وستين وأربعمائة،فألفى يوسف مستبداً بأمره،فسالمه،وانخلع له عن المُلك،ورجع إلى صحرائه،فكان بها تصِله هدايا يوسف إلى أن قتله السودان،فهزم الطاغية الهزيمة الكبرى.واستولى يوسف على المغرب كله،ثم أجاز البحر إلى الأندلس،فهزم الطاغية الهزيمة الكبرى بالزلاَّقة،وخلع أمراء الطوائف،وتملك البلاد إلى حين وفاته»[1].

كما حدثنا ابن الخطيب عن حاله،وصفاته،وأخلاقه فأشار إلى ما قاله أبو بكر بن محمد بن يحيى الصيرفي«كان رحمه الله خائفاً لربِّه،كتوماً لسره،كثير الدعاء،والاستخارة،مقبلاً على الصلاة،مديماً للاستغفار،أكثرُ عِقابه لمن تجرأ،أو تعرض لانتقامه،الاعتقال الطويل،والقيد الثقيل،والضرب المُبرِّح،إلا من انتزى أو شق العصا،فالسيف أحسم لانتشار الداء.يُواصل الفقهاء،ويعظِّم العلماء،ويصرف الأمور إليهم،ويأخذ فيها بآرائهم،ويقضي على نفسه،وغيره بفتياهم،ويحضُّ على العدل،ويصدع بالحق،ويعضِّد الشرع،ويحزِم في المال،ويُولع بالاقتصاد في الملبس،والمطعم،والمسكن،إلى أن لقي الله مجداً في الأمور،مُلقناً للصواب،مستحباً حال الجد،مؤدياً إلى الرعايا حقها،من الذب عنها،والغِلظة على عدوها،وإفاضة الأمن والعدل فيها،يرى صور الأشياء على حقيقتها.تسمى بأمير المسلمين لما احتل الأندلس،وأوقع بالروم،وكان قبل يدعى الأمير يوسف،وقامت الخطبة فيها،وأوقع بالروم،وكان قبل يدعى الأمير يوسف،وقامت الخطبة فيها جميعاً باسمه،وبالعُدوة،بعد الخليفة العباسي،وكان درهمه فضة،ودنيره تبرٌ محض،في إحدى صفحتي الدُّنير(لا إله إلا الله،محمد رسول الله).وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن

---

(١) المصدر السابق،مج:٠٤،ص:٣٤٨ وما بعدها.

تاشفين،وفي الـدائر،ومن يبتـغ غـير الإسـلام ديناً فلـن يُقبـل منـه،وهو في الآخـرة مـن الخاسرين.

وفي الصفحة الأخرى،الإمام عبد الله أمير المسـلمين،وفي الـدائر تـاريخ ضربه،وموضـع سِكته،وفي جهتي الدرهم ما حمله من ذلك»[١].

وبعد أن أورد ابن الخطيب بعض أخباره،ختم بالحديث عن وفاتـه الـتي كانـت بمدينـة مراكش يوم الإثنين مستهل محرم سنة خمسمائة.

كما نلتقي في المجلد الرابع من كتاب الإحاطة مع الكثير من التراجـم الهامـة،والمتميزة للكثير من الأعلام،من رجال التفكير،والأدب،ورجال التاريخ،ومن بين الذين ترجم لهم في هذا المجلد نذكر:يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر،ولي عهد أمير المسلمين الغالب بالله،ويوسف بن عبد المؤمن بن علي،الخليفة أبو يعقوب الوالي بعد أبيه،ويوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو،أمير المسـلمين بـالغرب،والمكنى بـأبي يعقوب،والـذي يصـفه ابـن الخطيـب بأنـه كـان«ملكـاً عـالي الهمة،بعيـد الصـيت،مرهوب الشـبا،رابط الجأش،صعب الشكيمة،على عهده اعتلى الملك،وناشب القبيل،واستوسق الأمر.جاز إلى الأندلس مع والده،ودوَّخ بينه يديـه بـلاد الروم،ووقـف بظـاهر قرذبة،وإشبيلية،وحضـر الوقيعة بذنوبه،وجرت بينه،وبين سلطان الأندلس،على عهده منافرات،أجلت أخيراً عـن لحاق به مُستعتباً.واستقر آخراً محاصراً لتلمسان،غازياً لبني زيان الأمراء بها،وابتنى مدينـة سماهـا تلمسـان الجديـدة،وأقام محاصـراً لها،مضـيقاً علـى أهلـها نحـواً مـن ثمانيـة أعوام،وعظَّمته الملوك شرقاً وغرباً،ووردت عليـه الرسـل،والهدايا مـن كـل جهة،وهابـه الأقارب،والأباعد»[٢].

---

(١) المصدر السابق،مج:٠٤،ص:٣٤٨ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق،مج:٠٤،ص:٣٥٦ وما بعدها.

ويعقوب بن عبد الحق بن محيو بن بكر بن حمامة بن محمد بن رزين بن فقوس بن كرناطة بن مرين، هو أمير المسلمين المكنى بأبي يوسف الملقب بالمنصور،من قبيلة زناتة،وقد توقف ابن الخطيب مطولاً مع أوليته،ثم وصف حاله وصفاً دقيقاً فأشار إلى أنه كان«ديِّناً فاضلاً حيياً،جواداص سمحاً،شجاعاً،محباً في الصالحين،منقاداً إلى الخير،حريصاً على الجهاد،أجاز ولده في أوائل عام اثنين،وسبعين وستمائة إلى الأندلس،ثم عبر بنفسه في سرار صفر من العام بعده،فاحتل بعده إشبيلية،وكسر جيش الروم،المنعقد على زعيمهم ذنوبه،بظاهر إستجة في ربيع الآخر من العام،ثم عبر ثانياً،مغتنماً ما نشأ بين الروم من الفرقة،فغزا مدينة قرطبة،وصار أمر العدو في أطواق الفرنتيرة،بحيث لا يوجد في بطن القتيل منها إلا العشب أزلاً،ومسبغة،لانتشار الغارات،وانتساف الأقوات،وحديث الفتنة.وسببها ما كان تصير مالقة إليه،من أيدي المنتزين عليها من بني إشقيلولة،ثم عودتها إلى سلطان الأندلس،من ايدي رجاله،شيوخ بني مُحلى،ثم تدارك الله المسلمين بصلاح ذات البين،واحتل بظاهر غرناطة في بعض هذه الغزوات،فنزل بقرية إسقطمر من مرجها،واحتفل السلطان رحمه الله في بره،وأجزل نزله،وتوجيه ولده إليه»[1].

إضافة إلى الكثير من الشخصيات التاريخية،والأدبية الفذة التي ترجم لها مثل:يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى بن شريفين،ويحيى بن طلحة بن محلى البطوي الوزير أبو زكريا،ويحيى بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحكيم اللخمي،ويوسف بن هلال صهر الأمير أبي عبد الله بن سعد،ويحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير بن وسلاسن بن سمال بن مهايا المصمودي،وويحيى بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري،ويوسف بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري،وعتيق بن زكريا بن مول التيجيبي،وعلي بن أحمد بن محمد بن مروان بن عمر الغساني،وعلي بن صالح بن أبي الليث الأسعد بن الفرج بن يوسف،ووعلي بن أبي جلا المكناسي،وعلي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي بن سمحون الهلالي،وعلي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي،وعتيق

---

(١) المصدر السابق،مج:٠٤،ص:٣٥٩.

بن معاذ بن عتيق بن مقدم بن سعيد بن يوسف بن مقدم اللخمي،وعلي بن علي بن عتيق بن عبد العزيز الهاشمي،وعلي بن عبد الله النميري الششتري،وعامر بن محمد بن علي الهناتي،وعاشر بن محمد بن عاشر بن خلف بن رجا بن حكم الأنصاري،وعيسى بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي زمنين المري،وغالب بن أبي بكر الحضرمي،وغالب بن علي بن محمد اللخمي الشقوري.

وقد ختم الباحث محمد عبد الله عنان القسم الأول من المجلد الرابع من كتاب«الإحاطة» ببيان تكميلي عن مخطوط الأسكوريال،وعن القائم باختصار كتاب«الإحاطة»،جاء فيه: «لقد اعتمدنا في تحقيق كتاب(الإحاطة)منذ السفر السابع على مخطوط الإسكوريال رقم:١٦٦٨ الغزيري،ورقم:١٦٧٣ ديرنبور،وذلك حسبما بينا في مقدمة المجلد الأول من الإحاطة(ص:١٣ و١٤)،وحسبما سجلنا ذلك في المجلد الثاني من الإحاطة(ص:٣١٥)،وجعلناه عمدة للتحقيق حتى نهاية الموسوعة الأندلسية الكبرى.

وقد بينا في مقدمتنا ذلك أن مخطوط الإسكوريال،قد وسم في صفحة عنوانه بأنه«السفر الثاني»من«مختصر الإحاطة»،وأنه قد ذكر في مواضع كثيرة منه،ما يدل على إجراء هذا الاختصار بصورة منتظمة(المقدمة ص:٨)،كما سطر على صفحة العنوان،بأنه كان(ملكاً للسلطان مولاي زيدان،أمير المؤمنين بن أحمد بن المنصور،أمير المؤمنين)أو بعبارة أخرى،كان ضمن المكتبة الزيدانية الشهيرة،التي استولى عليها الإسبان قسراً في عرض البحر سنة:١٦١٢م،وضمت إلى مجموعة الإسكوريال الملكية،ونقلنا خلال كثير من التراجم،ما كان يرد بها من إضافات،أو تعليقات،سواء في صلبها،أو على هوامشها،مما كنا ننسبه نحن إلى ناسخ المخطوط.

بيد أنه قد وضح لنا في نفس الوقت،ولاسيما في الأقسام الأخيرة من الكتاب،أن هذه الإضافات والتعليقات التي يتسم الكثير منها بالطابع العلمي،وبالمعرفة المستنيرة أنها من وضع مختصر كتاب(الإحاطة)حسبما نوهنا بذلك في غير موضع في تراجم الأسفار الأخيرة،ورأينا أن ذلك ما يتفق مع ما وسم به المخطوط في صفحة عنوانه،من أنه السفر الثاني من مختصر(الإحاطة)،وهو ما نستنتج منه أن المخطوط هو الجزء الثاني من نسخة

كانت تتألف من جزئين كبيرين،هما(مختصر كتاب الإحاطة)،وقد أشرنا في المقدمة إلى بعض ما وقع من صنوف هذا الاختصار،حسبما وقفنا عليها من تتبع إشارات(المختصر)خلال المخطوط،ومعظمها ينحصر في اختصار مشيخة المترجم له أو حذفها،أو إغفال بعض القصائد،أو جزء منها،وإغفال بعض المختارات النثرية،أو اختصارها،كما أشرنا إلى أنه لم يثبت أن هذا الاختصار قد أصاب النصوص التاريخية المحضة،حسبما تبين ذلك من مقارنات كثيرة لما نقله المقّري في(نفح الطيب)من تراجم(الإحاطة).

وقد كانت نيتنا أن نقف عند هذا الحد في الحديث عن أوضاع كتاب(الإحاطة)،لولا ما حدث خلال طبع المجلد الرابع،والأخير منه،من وقوفنا على حقائق جديدة،حملتنا على وجوب استكمال هذا البحث،ومحاولة الوقوف على اسم مختصر كتاب(الإحاطة).وذلك أننا خلال عملنا في تحقيق كتاب(ريحانة الكتاب)لابن الخطيب،قد لفت نظرنا عدة حقائق جديدة هامة نلخصها فيما يلي:

أولاً:أن مخطوط كتاب(الريحانة)المحفوظ بكتبة الإسكوريال برقم:١٨٢٠ الغزيري،وبرقم:١٨٢٥ديرنبور،قد كتب بنفس الخط الأندلسي المطعم بالسمة المغربية الذي كتب به مخطوط(السفر الثاني)من(مختصر الإحاطة)رقم:١٧٦٣ ديرنبور.

ثانياً:أنه كتب،حسبما ورد في خاتمته في شوال سنة ثمانية وثمانين وثمان مائة(٨٨٨هـ)،في تاريخ مقارب لكتابة نسخة(الإحاطة)،حيث كتبت في ربيع الآخر سنة:٨٩٥هـ.

ثالثاً:أنه يوجد تماثل كبير بين العبارات التي اختتم بها كل من المخطوطين،فقد اختتم مخطوط كتاب(الريحانة)،بما يأتي: (انتهى هذا الكتاب المسمى بريحانة الكتاب ونجعة المنتاب،على يد ناسخها لنفسه،ثم لمن شاء من ولده من بعده،عبد الله المقر بذنوبه،الراجي عفو ربه،أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد البقيني الأنصاري،غفر الله ذنوبه،وستر عيوبه،بتاريخ أواسط شوال عام ثمانية وثمانين وثمان مائة.والحمد لله رب العالمين،وسلام على عباده الذين اصطفى).

وورد في ختام مخطوط(مختصر الإحاطة) ما يأتي: (انتهى السفر الأخير منه حيث عرف بنفسه،وشيوخه،رحمة الله على الجميع،قلت:وهنا انتهى ما قصدناه،وثم بحول الله ما أردناه،واستوفيناه،واستلحقناه،وذلك بغرناطة أقالها الله،وصانها،وعم بالعلماء الأعلام وصالحي الإسلام عمرانها،وبتاريخ أوائل شهر ربيع الآخر من عام خمسة وتسعين وثمانمائة.والحمد لله،وسلام على عباده الذين اصطفى).

ومن جهة أخرى،فإنه من الواضح مما ورد في صيغة عنوان مخطوط كتاب(الريحانة)،وذكر مؤلفه من أنه(وحيد قطرنا،وعالم مصرنا،وفخر أندلسنا...ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب)أن كاتب هذا المخطوط هو أندلسي،ومن المرجح أيضاً،على ضوء المقارنة،والتماثل أنه غرناطي كذلك.

ويترتب على ما تقدم من مطابقة خط المخطوطين،وتقارب تاريخي نسخهما،ثم التماثل الواضح بين الخاتمتين،أن مختصر كتاب(الإحاطة)،وناسخه أيضاً هو العلاّمة أحمد بن عبد الله البقني الأنصاري،الذي ورد اسمه كاملاً في مخطوط(الريحانة).

هذا،وقد أشار بعض كتاب التراجم اللاحقين،أمثال العلاّمة أحمد بابا التنبكتي الصنهاجي المتوفى سنة:١٠٣٦هـ،(١٦٢٧م)،وصاحب كتابي(نيل الابتهاج)،و(كفاية المحتاج)،وهما ذيلان على كتاب(الذيباج المذهب)لابن فرحون وغيره إلى هذا(المختصر)من كتاب(الإحاطة)،وذكروه منسوباً بالفعل إلى أبي جعفر البقني،وهو ما يؤيد صحة ما انتهينا إليه بالمقارنات المخطوطة»[1].

١٢-الترجمة التي خص بها ابن الخطيب نفسه

في القسم الثاني من المجلد الرابع من كتاب(الإحاطة)،نجد ترجمة ابن الخطيب مكتوبة بقلمه،وفيها تحدث عن أوليته،ومراحل حياته الأولى،وذكر بعض ما صدر له من التشريفات الملوكية،وذكر مشيخته التي جاء فيها:«قرأت كتاب الله عز وجل على

---

(١)المصدر السابق،مج:٤٠،ص:٤٣٢ وما بعدها.

المكتب،نسيج وحده،في تحمل المنزل حق حمله،تقوى وصلاحاً،وخصوصية،وإتقاناً،ونغمة،وعناية،وحفظاً،وبحُراً في هذا الفن،واضطلاعاً بضرائبه،واستيعاباً لسقطات الأعلام،الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن عبد الولي العواد، كتباً ثم حفظاً،ثم تجويداً إلى مقرئ أبي عمرو،رحمة الله عليهما،ثم نقلني إلى أستاذ الجماعة،ومطية الفنون،ومفيد الطلبة،الشيخ الخطيب أبي القيجاطي،فقرأت عليه القرآن،والعربية،وهو أول من انتفعت به.وقرأت على الحسيب الصادر أبي القاسم بن جُزي،ولا زمت قراءة العربية،والفقه،والتفسير،على الشيخ الأستاذ الخطيب أبي عبد الله بن الفخار البيري،الإمام المُجمع على إمامته في فن العربية،المفتوح عليه من الله فيه،حفظاً،واضطلاعاً،ونقلاً،وتوجيهاً،بما لا مطمع فيه لسواه.وقرأت على قاضي الجماعة الصدر المتفنن أبي عبد الله بن بكر،رحمه الله،وتأدبت بالشيخ الرئيس صاحب القلم الأعلى،الصالح الفاضل،أبي الحسن بن الجياب.ورويت عن كثير ممن جمعهم الزمان بهذا القطر من أهل الرواية،كالمحدث أبي عبد الله بن جابر،وأخيه أبي جعفر،والقاضي الشهير بقية السلف شيخنا أبي البركات بن الحاج،والشيخ المحدث الصالح أبي محمد بن سلمون،وأخيه القاضي أبي القاسم بن سلمون،وأبي عمرو بن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير،وله رواية عالية.والأستاذ اللغوي أبي عبد الله بن بيبش،والمحدث الكاتب أبي الحسين التلمساني،والشيخ الحاج أبي القاسم بن البناء،والعدل أبي محمد الزرقون يحمل عن الإمام بن دقيق العيد،والقائد الكاتب ابن ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم،والقاضي المحدث الأديب جُملة الظرف أبي بكر بن شبرين،والشيخ أبي عبد الله بن عبد الملك،والخطيب أبي جعفر الطنجالي،والقاضي أبي عبد الله المقّري التلمساني،والشريف أبي علي حسن بن يوسف،والخطيب الرئيس أبي عبدالله بن مرزوق كلهم من تلمسان.والمحدث الفاضل الحسيب أبو العباس بن يربوع السبتي،والرئيس أبي محمد الحضرمي السبتي،والشيخ المقرئ أبي محمد بن أيوب المالقي آخر الرواة عن ابن أبي الأحوص،وأبي عثمان بن ليون من ألمرية،والقاضي أبي الحجاج المنتشافري من أهل رُندة،وطائفة كبيرة من المعاصرين،ومنى أهل العُدوة الغربية،والمشرق الكثير

بالإجازة،وأخـذتُ الطـب والتعاليم،وصـناعة التعـديل عـن الإمـام أبـي زكريـا بـن هُذيل،ولازمته.هذا على سبيل الإلمام.ولو تفرغت لذكرهم،لخرج هذا التقييد عما وُضـع له»[1].

بعد ذلك قام ابن الخطيب بعرض تواليفه،وقال: «من ذلك،اللمحة البدريـة في الدولـة النصـرية،والحلل المرقومـة،ومُثلى الطريقة،والسـحر والشـعر،وريحانة الكُتَّـاب في أسـفار ثمانية،وكتاب المحبة في سفرين،والصيب والجهام مجموع شعري،ومعيار الاختيار،ومفاضلة بـين مالقـة وسلا،ورسـالة الطاعون،والمسـائل الطبيـة سـفر،والرجز في عمـل الترياق،واليُوسفي في الطب في سفرين،والتاج المُحلى في سفر.ونُفاضة الجـراب في أربعـة أسفار،والبيزرة في سفر،والبيطرة في سفر،جامع لما يرجع إليهـا مـن محاسـن الخيـل،وغير ذلك.ورسالة تكوين الجنين.والوصول لحفـظ الصـحة في الفصـول،ورجز الطـب،ورجز الأغذية،ورجزُ السياسة.وكتاب الوزارة،ومقامة السياسة.وكتاب الإحاطة هـذا في خمسـة عشر سفراً.إلى ما صدر مني في هذا العهد القريب،وهي الغـيرة علـى أهـل الحيرة،وحمـل الجمهور على السنن المشهور،والزُبدة الممخوضة والرميمة،والرد على أهل الإباحة،وسدُ الذريعة في تفضيل الشريعة،وتقرير الشبه،وتحرير المُشبه،واستنزال اللطف الموجود في سـر الوجود.

ومن التواليف الصادرة قديماً:بستان الدول،وهو موضوع غريب ما سُمع بمثله،قلّ أن شذ عنه فن من الفنون،يشتمل على شجرات عشر أولها شجرة السلطان،ثم شجرة الـوزارة، ثم شجرة الكتابة،ثم شـجرة القضـاء والصـلاة،ثم شـجرة السـلطة والحسـبة،ثم شـجرة العمل،ثم شجرة الجهاد،وهو فرعان،أسطول،وخيول.ثم شجرة ما يضطر باب الملك إليه من الأطباء،والمنجمين،والبيازرة،والبياطرة،والفلاحين،والندماء،والشطرنجيين،والشـعراء، والمغـــنين. ثـــم شـــجرة الرعايـــا.وتقســـيم هـــذا كلـــه غريـــب،يرجع إلى شعب،وأصول،وجراثيم،وعُمد،وقشر ولحاء،وغصون وأوراق،وزهـرات مثمـرات،وغير

(١)المصدر السابق،مج:٤٠،ص:٤٥٧وما بعدها.

مثمرات،مكتوب على كل جزء من هذه الأجزاء اسم الفن المراد به،وبرنامجه صورة بستان كمل منه نحو ثلاثين جزءاً تقارب الأسفار،ثم قطع عنه الحادث على الدولة،وأبيات الأبيات،وفتات الخوان،ولقط الصوان في سفر،يتضمن المقطوعات،وعائد الصلة في سفرين،وصلت به(صلة)الأستاذ أبي جعفر بن الزبير،وتخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات،وجيش التوشيح،وطُرفة العصر في دولة بني نصر،ثلاثة أسفار إلى غير ذلك،حتى في الموسيقى وسواها،هذرٌ كُتِّف به الحجاب،ولعب بالنفس الإعجاب،وضاع الزمان،ولا تسل بين الرد،والقبول،والنفي،والإيجاب»[1].

و في ختام الترجمة تحدث عن مولده،حيث ذكر أنه ولد في الخامس والعشرين برجب عام ثلاثة عشر،وسبعمائة،وكان بالحي ممن ذكرته،ألحق بالميت،وبالقبر قد استبدل من البيت،ولاحول ولا قوة إلا بالله.

وقد جاء في نهاية كتاب(الإحاطة)قول كلام مختصر الإحاطة،وناسخها وكما يذكر المحقق محمد عبد الله عنان فهو أبو جعفر البقي: «هنا انتهى التأليف المسمى ب(الإحاطة في تاريخ غرناطة)بالاختصار،وتحصل منه ما أردناه من هذا المقدار،ووهبناه للناظر فيه هبة ليست بهبة اعتصار،بل هي لتحصيله ذات انتصار،ولما لم يمكنه أن يُعرِّف بمحنته،ووفاته،رأيت أنا بعده أن أُعرِّف بذلك في مُختصري هذا على مهيعه،وعادته فأقول:

- **محنته ووفاته :**

رأيت تعليقاً بخط بعض العدول المعاصرين،الأذكياء المحاضرين،الأدباء المجيدين،الظرفاء المقيدين،وهو صاحبنا أبو عبد الله الواد آشي حفظه الله،ظرفة زمان،وحفظة أوان،وهو ما نصه من تاريخ ابن خلدون قال: **(الخبر عن مقتل ابن الخطيب)**

ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد،دار ملكه،فاتح ست وسبعين،واستقل بسلطانه،والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه،وسليمان بن

---

(١)المصدر السابق،مج:٤،ص: ٤٥٩وما بعدها.

داود من أعراب كبير بني عسكر،رديف له،وقد كـان الشـرط وقـع بينـه،وبين السلطان ابن الأحمر،عنـدما بويـع بطنجـة،على نكبـة ابـن الخطيب،وإسـلامه إليه،لما نُمي عنه أنه كان يُغري السلطان عبد العزيز لُملك الأندلس.فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة،ولقي الوزير أبا بكر بن غـازي بسـاحة البلـد الجديد،فهزمه السلطان،ولاذ منه بالحصـار،آوى معـه ابـن الخطيـب إلى البلـد الجديد،خوفاً على نفسه،فلما استولى السلطان على البلد أقام أيامـاً،ثم أغـراه سليمان بن داود بالقبض عليه،فقبضوا عليه،وأودعوه بالسجن،وطيروا بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر.وكان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب،لما كان سليمان قد تابع السلطان ابن الأحمر على مشيخة الغزاة بالأنـدلس،حتى أعاده الله إلى ملكه،فلما استقر له سلطانه أجاز إليه سليمان سفيراً عن عمر بن عبد الله،ومقتضياً عهده من السلطان،فصده ابن الخطيب عن ذلك،بـأن تلـك الرئاسة إنما هي لأعياص الملك من آل عبد الحق،لأنهم يعسـوب زناتـة،فرجع آيساً،وحقد ذلك لابن الخطيب.ثم جـاور الأنـدلس بمحـل إمارتـه مـن جبـل الفتح،فكانت تقع بينه،وبين ابن الخطيب مكاتبات ينفس كل منهما لصاحبه،بما يحفظه لما كمن في صدورهما.وحين بلغ الخبر بالقبض علـى ابـن الخطيـب إلى السلطان،بعث كاتبه،ووزيره بعد ابن الخطيب،وهو أبو عبد الله بن زمرك،فقدم علـى السـلطان أبـي العباس،وأحضـر ابـن الخطيـب بالمشـور في مجلـس الخاصة،وأهل الشورى،وعُرض عليه بعـض الكلمـات وقعـت لـه في كتابـه، فعظُم عليه النكر فيها،فوُبخ،ونُكل،وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملأ،ثم تـل إلى محبسه،واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه،وأفتى بعض الفقهـاء فيـه.ودس سـليمان بـن داود إليـه لـبعض الأوغـاد مـن حاشـيته

بقتله،فطرقوا السجن ليلاً،ومعهم زعانفة جاءُوا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأحمر،وقتلوه خنقاً في محبسه،وأخرجوا شلوه من الغد،فدفن في مقبرة باب المحروق.ثم أصبح من الغد على شأفة قبره طريحاً،وقد جمعت له أعواد،وأضرمت عليه النار،فاحترق شعره،وأسود بشره،وأعيد إلى حفرته.وكان في ذلك انتهاءُ محنته.وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان،واعتدوها من هناته،وعظم النكير فيها عليه،وعلى قومه،وأهل دولته»[1].

كما حوى المجلد الأخير من كتاب(الإحاطة) مجموعة من الرسائل،والقطع النثرية التي لها أهمية بالغة،وتكشف عن جوانب خفية في علاقات الكتاب،والأدباء مع بعضهم البعض،ومن بينها نذكر:

-وصية عبد الحق بن سبعين العكي لتلاميذه،وأتباعه.

-مرسوم بقلم عمر بن محمد بن مسلمة التجيبي،المتوكل بن الأفطس،بتعيين ابن خيرة والياً لأشبونة.

-رسالة سلطان الأندلس يوسف أبي الحجاج في تهنئة عثمان بن عبد الرحمن بن يغمراسن سلطان تلمسان،وتجديد الحلف معه بقلم ابن الخطيب.

-رسالة ابن الخطيب من سلا إلى علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو بن عبد الحق.

-رسالة أبي الحسن النباهي المالقي في وصف نخلة بإزاء باب الحمراء.

---

(١)المصدر السابق،مج:٠٤،ص: ٦٣٥وما بعدها،وينظر:ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر ،وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب،والعجم،والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،مج:٠٧،ص:٤٠٤ وما بعدها.

-رسالة تجمع بين النظم والنثر لعلي بن محمد بن هيضم الرعيني.
-رسالة الشيخ الصوفي أبي علي بن تادررت إلى الشيخ أبي الحسن الششتري.
-رسالة أبي الحسن الششتري في الرد على أبي علي بن تادررت.
-خطبة للإمام أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي.
-ما كتب نثراً على قبر الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر.
-نص مرسوم للفتح بن علي بن أحمد(الفتح بن خاقان)عن بعض الأمراء بتعيين صاحب الشرطة.
-رسالة لسهل بن محمد بن سهل بن مالك الأزدي يخاطب بها بني الوليد بن رشد تعزية في وفاة أبيهم.
-الجانب النثري من رسالة أبي عبد الله بن الجنان في تعزية بني سهل بن مالك الأزدي.
-خطاب سعيد بن محمد بن سعيد الغساني إلى ابن الخطيب يشفع في ولده وقد وجد عليه.
-رسالة السلطان يوسف أبي الحجاج إلى السلطان أبي عنان في العزاء،والهناء مكتوبة بقلم ابن الخطيب.
-ما كُتب نثراً على قبر السلطان يوسف أبي الحجاج.
-نص الظهير الصادر بتعيين شيخ الغزاة يحيى بن عمر بن رحو من إملاء ابن الخطيب.
-رسالة ابن الخطيب إلى يوسف بن موسى المنتشافري يشيد به،وبصفاته.
-رد يوسف بن موسى المنتشافري على ابن الخطيب.

-رسالة بقلم يحيى بن عبد الكريم الشنتوفي عن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب عند نزوله غازياً بظاهر شريش.

-ظهير صادر من السلطان محمد الغني بالله إلى وزيره ابن الخطيب يخبره بما فتح الله عليه من استرداد ملكه.

-ظهير آخر صادر منه إلى ابن الخطيب بتجديد رئاسته،وتلقيبه بذي الوزارتين،ورد أملاكه إليه.

-ظهير من السلطان أبي سالم إلى ابن الخطيب يبيح له زيارة العمالات المغربية.

-ظهير صادر من السلطان محمد بن عبد الله بن أبي الحسن إلى ابن الخطيب بتثبيت مرتباته،وامتيازاته.

-رسالة بقلم ابن الخطيب إلى التربة النبوية المقدسة عن السلطان أبي الحجاج.

-رسالة بقلمه بفتوح السلطان الغني بالله إلى صاحب تونس.

-رسالة من ابن الخطيب إلى ابن خلدون.

-رسالة من ابن الخطيب إلى أبي زكريا يحيى بن خلدون.

-رسالة منه إلى أولاده بالمنكب.

ثالثاً :ملخص عن سفر من أسفار الإحاطة اكتشف حديثاً :

وما تجدر الإشارة إليه أن الباحث المغربي عبد السلام شقور قد اكتشف مجموعة من النصوص الجديدة التي لم تُنشر من قبل من كتاب: (الإحاطة في أخبار غرناطة)،وقام بنشرها في طبعة خاصة سنة:١٩٨٨م،حيث يقول الدكتور محمد الكتاني في تقديمه لتلك النصوص الجديدة،مُقدماً رؤيته لتراث ابن الخطيب،ولاسيما منه كتاب(الإحاطة) ،و جهود الدارسين في سبيل النهوض بتحقيقه:«...لقد أتاح لي أن استشعر هذا كله ..هذا العمل الذي أقدمه للأستاذ عبد السلام شقور عن تحقيق قطعة من كتاب(الإحاطة في

أخبار غرناطة)لأديب الأندلس الأشهر لسان الدين بن الخطيب،وهو الكتاب الذي سبق نشره في مصر خلال الخمسينيات من هذا القرن بتحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان.كما كان قد نشره قبل ذلك مختصراً الأستاذ رفيق العظم.

وبرغم أهمية هذا الكتاب في دراسة تاريخ الثقافة الأندلسية،وبرغم ذيوع خبره،واتساع الاستفادة منه لما يحتويه من تراجم العلماء،والكتّاب،والقضاة،ورجالات السياسة ممن انتظمهم خيط غرناطة مقيمين بها،أوعابرين،أو نازحين،فإنه لم ينشر النشر العلمي الذي كان ينبغي أن يحظى به.وقد وقع لكثير من الباحثين أخطاء،وأوهام تتصل بتحقيق تراث ابن الخطيب لم يسلم منها أحمد أمين،ولا محمد كمال شبانة،ولا كارل بروكلمان،ولا غيرهم،كما أوضحت ذلك في تحقيقي لكتاب ابن الخطيب(روضة التعريف بالحب الشريف).ولذلك فإن مراجعة تراث ابن الخطيب مراجعة مستمرة في ضوء ما يُكتشف من مخطوطات،أو يُنجز من أبحاث تظل عملاً علمياً مُهماً.وإلى أن يتم ذلك على الصورة المرضية ينبغي أن نأخذ الحيطة من تعميم الأحكام التاريخية،والأدبية.لأن هذه الأحكام تظل قلقة قبل إنجاز النشر العلمي لعيون تراثنا الفكري والأدبي.وقبل الوثوق من كونها تستعيد حضورها بكامل الدقة،والسلامة من التعريف،والتصحيف،ومن التشويه والبتر مما وقعت فيه الطبعات التجارية،وتقع فيه باستمرار.

من هذا الجانب يأخذ العمل الذي أقدمه للأستاذ عبد السلام شقور أهميته.وحسبك من قيمته أن هذه القطعة التي ينشرها من كتاب(الإحاطة)تكاد تمثل سفراً من أسفار(الإحاطة).وتقارب نحو الثلاثمائة ترجمة،ومع ذلك فإن الباحث يظل مقتنعاً بأن كتاب(الإحاطة)لم يستو بعد على الصورة التي نطمح إليها.والتي يمكن الاطمئنان إليها اطمئناناً علمياً،لأن كثيراً من التساؤلات بشأنها تظل واردة.

وعليّ أن أعترف بكون صديقي عبد السلام شقور الذي نصب نفسه لهذا العمل في غمرة اشتغاله بالبحث في العصر المريني قد أسدى للمكتبة الأندلسية خيراً،حين بادر،وهو يكتشف هذه القطعة إلى وضعها بين أيدي المعنيين بالدراسات الأندلسية،وبتراث ابن الخطيب.وإني لمقتنع بأن الوقت المليء بمشاغله الأخرى لم يسعفه بالوقوف ملياً عند هذه

القطعة من كتاب(الإحاطة)جامعاً بين تقويم النص،والتعليق عليه بما يُناسب من الإضافات،والإحالات المرجعية،والمقارنة بين التراجم في عدد من المصادر،مع تذييل ذلك كله بما ينبغي أن يُذيل به التحقيق من فهارس متنوعة.إلا أن النص برغم جهد الباحث ما يزال بحاجة إلى معاودة القراءة،والتصويب،حسب ما عن لي أثناء قراءة بعض التراجم،وبعض النصوص،ولاسيما الخُرُوم التي تتخلل بعض هاتيك النصوص.وإن كنت مقتنعاً بأن تعليق النشر على إحراز الكمال في تحقيقه يُفوِّت على الباحثين الكثير من الفائدة.فحسب كل باحث محقق أن ينشر ما استطاع أن ينشره ليفتح الأفق أمام سواه في مواصلة التحقيق،والتصويب،والاستدراك،فالبحث العلمي هو من عمل الأجيال،وعمل الجماعات إلا في حالات نادرة.

ولأهمية تراث ابن الخطيب،وغياب الكثير من العناصر الموضوعية في تقويم عطاء هذه الشخصية قامت كلية الآداب بتطوان بدراسة تراث ابن الخطيب،وشخصيته ضمن الملتقى الذي أسسته للدراسات المغربية الأندلسية.وقد أسفر هذا الملتقى عن عطاءات جديدة،وأبحاث مبتكرة كان من بينها ما تقدم به الأستاذ عبد السلام شقور عما لم ينشر من كتاب(الإحاطة)لابن الخطيب.ثم تحول بحثه إلى إقدامه على نشر هذه القطعة من كتاب(الإحاطة)وفاءً بالتزامه،وتكميلاً لبحثه»[1].

ويتحدث الباحث عبد السلام شقور،الأستاذ بكلية الآداب بجامعة تطوان بالمغرب الأقصى عن اكتشافه لتلك النصوص،وجهوده في سبيل نشرها فيقول تحت عنوان(ما لم ينشر من كتاب الإحاطة):«موضوع هذا الكتاب قطعة من الإحاطة تحتفظ بها مكتبة الإسكوريال نعتقد أنها ذات أهمية.

---

(١)عبد السلام شقور:الإحاطة في أخبار غرناطة،لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب،نصوص جديدة لم تنشر،المقدمة،ص:٨ وما بعدها.

ومـــــا حصـــــل لكتــــاب (الإحاطـــــة) لا يمكـــــن إلا أن يبعـــــث علـــــى الحسرة،والإشفاق،والألم،وليس التحسر على ما ضاع من تراثنا،أو لم يصلنا على أصله من قبيل التباكي المجاني إلا عند أولئك المشككين في التراث.

وبالرغم من أن كتاب(الإحاطة)ذاع،وانتشر في عصر مؤلفه،ثم بعد وفاته فاختصره المختصرون،وأفاد منه كتّاب التراجم،وغيرهم،فإننا لا نملك إلى حد الآن نسخة كاملة منه نطمئن إليها كل الاطمئنان.وما أصاب(الإحاطة) أصاب كذلك كثيراً من الأمهات،لذا فـــــإن جهـــــود البـــــاحثين يجـــــب أن تنصـــــرف فيمـــــا أرى إلى الجمع،والتوثيق،والتنقيب،والتعريف،بل أرى أن أي دراسة تدخل في نطاق ما يُعرف بالدراســات التركيبية،والتأويليــة،يجب أن لا تــتم حاليــاً إلا في نطــاق محدود،وبحــذر شديد.ولست في حاجة إلى بيان أهمية كتاب(الإحاطة)،وتكفي الإشارة في هذا المجال إلى أنه أهم مصدر بعد النفح في دراسة التاريخ السياسي،والثقافي للأندلس،والمغرب،فإذا كان المقري نسج تاريخ الأندلس السياسي،والأدبي من خلال حديثه عن ابن الخطيب،فإن ابن الخطيب قدم لنا الأندلس تاريخاً،وأدباً من خلال غرناطة.

طبعت الإحاطة في أوائل هذا القرن برعاية الأستاذ رفيق العظم،ثم طبعت ثانية في النصف الثاني منه بتحقيق الدكتور محمد عبد الله عنان،وكانت موضوع دراسات،منها تلك الدراسات العلمية الهامة التي قدمها العلاّمة المحقق أبو بكر التطواني،ومع كل هذا الجهد المبذول من طرف الدارسين،فإننا ما نزال بعيدين عن النص الأصلي للكتاب،ولذلك لا نتفق مع الدكتور عنان،إذ يقول(ومن ثم يمكن القول بأننا حتى إزاء هذه النسخ التي وسمت فعلاً،بمختصر الإحاطة،نملك نصوصاً شبه متكاملة من المؤلف الأصلي،وقد لا تنقصها سوى فقرات يسيرة).

وسنرى بعد قليل أن نص الإحاطة الذي قدمه لنا الدكتور المحقق قد لا يتجاوز نصف الكتاب الأصلي.

كان اتصالي بهذا الكتاب،من طريق الصدفة لقد لفت انتباهي،وأنا أتتبع نصوص الشعر المغربي في العصر المريني،كتاب مسجل بالمكتبة الوطنية بمدريد،تحت عنوان: (كتاب

التكملة لابن الخطيب)،فأسرعت إلى طلبه،وأنا آمل أن يكون كتاب العائد المفقود،وما كدت أتصفح صفحاته الأولى حتى تنسمت فيه روح كتاب(الإحاطة)،فلتراجم الإحاطة كما هو معلوم بناء مخصوص،وأسلوب متميز غير أني فُوجئت بتراجم لم آلفها في الإحاطة المطبوعة،وذلك كان بداية البحث.

ولقد كانت دهشتي أعظم عندما وجدت أن محقق الإحاطة الدكتور عنان يشير إلى هذه القطعة،ويذكرها ضمن النسخ الخطية التي اعتمدها في التحقيق،مع أن جل ما بها من نصوص غير وارد في النص الذي قدمه،وحققه،ويبدو أن المحقق قد استهان بها،ولذا نجده يقول عنها:(بيد أنه يلوح لنا أنها ليست كبيرة القيمة من الناحية العلمية لأن معظم تراجمها موجزة جداً،وقد لا تعدو الترجمة منها بضعة أسطر مما يدل على أنها مختصرات سريعة للتراجم الأصلية).

ويقيناً أن المحقق لم يقرأ هذه القطعة قراءة تمعن،ولم يقارن بينها،وبين النسخ الأخرى من الإحاطة،ولو كان فعل لكان له رأي آخر،ولما كان لكلامنا هنا في هذا الموضوع من مبرر»[1].

ويواصل الدكتور عبد السلام شقور واصفاً قطعة المكتبة الوطنية بمدريد،ومُبدياً عدة ملاحظات دقيقة عن المفقود من الكتاب،إذ يقول:«لقطعة المكتبة الوطنية بمدريد أصل في مكتبة الاسكوريال،وقد حصلت على هذا الأصل بحمد الله دون عناء،يتكون الأصل من مائة لوحة،وإثنتين من الحجم الكبير،والكتابة دقيقة جداً،وهي أفقية،وعمودية في كثير من الصفحات،ولذلك فإنها تتضمن قدراً كبيراً من التراجم،والنصوص.

لقد أخذت الرطوبة بما في جوانب الصفحات،ومحت أطراف الورقة الأولى التي تحمل العنوان.ومع ذلك يبدو بشكل واضح السطر الثاني من العنوان،وهو:من الإحاطة لابن الخطيب،ولعل الشطر الأول كان:السفر كذا،وتحت العنوان كتب نص التملك،وعباراته:لله في يد عبده:إبراهيم بن الحسين اللخمي،المشتهر بابن العظيم،وتنتهي

---

(١)عبد السلام شقور:المرجع السابق،المقدمة،ص:١٣ وما بعدها.

القطعة بهذا النص:(تم هذا السفر بحول الله تعالى،وحسن عونه بتاريخ يوم الخميس الخامس عشر لشهر رمضان المعظم،من عام ستة وثمانمائة عرف الله تعالى المسلمين خيره،وبركته بعرضه،وفضله،وطوله بغرناطة).

فالقطعة إذن سفر من أسفار الإحاطة نسخت في غرناطة،وقد مضى على وفاة ابن الخطيب وقت قصير،وأول ترجمة فيها هي ترجمة المقرئ موسى بن عبد الرحمان الشهير بالسخان،وهو من القراء الذين ترجم بهم ابن الجزري،وغيره،وآخرها ترجمة عبد الودود بن عبد الرحمن بن عبد الملك،نزيل لواته،وهكذا تتضمن تراجم حروف اللام،والنون،والصاد،وبعضاً من تراجم الميم،وقدراً كبيراً من تراجم العين،والتراجم مرتبة بحسب ما هو معروف في الإحاطة إلا أن تراجم حرف اللام تأتي عقب تراجم حرف الميم،وهنا أشير إلى أن نص الإحاطة المطبوع لا يتضمن تراجم حرف اللام،وهي على أي حال قليلة-لقد اعتمد ابن الخطيب في الإحاطة الترتيب الألفبائي للتراجم كما هو معلوم،ثم أحدث تبويبات داخلية بحسب طبقات الناس،واهتماماتهم من جهة،وبناء على التوزيع الجغرافي من ناحية ثانية،فهناك الأصليون،يليهم الطارئون،ثم الغرباء،وعلى هذا المنوال رتبت التراجم داخل القطعة موضوع حديثنا.

تنفرد هذه القطعة بما يزيد على مائتين وتسعين ترجمة،عدا مجموعة من النصوص الشعرية،والنثرية لمجموعة من الأعلام منهم أبو بحر صفوان بن إدريس،وأبو الطيب صالح الرندي،وعبد الرحمن بن خلدون إلخ...من هذه التراجم ما لا يزيد على بضعة أسطر،ومنها ما يملأ صفحات،وأما النسخة الموجودة بالمكتبة الوطنية بمدريد فهي في مائة وإثنتين وستين لوحة،وهي مشحونة بالتصحيف،يدل أكثره على جهل الناسخ،وقد عمد ناسخها إلى حذف تراجم كثيرة،ونصوص شعرية،ونثرية،وهذه النسخة مع ذلك لا تخلو من فائدة إذ أن ناسخها اتصل بالأصل،وهو ما يزال في حالة جيدة،أو أن حالته كانت أحسن مما هي عليه الآن،وقد استأنسنا بها في قراءة بعض النصوص من النسخة الأصلية.

إن غزارة مواد هذه القطعة توحي لأول وهلة بأنها سفر من أسفار الإحاطة الأصلية،فتراجم حرف العين فيها تزيد على مثيلاتها في الإحاطة المطبوعة بما يربو على

الضعف،بل على ثلاثة أضعاف،وكذلك الأمر فيما يخص بقية التراجم،وهذا يعني أن مجموعة تراجم الكتاب الذي تكون فيه هذه القطعة جزءاً ضعف مجموع تراجم النص المطبوع من الإحاطة،أي أن الكتاب كاملاً في ثمانية أسفار،أو أجزاء من حجم الأجزاء المطبوعة،إن التراجم لا يطرد مقدارها في كل الحروف بنفس العدد،فتراجم حروف الهمزة،والميم،والعين أكبر من غيرها في كتب التراجم.وتراجم هذه القطعة تتضمن كما رأينا تراجم من حروف الميم،والنون،والصاد،والعين»[1].

وقد استشهد الأستاذ عبد السلام شقور بما ورد في النفح من أن الإحاطة الأصلية في ثمانية أسفار،وذلك على نص وثيقة تحبيس الكتاب،للتدليل على أنه يمكن أن تكون هذه القطعة إحدى أسفار الكتاب الأصلي،وليست قسما من إحدى مختصراته.

---

(١) المرجع السابق،المقدمة،ص:١٥ وما بعدها.

الخاتمة

وبعد،فقد توقفنا في هذه الرحلة مع ابن الخطيب،وكتابه(الإحاطة في أخبار غرناطة)،وركزنا على الجوانب التاريخية،والأدبية فيه. وجاءت هذه الرحلة في مقدمة،ومدخل،وخمسة فصول،وخاتمة.

تحدثنا في المقدمة عن النقاط الرئيسة للبحث،وأوضحنا فيها بواعث اختيارنا لهذا الموضوع،وأهدافه،ومصادره،ومنهجه. وتحدثنا في المدخل عن حياته،وعصره،وآثاره.

ثم تناولنا في الفصول: الثاني،والثالث،والرابع ،والخامس التاريخي والأدبي في كتاب(الإحاطة)،محاولين الكشف عن قيمته الأدبية،والتاريخية من حيث معرفة المصادر التي استند إليها ابن الخطيب،وبواعث تأليف الكتاب،وأثر تلك المصادر على أسلوبه،ومنهجه،وطرائقه في العرض،والتحليل.

وبعد،فإننا سنوجز أهم المحطات التي توقفنا عندها،وأهم النتائج التي توصلنا إليها،فنقول:

١-كشفت الدراسة عن حياة ابن الخطيب،وتنقله بين العدوتين(المغرب العربي والأندلس)،ثم رحلاته،وسفارته لدى السلطان أبي عنان،من قبل السلطان محمد بن أبي الحجاج بن الأحمر،كما تتبعت حياته في مختلف مراحلها،وتحولاتها من حقبة إلى أخرى،وخصائص كل فترة من الفترات في ظل التغيرات ،والتقلبات الكثيرة التي شهدها العصر،كما بينت سبب تسميته بذي الوزارتين،وبذي العُمرين،وبذي الميتتين.

٢-أشارت الدراسة إلى أن الفترة التي عاش فيها ابن الخطيب(القرن الثامن الهجري)كانت فترة اضطراب،وصراع بين غرناطة الصامدة في وجه هجمات الغرب المسيحي،وحركة الاسترجاع(المسيحية)،وكانت نقطة قمة الجبل الذي أتمت فيه الحضارة الإسلامية نهاية صعودها،وبدأت تأخذ طريقها نحو التراجع،والانحدار،وبدأ يضمر توهجها.

٣-عرّفت الدراسة بمصنفات ابن الخطيب في الأدب،والتصوف،والتراجم،والطب،والشعر،والتي تجاوزت الخمسين مؤلفاً،كما أشارت إلى أن بعض المؤلفات التي نُسبت إليه خطأ لجملة من الاعتبارات،لتشابه أسماء مؤلفيها،أو لتحريف أسماء مؤلفاته،ويرجع الفضل في تجلية هذا الغموض،والكشف عنها إلى الأستاذ محمد التطواني...

٤-كشفت الدراسة عن مصادره، فقد اعتمد ابن الخطيب في تصنيفه لكتاب(الإحاطة)على مصادر كتابية،ومصادر شفوية،وكان يذكر هذه المصادر،و يتغاضى عن ذكرها أحياناً أخرى،وقد أشرنا في المتن إلى أهم مصادره الكتابية،وقدمنا عروضاً موجزة عنها،وأما مصادره الشفوية فتتعلق بمعاصريه،وهم الكثرة الغالبة في كتاب(الإحاطة) من شيوخه،وتلامذته،وأصدقائه،وكان أحياناً يتحصل على المعلومات من الأشخاص أنفسهم،أو من ذويهم،ومعارفهم،واستعان ابن الخطيب فيما يتعلق بسلاطين الدولة النصرية،ووزرائها على الوثائق،والرسائل الديوانية،كما اعتمد على كتبه التي ألفها من قبل ككتاب(اللمحة البدرية في الدولة النصرية)،وغيره.

٥-كشفت الدراسة عن منهج ابن الخطيب في هذا الكتاب،وعن طريقة الترجمة فيه،وقد استطاع أن يجعل كل ترجمة مركزاً لدائرة معارف(تاريخية وأدبية)تحوي نسبه،وكنيته،واسمه،وحاله،ومشيخته ،وتآليفه،وشعره،ومحنته(إن كان قد تعرض لمحنة في حياته)،ووفاته.وقد رسم ابن الخطيب خطة،ومنهجاً واضحين،رتب عناصرهما ترتيباً حسناً،وتغلغل في التفاصيل،وتعمق،ورصد أخبار المترجم له ،متابعاً أوليته(نسبه)،وقد تأثر بمنهجه هذا المقري في كتابيه(نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب)،و(أزهار الرياض في أخبار عياض).

٦- كشفت الدراسة عن خصائص أسلوب ابن الخطيب في كتاب الإحاطة،وبينت الفوارق بينه،وبين أسلوبه في كتبه الأخرى مستندة إلى رؤية الباحث الحسن بن السائح ،وتوصلت إلى أن الأسلوب الذي كتب به ابن الخطيب كتاب الإحاطة،يختلف عن أسلوبه في مؤلفاته الأخرى من حيث،هو أسلوب قوي،وجزل، و لم يقدم فيه الكثير من الأسجاع،ولم يسع إلى التنميق ،بل سعى إلى تقديم الفكرة،وهذا بخلاف كتبه الأخرى التي نراه فيه يسعى لإبراز قدراته اللغوية،إلى درجة يحس فيها القارئ في بعض الأحيان بالملل.

٧-تعرضت الدراسة لمحتوى الكتاب:عرضاً،وتلخيصاً،وتوضيحاً،وتوقفت مع أهم العناصر التي يهتم بها ابن الخطيب في ترجمته للشخصيات التاريخية،والأدبية،وقد تناول ابن الخطيب في الإحاطة أخبار مدينة غرناطة،عاصمة بني الأحمر(تاريخياً،وأدبياً،وجغرافياً،وسياسياً،واجتماعياً)،منذ الفتح الإسلامي لإيبيرية سنة:٩٢هـ،حتى عصر المؤلف(دولة بني

الأحمر)،منتهياً منه إلى عهد السلطان الغني بالله،محمد الخامس،ثامن ملوك بـني الأحمر الذي وزر له ابن الخطيب مرتين.

٨-كشفت الدراسة عن الحياة الأدبية في المغرب،والأندلس،وذهبت إلى التأكيد على نشاط الحياة الأدبية،والفكرية في القرن الثامن الهجري،وسعت إلى تقديم دلالات نشاطها من خـلال الوقـوف مـع المسـتوى الثقـافي الرفيـع في مملكـة غرناطة،وظهور عدد كبير من كبار العلماء،والمؤرخين،والشعراء،الذين قـدموا صورة ناصعة،ومشرقة عن العهود الإسلامية السالفة،ومن بين أدباء ،وكتـاب ذلك الزمن نذكر:ابن الأحمر(الأمير إسماعيل بن يوسف بن محمـد)،صـاحب كتاب(نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان)،والشاعر ابن زمرك تلميذ ابن الخطيـب،وأبي الحسـن بـن الجيـاب أستاذه،والقاضـي أبـي الحسـن النباهي،والشـاعر ابـن خاتمـة الأنصاري،والشـاعر الملـك يوسـف الثالث،وسواهم.

٩-تتجلـى القيمـة العلمية،والأدبيـة والتاريخيـة لكتـاب(الإحاطـة في أخبـار غرناطة)، من حيث إنه يعد أحد المصادر المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها في تاريخ غرناطة الأدبي،والسياسي،والاجتماعي،وهو ينفرد عن الكتب القديمـة بكونه يكشف النقاب عـن الحركـة العلمية،والأدبيـة والتاريخيةالسـائدة، مـن خلال تقديم تراجم وافية عن أدباء،وعلماء غرناطة من مختلـف العصـور،كما يكتسي أهمية بالغة كونه يحوي رسـائل،ومقطوعات نثريـة ،وشـعرية، الكـثير منها غير متوفر في مصادر أخرى.

وفي النهاية،يمكن القول إن ابن الخطيب هو خير من أعطانا صورة وافية عـن التاريخ الأدبي،والسياسي،والاجتماعي لغرناطة عبر عدة عصور مـن خـلال هذا السفر النفيس الذي كان موضوع هذا البحث.

وأخيراً،فقد بذلت ما استطعت،وأرجو أن أكون قد وُفقت،وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه،والحمد لله على ما هدى،ووفق،وأعان،وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت،وإليه أنيب،و الحمد لله أولاً وآخراً.



المصادر والمراجع

أولاً :المصادر:

١-ابن الأحمر،إسماعيل بن يوسف محمد:

-روضة النسرين في دولة بني مرين،تصدير الأستاذ عبد الوهاب بن منصور،الطبعة الثانية،المطبعة الملكية بالرباط،١٣٨٢هـ،١٩٦٢م.

٢-ابن الأحمر،إسماعيل بن يوسف محمد:

-نثير فرائد الجمان في نظم فحول تلمسان،دراسة وتحقيق الأستاذ رضوان الداية،دار الثقافة للطباعة والنشر،بيروت،١٩٦٧م.

٣-ابن بطوطة،محمد بن عبد الله اللواتي(ت:٧٧٩هـ،١٣٧٨م):

-تحفة الأنظار في غرائب الأمصار،وعجائب الأخبار المعروفة:برحلة ابن بطوطة،دار صادر،ودار بيروت للطباعة،والنشر-بيروت،١٣٨٤هـ،١٩٦٤م.

٤-ابن حجر،شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني(ت:٨٥٢هـ،١٤٤٩م):

-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،الطبعة الأولى،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،حيدرأباد الدكن،الهند١٩٣٠-١٩٣٢م.

٥-ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:٧٧٦هـ):

- الإحاطة في أخبار غرناطة،أربعة أجزاء،الطبعة الثانية،مكتبة الخانجي بالقاهرة،١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

٦-ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:٧٧٦هـ):

-أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإسلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام،تحقيق:ليفي بروفنسال،ونشر تحت عنوان: تاريخ إسبانيا الإسلامية،الطبعة الثانية،دار المكشوف،بيروت،١٩٥٦م،والقسم الثالث،تحقيق:الدكتور أحمد مختار العبادي،والأستاذ إبراهيم الكتاني،ونشر تحت عنوان:تاريخ المغرب في العصر الوسيط،دار الكتاب،الدار البيضاء،١٩٦٤م.

٧- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:٧٧٦هـ):

-جيش التوشيح،تحقيق:الأستاذ هلال ناجي،مطبعة المنار،تونس،١٩٦٧م.
٨- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:٧٧٦هـ):
-رقم الحلل في نظم الدول،المطبعة العمومية،تونس،١٣١٦هـ.
٩- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:٧٧٦هـ):
-روضة التعريف بالحب الشريف،تحقيق:الأستاذ عبد القادر أحمد عطا،الطبعة الأولى،طبع ونشر دار الفكر العربي،القاهرة،١٣٨٧هـ،١٩٦٨م.
١٠- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:٧٧٦هـ):
-الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة،تحقيق:الدكتور إحسان عباس،نشر دار الثقافة،مطبعة عيتاني الجديدة،بيروت،١٩٦٣م.
١١- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:٧٧٦هـ):
-كناسة الدكان بعد انتقال السكان،تحقيق:الدكتور محمد كمال شبانه،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر،القاهرة،١٣٨٦هـ،١٩٦٦م.
١٢- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:٧٧٦هـ):
-اللمحة البدرية في الدولة العصرية،نشر بعناية محب الدين الخطيب،المطبعة السلفية ومكتبتها،القاهرة،١٣٤٧هـ.
١٣- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:٧٧٦هـ):
-مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس«مجموعة من رسائله»،تحقيق:الدكتور أحمد مختار العبادي،مطبعة جامعة الاسكندرية،١٩٥٨م،الاسكندرية.
١٤- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:٧٧٦هـ):
-معيار الاختيار في مركز المعاهد والديار،مطبعة أحمد يمني،فاس،١٣٢٥هـ.
١٥- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد لسان الدين،(ت:٧٧٦هـ):
-نفاضة الجراب في علالة الاغتراب،تحقيق:الدكتور أحمد مختار العبادي،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر،القاهرة،١٩٦٨م.

١٦-ابن الخطيب القسنطيني،أبو العباس أحمد بن حسن بن علي،الشهير بابن قنفذ(ت:٨١٠هـ،١٤٨٠م):
-الوفيات،المطبعة الثعالبية،الجزائر،بلا تاريخ.
١٧-ابن خلدون،أبو زيد عبد الرحمن،(ت:٨٠٨هـ،١٤٠٦م):
-العبر،وديوان المبتدأ والخبر،في أيام العرب والعجم والبربر،في سبعة مجلدات،الطبعة الثانية،مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت،١٩٥٦-١٩٦١م.
١٨-ابن خلدون،أبو أبو زكرياء يحي،(ت:١٣٧٨م):
-بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،الطبعة الأولى،مطبعة بيبر فونتانة،الجزائر الشرقية١٩٠٣-١٩١٠م.
١٩-ابن خلكان،أبو العباس،أحمد بن محمد،شمس الدين،(ت:٦٨١هـ،١٢٨١م):
-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،نشر بعناية:محمد محي الدين عبد الحميد،الطبعة الأولى،مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة،١٣٦٧هـ-١٩٤٨م.
٢٠ - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (تـ٧٨٤ هـ) :
-سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
٢١-ابن سلام،أبو عبد الله محمد الجمحي البصري،(ت:٢٣٢هـ):
-طبقات الشعراء،نشر حامد عجان الحديد الكتبي،مطبعة السعادة،بجوار محافظة مصر،بلا تاريخ.
٢٢ - ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد (تـ٣٢٧ هـ) :
-طبائع النساء، تحقيق : محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، القاهرة.
٢٣-ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين (تـ٥٧١ هـ) :
-تاريخ مدينة دمشق – تراجم النساء – تحقيق : سكينة الشهابي، دمشق،١٩٨٢م
٢٤-ابن العماد،أبو الفلاح عبد الحي،(ت:١٠٨٩هـ):

-شذرات الذهب في أخبار من ذهب،في ثمانية مجلدات،مكتبة القديس،القاهرة،١٣٥٠هـ-١٣٥١هـ.
٢٥-ابن غازي،أبو عبد الله محمد المكناسي،(ت:٩١٧هـ):
الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون،المطبعة الملكية،الرباط،١٣٨٤هـ،١٩٦٤م.
٢٦-ابن القاضي،أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي،(ت:١٠٢٥هـ،١٩١٦م):
-جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس،طبعة حجرية،فاس،١٣٠٩هـ.
٢٧-ابن القاضي،أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي،(ت:١٠٢٥هـ،١٩١٦م):
-درة الحجال في غرة أسماء الرجال،نشر،ش،علوش،رباط الفتح،المطبعة الجديدة،١٩٣٤م.
٢٨-القالي، أبو علي إسماعيل (تـ٣٥٦ هـ) :
-الأمالي، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.
٢٩-ابن قتيبة،أبو محمد عبد الله بن مسلم،(ت:٢٧٦هـ،٨٨٩م):
-الشعر والشعراء،في مجلدين،تحقيق وشرح:الأستاذ محمد شاكر،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة،ج:٠١،طبع عام١٣٦٤هـ-وج٢،طبع عام:١٣٦٦هـ.
٣٠- القلقشندي، أبو العباس أحمد (تـ٨٢١ هـ) :
- قلائد الجمان، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٨٢ م.
٣١- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمرو، (تـ٧٧٤ هـ) :
- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٢ م.
٣٢- ابن مريم،أبو عبد الله محمد التلمساني،(ت: بعد١٠١٤هـ،١٦٠٥م):
-البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،المطبعة الثعالبية،الجزائر،١٣٢٦هـ،١٩٠٨م.
٣٣- ابن منظور، المصري (تـ٧١١ هـ) :
-لسان العرب، تحقيق، يوسف الخياط، بيروت.
٣٤-المقري،شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت:١٠٤١هـ):

-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،دار صادر،بيروت،لبنان،١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
٣٥-المقري،شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت:١٠٤١هـ):
-أزهار الرياض في أخبار عياض،في ثلاثة أجزاء،تحقيق الاساتذة:مصطفى السقا،إبراهيم الأبياري،عبد الحفيظ شلبي،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،١٩٣٩-١٩٤٢م.
٣٦-الناصري،أبو العباس أحمد السلاوي(ت:١٨٩٧م):
-الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،في تسعة أجزاء،تحقيق ولدي المؤلف الأستاذين:جعفر،ومحمد،مطبعة دار الكتاب بالدار البيضاء،١٩٥٤-١٩٥٦م.
٣٧-ابن النديم،محمد بن اسحاق،(توفي حوالي:١٠٤٧م):
-الفهرست،مطبعة الاستقامة،القاهرة،بلا تاريخ.
٣٨-ياقوت الحموي،أبو عبد الله الرومي البغدادي(ت:٦٢٦هـ،١٢٢٩م):
معجم البلدان،في أربعة مجلدات،منشورات مكتبة الأسدي،طهران،١٩٦٥م.

ثانياً:المراجع:

١-أحمد أمين،(ت:١٩٥٤م):
-ظهر الإسلام،في أربعة مجلدات،الطبعة الخامسة،منشورات دار الكتاب اللبناني،بيروت،١٩٦٥م.
٢-أحمد حسن الزيات:
تاريخ الأدب العربي،الطبعة الثالثة والعشرون،مكتبة نهضة مصر بالفجالة،القاهرة،بلا تاريخ.
٣-أنيس المقدسي:
-تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي،الطبعة الثانية،دار العلم للملايين،بيروت،١٩٦٠م.
٤-بالنثيا،انخل جنثالث :

-تاريخ الفكر الأندلسي،نقله عن الاسبانية الدكتور حسين مؤنس،الطبعة الأولى،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،١٩٥٥م.
٥-بروكلمان،كارل(ت:١٩٥٦م):
-تاريخ الشعوب الإسلامية،نقله إلى العربية:نبيه أمين فارس،ومنير البعلبكي،الطبعة الرابعة،دار العلم للملايين،بيروت،١٩٦٥م.
٦-بطرس البستاني(ت:١٨٨٣م):
-أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث،الطبعة الخامسة،دار صادر،بيروت،١٩٥٨م.
٧- بوملحم (علي) :
- في الأدب وفنونه، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، لبنان.
٨-ابن الخطيب في دائرة المعارف،قاموس عام لكل فن ومطلب،بإدارة فؤاد أفرام البستاني،المجلد الثالث،بيروت،١٩٦٠م.
٩-التطواني،محمد بن أبي بكر :
-ابن الخطيب من خلال كتبه،في جزأين،الجزء الأول،نشر دار الطباعة المغربية،تطوان،١٩٥٤م.
الجزء الثاني،طبع دار الطباعة كريما ديس،تطوان،١٩٥٩م.
١٠-جرجي زيدان(ت:١٩١٤م):
-تاريخ آداب اللغة العربية،في أربعة أجزاء،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،١٩٦٧م.
١١-خالد الصوفي:
-تاريخ العرب في إسبانيا،الطبعة الأولى،نشر وتوزيع مكتبة دار الشرق بحلب.
١٢-خفاجي،محمد عبد المنعم:
-قصة الأدب في الأندلس،المطبعة المنيرية،١٩٥٥-١٩٥٦م.
١٣-داغر يوسف أسعد:
-مصادر الدراسة الأدبية،الجزء الأول،مطبعة دير المخلص،صيدا،لبنان.
١٤-الرافعي،مصطفى صادق(ت:١٩٣٧م):

-تـــاريخ آداب العـــرب،في ثلاثـــة أجزاء،تصـــحيح:محمـــد ســـعيد العريان،مطبعـــة الاستقامة،القاهرة١٣٥٩هـ،١٩٤٠م.
١٥-الركابي جودت:
-في الأدب الأندلسي،دار المعارف،القاهرة،١٩٦٦م.
١٦-الركابي جودت:
-الطبيعة في الشعر الأندلسي،دمشق،مطبعة الجامعة١٩٥٩م.
١٧-الزركلي،خير الدين:
-الأعلام:قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين،والمستشرقين،في عشر مجلدات:الطبعة الثانية،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان.
١٨-شبانة محمد كمال :
-المؤرخ الوزير،لسان الدين ابن الخطيب،بحث نشر في«دعوة الحق»،مجلـة تصـدرها وزارة عمـــوم الأوقـــاف والشـــؤون الإســـلامية المغربية،العـــدد الثـــاني مـــن الســـنة التاسعة،جوان١٩٦٦م.
١٩-شكيب أرسلان(ت:١٩٤٦م):
-الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية،في ثلاثة أجزاء،منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت،لبنان،بلا تاريخ.
٢٠--شوقي ضيف:
-الفـــن ومذاهبـــه في النثـــر العربي،الطبعـــة الثالثة،منشـــورات مكتبـــة الأندلس،بيروت،لبنان،١٩٥٦م.
٢١-شوقي ضيف:
-الفن ومذاهبه في الشعر العربي،الطبعة الرابعة،دار المعارف،القاهرة،١٩٦٥م.
٢٢-طه حسين:
-حديث الأربعاء،الجزء الأول،دار المعارف بمصر،١٩٥٩م.
٢٣- عبد العزيز بن عبد الله:

-الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب،دار الطباعة المغربية،تطوان،١٩٥٣م.
٢٤-عبد الهادي بوطالب:
-وزير غرناطة،لسان الدين محمد بن الخطيب السلماني،الطبعة الثانية،نشر دار الكتاب بالدار البيضاء،١٩٦٠م.
٢٥-عبد السلام هارون:
-تحقيق النصوص ونشرها،مطبعة الخانجي،القاهرة،١٩٥٤م.
٢٦-عبد الله كنون:
-لسان الدين بن الخطيب:الكاتب الساخر،فصلة من مجلة البحث العلمي،يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط،العدد الثاني،السنة الأولى١٣٨٤هـ،١٩٦٤م،مطبعة فضالة المحمدية.
٢٧-عبد الله كنون:
-النبوغ المغربي،ثلاثة أجزاء في مجلد واحد،الطبعة الثانية مكتبة المدرسة،ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،بيروت،١٩٦١م.
٢٨-عبد العزيز الأهواني:
-الزجل في الأندلس،مطبعة الرسالة،القاهرة١٩٥٧م.
٢٩-عبد العزيز محمد عيسى :
-الأدب العربي في الأندلس،مطبعة الاستقامة،القاهرة،سنة:١٩٣٦م.
٣٠-غومس،اميليو،غرسية :
-الشعر الأندلسي،بحث في تطوره، وخصائصه،نقله عن الاسبانية:الدكتور حسين مؤنس،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،١٩٥٢م.
٣١- -كامل كيلاني:
-نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي،الطبعة الأولى،المكتبة التجارية الكبرى،القاهرة،١٩٢٤م.
٣٢ -الكتاني عبد الحي:

-فهرس الفهارس والإثبات،ومعجم المعاجم والمشيخات،والمسلسلات،في مجلدين:المطبعة الجديدة،بطالعة فاس:١٩٤٦م-١٩٤٧م.
٣٣-كحالة عمر رضا:
-معجم المؤلفين:تراجم مصنفي الكتب العربية،خمسة عشر جزءاً في ثمانية مجلدات،مطبعة الترقي،دمشق،١٩٥٧-١٩٦١م.
٣٤-ليفي بروفنسال:
-حضارة العرب في الأندلس،ترجمة:ذوقان قرقوط،دار مكتبة الحياة،بيروت،بلا تاريخ.
٣٥-محمد عبد الله عنان :
- لسان الدين ابن الخطيب،حياته وتراثه الفكري،الطبعة الأولى،نشر مكتبة الخانجي،مطبعة الاستقلال الكبرى،١٣٨٨هـ،١٩٦٨م.
٣٦-محمد عبد الله عنان:
-نهاية الأندلس،وتاريخ العرب المتنصرين،الطبعة الثانية،مطبعة مصر،شركة مساهمة مصرية القاهرة،١٩٧٨هـ-١٩٥٨م.
٣٧-محمد كرد علي:
-غابر الأندلس وحاضرها،الطبعة الأولى،المطبعة الرحمانية بمصر،القاهرة،١٣٤١هـ،١٩٢٣م.
٣٨-محمد كرد علي:
-كنوز الأجداد،مطبعة الترقي،دمشق،١٩٥٠م.
٣٩-محمد بن محمد مخلوف(ت:١٩٣٦م)
-شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،في جزأين،المطبعة السلفية ومكتبتها،القاهرة،١٩٤٩هـ.
٤٠-المراكشي،عباس بن إبراهيم:
-الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام،في ثمانية مجلدات،طبع منه خمسة مجلدات،المطبعة الجديدة بطالعة فاس،١٩٣٦-,١٩٣٩

٤١--مكي الطاهر أحمد:
-دراسة في مصادر الأدب،الطبعة الثانية،دار المعارف،القاهرة،١٩٧١م.
٤٢-الميلي مبارك بن محمد:
-تاريخ الجزائر في القديم والحديث،بيروت،لبنان،١٩٦٣م.
٤٣-مجهول
-تاريخ تأسيس مدينة فاس
ثالثاً:الموسوعات:
١-دائرة المعارف الإسلامية،ترجمة:محمد ثابت الفندي،أحمد الشنتناوي،إبراهيم زكي خورشيد،عبد الحميد يونس،خمسة عشر جزءاً في اثني عشر مجلداً.
٢-دائرة المعارف،قاموس لكل فن ومطلب،بإدارى فؤاد أفرام البستاني،في سبعة مجلدات،طبع ببيروت،١٩٥٦-١٩٦٧م.
٣-دائرة معارف القرن العشرين،فريد وجدي محمد،في عشر مجلدات،الطبعة الثالثة،دار المعارف للطباعة والنشر،بيروت،لبنان١٩٧١م.
٤-الموسوعة العربية الميسرة،تحت إشراف:غربال،محمد شفيق،دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر،القاهرة،١٩٦٥م.

فهرس الموضوعات